أثر النظريات الأدبية الغربية
في النقد الأدبي العربي الحديث: دراسة

INFLUENCE OF WESTERN LITERARY THEORIES ON MODERN LITERARY CRITICISM IN ARABIC: A STUDY

UGC MINOR RESEARCH PROJECT REPORT

Submitted by

Dr. N. SHAMNAD

UNIVERSITY COLLEGE, THIRUVANANTHAPURAM

UNIVERSITY GRANTS COMMISSION
NEW DELHI

الفهرست

رقم التسلسل	العنوان	رقم الصفحة
	المقدمة	٤
١	الكلاسيكية المحدثة	٥
٢	الرومانطيقية	٧
٣	الواقعية الأوروبية	٩
٤	الواقعية الاشتراكية	١١
٥	الماركسية	١٢
٦	الوجودية	١٣
٧	الرمزية	١٦
٨	الفن للفن	١٩
٩	التصويرية	٢٠
١٠	النقد الجديد	٢١
١١	التأثرية	٢٤
١٢	التعبيرية	٢٤
١٣	اتجاه تَيْن	٢٦
١٤	اللانسونية	٢٦
١٥	البَرناسية	٢٧
١٦	السريالية	٢٨
١٧	العبثانية	٣٠

١٨	التحليل النفسي	٣١
١٩	الحداثة	٤٠
٢٠	البنيوية	٤٢
٢١	ما بعد البنيوية	٦٠
٢٢	التفكيكية	٦١
٢٣	ما بعد الحداثة	٧٣
٢٤	نقد النقد	٧٤
٢٥	التناص	٧٦
٢٦	ما بعد الاستعمار	٧٧
٢٧	النقد النسائي	١٠٧
٢٨	الأدب المقارن	١٣١
	الخاتمة	١٥٥
	المصادر والمراجع	١٥٦

المقدمة

النقد الأدبي استعداد إنساني وميل فطري في أساسه، يمكن أن يقال إن كل أدب إبداعي يصاحبه نقد، وإنه على قدر نشاط الإبداع الأدبي وتنوع أشكاله ودرجته من الجودة يكون النقد. وشهد العالم الغربي ولادة كثير من المدارس المتعلقة بالنقد والعلوم الإنسانية الأخرى. هذه المدارس "موجات" تحقق أهدافا وغايات وأشواقا دفعت إليها أسباب موضوعية، واستدعاها تطور طبيعي يشمل البشر بنشاطهم العلمي، والثقافة بقيمها المتجددة، والنظام الاجتماعي في سعيه إلى تحقيق التقدم. وفي القرن التاسع عشر نشأت عدة مدارس للنقد، حتى إن الشاعر الإنجليزي ت. س. إليوت T. S. Eliot وصف عام ١٩١٩م بالفوضى([1]).

وينبغي أن ندرك:

- أن المدرسة الأدبية هي بدورها تؤسس اتجاها نقديا
- أن هذه المدارس الأدبية تعبر عن صورة عصرها
- أن هذه المدارس تركت أثرا، تختلف درجة تأثيره، في الأدب العربي الإبداعي وفي النقاد العرب كذلك([2]).

لقد جرى عرف الباحثين بأن العصر الحديث، بالنسبة إلى مصر وكافة أقطار الوطن العربي، يبدأ مع نزول الحملة الفرنسية في مصر عام ١٧٩٨ اعتمادا على أن هذه الحملة حققت الاتصال – الذي لم ينقطع – بين أوربا والشرق العربي. هذا الاتصال الذي ترك، ولا يزال يترك، آثارا عميقة في الحياة العربية الثقافية والاجتماعية والعلمية والسياسية تختلف مراحل التأثر وصوره واتجاهاته، إذ كان تأثير الثقافة الفرنسية غالبا في مرحلة، والإنجليزية في مرحلة أخرى، والأمريكية في مرحلة ثالثة. وبعد اتصال الأدب العربي الحديث بالآداب الغربية

---

[1] خفاجي، محمد عبد المنعم، (٢٠٠٢)، مدارس النقد الأدبي الحديث، ط: ٢، القاهرة: دار المصرية اللبنانية، ص ٢٢١

[2] عبد الله ، محمد حسن، (٢٠٠٥)، مداخل النقد الأدبي الحديث، القاهرة: دار المصرية السعودية، ص: ٦٨

وبمذاهب النقد المعاصر في الغرب، حصل على تطور كبير في النقد العربي الحديث. فخضع النقد العربي لما يخضع له النقد الغربي الحديث من مذاهب وتفسيرات علمية موضوعية مختلفة للنقد. يشير هذا الباب إلى جوانب متعددة لأهم مدارس غربية وأثرها[١] في النقد العربي الحديث وفي نقادها خاصة.

١. الكلاسيكية المحدثة Neo-Classicism

الكلاسيكية المحدثة هي إحياء للجماليات والأشكال الكلاسيكية في الفن والموسيقي والأدب[٢]. يطلق التعبير بخاصة على محاولات أوربا، في هذا الميدان، خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر، حين اكتسبت آثار الإغريق والرومان الأدبية والفنية أهمية جديدة وأخذ الأدباء والفنانون ينسجون في إنتاجهم على منوال القدامى، محاولين التزام الوضوح والبساطة والتناسب والعقلانية والسيطرة على العواطف، كلها تميز الفن الكلاسيكي. "كلاسيك" هي طبقة الأدباء الذين صعدوا بأدبهم وفنهم إلى منزلة أرستقراطية رفيعة في المجتمع. الكلاسيكية المحدثة أدب عقلي يقصد إلى الحقائق العامة، لا إلى حالات النفس الفردية. في عصر النهضة الأوروبية، يعتبر بالكلاسيكية كل أدب يتبلور المثل الإنسانية المتمثلة في الخير والحق والجمال. و"هي المثل التي لا تتغير باختلاف المكان والزمان والطبقة الاجتماعية"[٣]. أحس الشعراء المحافظون بالعيوب الاجتماعية المنتشرة، فحاولوا إصلاحها، فناقشوا مشكلة تعليم المرأة وتحريرها. وأحسوا بطغيان الأغنياء وأحوال الفقراء. وصفوا الطبيعة وتغنوا بجمالها وبالخريف والربيع والصحراء والوديان والورود والقرية والمدينة. ومن خصائص هذا المذهب: العناية الكبرى

---

١ قبش، أحمد، (١٩٨١)، تاريخ الشعر العربي الحديث، بيروت: دار الجيل، ص: ٧

٢ البعلبكي، منير، (١٩٨٠)، موسوعة المورد ، ج ٧، بيروت: دار العلم للملايين، ص: ٣٧

٣ عبد الله ، ص ٢٧٩

بالأسلوب والحرص على فصاحة اللغة وأناقة العبارة ومخاطبة الجمهور المثقف غالبا، والتعبير عن العواطف الإنسانية العامة، وربط الأدب بالمبادئ الأخلاقية، وتوظيفه لخدمة الغايات التعليمية. ومن أعلام الكلاسيكية المحدثة في الأدب: موليير Moliere (١٦٧٣) وراسين J.B. Racine(١٦٩٩) ولافونتين La Fontaine (١٦٩٥). كان سانت بيف Sainte-Beuve([1]) من أكبر الناقدين للكلاسيكية المحدثة. وبظهوره ظهر النقد التفسيري([2]) الذي يعنى بطريقة خلق الأثر الأدبي وتكوينه وارتباطه بحياة مؤلفه.

تأثر الأدب العربي بالكلاسيكية المحدثة ومن ممثليها: محمود سامي البارودي (١٩٠٤) وأحمد شوقي (١٩٣٢) وحافظ إبراهيم (١٩٣٢) وإسماعيل صبري (١٩٢٣) وعلي الجارم (١٩٤٩) ومحمد عبد المطلب (١٩٣١). وبين النقاد، كان حسين المرصفي (١٨٨٩) يتعصب للبارودي([3]) والشعر الكلاسيكي المحدث في "الوسيلة الأدبية". وكان نقده بيانيا وذوقيا. كذلك دعا محمد المويلحي (١٩٣٠) في مقالاته النقدية إلى الاتجاه البياني في الأدب العربي. كان تأثير الكلاسيكية كثيرا في الشعر العربي المسرحي. ظهر أثر الكلاسيكية بوضوح في مسرحيات أحمد شوقي الذي استفاد من المسرح الكلاسيكي خلال إقامته بفرنسا، فكتب مسرحيات شعرية. حاولت الكلاسيكية المحدثة أن تستعيد تاريخها الكلاسيكي بمحاولات ت. س. إليوث Eliot وريتشاردز I. A. Richards في القرن العشرين ولها أصداءها في العالم العربي أيضا.

---

[1] سانت بيف (١٨٦٩) ناقد أدبي فرنسي.

[2] الجهني، مانع بن حماد، (٢٠٠٣)، الموسوعة الميسرة، ج ٢، ط ٥، الرياض: دار الندوة العالمية، ص ٨٥٧

[3] Badawi , M M (Ed.), (2006), Modern Arabic Literature, NY: Cambridge University Press, P 423

٢. الرومانطيقية Romanticism

هي حركة أدبية وفنية وفلسفية نشأت في أواخر القرن الثامن عشر، واستمرت حتى منتصف القرن التاسع عشر بوصفها رد فعل للكلاسيكية المحدثة. أدب الرومانطيقية مَداره العاطفة الخالدة والذاتية والتأمل والصوفية الحالمة والجنوح إلى النفس ومصاحبة الآلام والأحزان مع الدموع والزَفرات والاندماج مع الطبيعة الملهمة. دعت الرومانطيقية إلى حرية الفن والتجربة الذاتية والوحدة العضوية ولاذت بالشعر المجنح بأشجان العاطفة([1]). إن شعار العيش على وفاق مع الطبيعة هو أساس الرومانطيقية. كانت فلسفة أفلاطون Plato من دوافع الرومانطيقية وازدهارها([2]). كانت الرومانطيقية في أوربا تتجه الاتجاه التأثري Impressionism في النقد، ثائرة على القواعد الكلاسيكية. ومن أعلام الرومانطيقية روسو J.J. Rousseau (١٧٨٨) وشاتو بريان Chateaubriand (١٨٤٨) وشيلي P.B. Shelley (١٨٢٢) وكيتس Keats (١٨٢١) ووردزورت Wordsworth (١٨٥٠) كولوردج Coleridge (١٨٣٤) وموبسان Maupassant (١٨٩٣). تأثر جيل جديد من النقاد العرب بالرومانطيقية الفرنسية والإنجليزية ودعوا إلى التجديدية في الأدب العربي. كان خليل مطران أول من رفع صوته للتجديد([3]). دعا مطران إلى المنهج الفني في النقد العربي وحذاه بعض من المحدثين في الأدب العربي الحديث. وعماد هذا المنهج الحكم على النص الأدبي من حيث روحه وموسيقاه وأصالته وعناصره وصدقه وتجربته الشعرية ووحدته العضوية. ومن هؤلاء الحماة الرومانطيقيين عباس محمود العقاد (١٩٦٤) وعبد الرحمن شكري (١٩٥٨) وعبد القادر المازني (١٩٤٩) وأحمد زكي أبو شادي (١٩٥٥) وأبو القاسم الشابي (١٩٣٤) وجبران خليل جبران (١٩٣١). كان العقاد والمازني يرجعان في النقد إلى هازليت Hazlitt

---

[1] Meisami, Julie & Starkey, Paul, (1998), Encyclopaedia of Arabic Literature, Vol II, London: Routledge, P 665

[٢] عبد الله ، ص ٤٥

[٣] هلال، محمد غنيمي، (٢٠٠٥)، النقد الأدبي الحديث، ط ٦، القاهرة: نهضة مصر، ص ٣٨١

وأرنولد Mathew Arnold (١٨٨٨) وماكولي Macaulay (١٨٥٩). كان العقاد يشبه بهازليت في عنفه النقدي([١]). ظهرت الرومانطيقية الكاملة في الأدب العربي أولا في القرن العشرين في كتابات جبران خليل جبران رائد الأدب المهجري، وأحمد زكي أبي شادي رائد جماعة أبولو([٢]). نضجت الرومانطيقية في مدة بين الحربين العالميتين، في مصر وسوريا ولبنان والعراق وأمريكا الشمالية والجنوبية. هاجمت مدرسة الديوان([٣])، العقاد والمازني، على الاتجاه المحافظ في الأدب العربي هجوما شنيعا، على فقدان التجربة الشعرية والوحدة العضوية وصدق العاطفة. وهي اتجاه رومانطيقي واضح في الشعر الحديث. كذلك دعا إليها زمرة من النقاد مثل شوقي ضيف ومصطفى السحرتي وأحمد الشايب ومَيّ زياده (١٩٤١) وميخائيل نعيمة (١٩٨٩). كان لسنج الألماني Lessing([٤]) أول من دعا إلى الوحدة العضوية من الرومانطيقيين. دعا خليل مطران (١٩٤٩) ومدرسة أبولو إلى الشعر المرسل([٥]) لتصبح القصيدة العربية أكثر مرونة وطواعية في يدي الشاعر، وليمكن استخدامها في الشعر القصصي والمسرحي، ولتكون أكثر تعبيرا عن ذاتية الشاعر. ولذلك نقدوا شعر المناسبات للاتجاه الكلاسيكي في الأدب العربي. تأثرت مدرسة المهجر([٦]) ونقادها مثل نعيمة بالرومانطيقية وحاول نعيمة في كتابه النقدي "الغربال" ليسمّي أصحاب الأدب التقليدي "ضفادع الأدب".

- ويمكن أن يقسم إجمال المدارس الغربية الحديثة إلى فلسفتين: الفلسفة الواقعية والفلسفة الجمالية

---

[١] خفاجي ، ص ١٢٩

[٢] جمعية أدبية مصرية أسسها أحمد زكي أبو شادي سنة ١٩٣٢.

[٣] مدرسة أدبية مصرية متأثرة بالرومانطيقية الإنجليزية (١٩٢٠-٢١) وأصحابها العقاد والمازني وشكري.

[٤] ناقد وكاتب مسرحي ألماني (١٧٨١)، يعد أول مسرحي ذي شأن في تاريخ الأدب الألماني.

[٥] الشعر المرسل Blank Verse هو شعر موزون غير مقفى.

[٦] الحركة الأدبية للأدباء اللبنانيين والسوريين الذين نزحوا إلى أمريكا الشمالية والجنوبية في القرني التاسع عشر والعشرين.

الفلسفة الواقعية

الفلسفة الواقعية تحفل بالمضمون وبأهداف الفن ووظيفته وصلته بعصره وبالجماهير التي تخاطبها، دون إغفال عن النواحي الفنية الخاصة بالأجناس الأدبية أو بالصياغة. لقد نشأ عن الفلسفة الواقعية: الواقعية والوجودية. وسارت الواقعية في ثلاثة اتجاهات: الواقعية النقدية Critical Realismوالواقعية الطبيعية Naturalist Realism والواقعية الاشتراكية Socialist Realism. تعرف الواقعيتي النقدية والطبيعية بالواقعية الأوروبية أيضا.

٣. الواقعية الأوروبية European Realism

الواقعية هي لفظة ترجمت بها لفظة ريالزم Realism الأوروبية. الواقعية مذهب أدبي فكري مادي، إذ يقتصر في تصويره الحياة والتعبير عنها على عالم المادة، ويرفض عالم الغيب، ويرى أن الإنسان عبارة عن مجموعة من الغرائز الحيوانية، ويتخذ كل ذلك أساسا لأفكاره التي تقوم على الاهتمام بنقد المجتمع وبحث مشكلاته مع التركيز على جوانب الشر والجريمة. فهي تدل أحيانا على الأدب الذي يقوم على ملاحظات الواقع وتسجيله لا على صور الخيال وتهاويله، ويفهم منه أحيانا الأدب الذي يستقى مادته وموضوعاته من حياة عامة الشعب ومشاكلها. فهو ضد الأدب الأرستقراطي([1]) فكرا وخيالا. ويقصد به أحيانا الأدب الموضوعي. كان واقع النفس الفردية لا يصلح مادة للأدب الواقعي. يتناول الأدب الواقعي مشاكل المجتمع ومظاهر البؤس والفاقة. إن الواقعية تسعى إلى تصوير الواقع، وكشف أسراره وإظهار خفاياه وتفسيره. إنها ليست ضد أدب الخيال وإنما هي فلسفة خاصة في فهم الحياة والإحياء وتفسيرهما. إنها وجهة خاصة ترى الحياة من خلال منظار أسود. ارتبطت نشأة الواقعية بالفلسفات الوضعية

[1] قبش ، ص ٣٨٦

والتحريرية والمادية الجدلية التي ظهرت في أوربا. تتسم الواقعية النقدية بتشاؤمها العميقة([١]). الواقعية الطبيعية تحاول اكتشاف مؤثرات أخرى إضافية، ومن أهمها العوامل الوراثية. إملي زولا ([٢]) Emile Zola هو واضع الواقعية الطبيعية. ومن أعلام الواقعية الأوروبية: بلزاك Honore de Balzac (١٨٥٠) وشارل ديكنز Charles Dickens (١٨٥٠) وهمنجواي Ernest Hemingway (١٩٦١) وفلوبير Gustave Flaubert (١٨٨٠) وغولزوورذي John Galsworthy (١٩٣٣).

تأثر الأدب العربي ونقاده بالواقعية. ويعد محمود تيمور الواقعي الأول في الأدب العربي متأثرا بالكاتب الفرنسي موباسان. فقد دعا في مقدمة كتابه "الشيخ جمعة وقصص أخرى" إلى الأخذ بالمذهب الواقعي في التأليف القصصي. وكان دعاة الواقعية يهتمون بالمضمون في النص الأدبي ومحتواه الواقعي والاجتماعي([٣]). عارض الواقعيون شعار "الفن للفن" بشعار آخر هو "الفن في سبيل الحياة" أو "الفن في خدمة المجتمع"([٤]). وفي أواخر الخمسينات وحتى منتصف الستينات انقسم النقاد في مصر (والوطن العربي فيما بعد) إلى فريقين، يرفع أحدهما شعار "الفن للفن"، ويتصدره رشاد رشدي (١٩٨٢)، ويرفع الآخر شعار "الأدب في سبيل الحياة"، ويتصدره محمد مندور (١٩٦٥). وكانت هذه المقابلة بين الاتجاهين تتعلق بالاتجاهات السياسية التي كانت أقوى تأثيرا في الواقعية([٥]). كان رشاد رشدي يهتم بالجمالية والشكل دون المضمون.

يدور محمد مندور حول المذهب الواقعي، وكذلك محمد حسين هيكل (١٩٥٦) في تعريفه الأدب بأنه فن جميل وغايته تبليغ الناس رسالة ما في الحياة من حق وجمال ودعا إلى الأدب

---

١ عبد الله ، ص ٩٩

٢ روائي فرنسي (١٩٢٠) الذي يعتبر مؤسس المذهب الطبيعي في الأدب.

٣ ابن حسين، محمد بن سعد، (١٩٩٨)، الأدب الحديث: تاريخ ودراسات، ج ٢، ط ٦، الرياض: دار عبد العزيز، ص ٧٢

٤ عبد الله ، ص ٩٦

٥ نفس المصدر، ص ٩٧

القومي([١])، مثل أمين الخولي([٢]). دعا أحمد أمين (١٩٥٤) إلى مذهب الفن للحياة ويرى أن العمل الفني لا قيمة له إذا لم يكن مستمدا من الحياة. الأدب العربي الحديث نظام اجتماعي يصطنع اللغة وسيلة اتصالية، واللغة نفسها إبداع اجتماعي. قد أسهم كثير من النقاد المتأثرين بالواقعية في النقد الواقعي، مثل عبد القادر القط في "في الأدب المصري" ومصطفى السحرتي في "شعر اليوم" ولويس عَوض (١٩٩٠) ويوسف إدريس (١٩٩١) وعبد الرحمن الشرقاوي (١٩٨٧) وسعد الدين وهبة ومحمد كمال عبد الحليم وكمال نشأت وكامل أيوب وصلاح عبد الصبور (١٩٨١) وعبد المعطي حجازي وكيلاني سند ومحمد إبراهيم أبو سِنة ومحمد أبو الوفا ورئيف خوري (١٩٦٨) وبدوي الجبل ومحمد مهدي الجواهري (١٩٩٧) ومحي الدين فارس وصلاح أحمد إبراهيم. ونادى كثير من الواقعيين إلى توظيف اللغة العامية([٣]) مثل هيكل وسلامة موسى (١٩٥٨) ويوسف إدريس ومحمود تيمور (١٩٧٣) ومحمود طاهر لاشين (١٩٥٤).

٤. الواقعية الاشتراكية Socialist Realism

في ضوء شرح كارل ماركس([٤]) Karl Marx وفريدريك أنجلز([٥]) Friedrich Engels لنشأة الفن وتطوره، أسّس تيار الواقعية الاشتراكية في روسيا السوفيتية. وتهيأ المجال الخصب لتطبيقه بعد نجاح ثورة أكتوبر في روسيا وانتصار النظام الاشتراكي. وقد عرفت الواقعية الاشتراكية بتعريفات مختلفة. منها "أنها النضال في سبيل القضاء على نظام الملكية وتحقيق النصر للنظام

---

١ خفاجي، ص ١٢٦

٢ الشيخ أمين الخولي (١٨٩٥-١٩٦٦) مفكر ومجدد مصري، عُرف بزيه الأزهري المميز، وبحكم رياسته للقسم ووكالته لكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول. كان أحد روّاد المدرسة الحديثة في التفسير في مصر الذي ركّز مقولة جديدة طوّرت نوعيا مقولة محمد عبده.

٣ عبد الجليل، علي، (٢٠٠٥)، فن كتابة القصة القصيرة، الأردن: دار أسامة، ص ٨٨.

٤ فيلسوف اجتماعي ألماني (١٨٨٣) وواضع الشيوعية.

٥ فيلسوف اشتراكي ألماني (١٨٩٥) الذي أسهم مع ماركس في وضع "البيان الشيوعي".

الاشتراكي" و"أنها لا تقتصر على شرح الحقائق الواقعية في العلم الجديد. وإنما عليها فوق ذلك أن تصلح الناس وتثقفهم تثقيفا اشتراكيا. وهي تعبر عن مجتمع تخلص من عهد الاستبداد والاستغلال، وراح يبني حياة جديدة قائمة على دعائم العدل الاجتماعي، وهي واقعية التفاؤل([١]) والاستبشار.

إن النشاط الاقتصادي هو أساس الإبداع الفني، لذلك يجب توظيف الأدب لخدمة المجتمع حسب المفهوم الماركسي. العمل الأدبي الفني عليه أن يهتم بتصوير الصراع الطبقي بين طبقة العمال والفلاحين وطبقة الرأسمالية والبرجوازية Bourgeoisie، وانتصار الأولى التي تحمل الخير والإبداع على الثانية التي هي مصدر الشرور في الحياة. ومن أعلام الواقعية الاشتراكية: مكسيم جوركي Maxim Gorki (١٩٣٦) وبابلو نيرودا Pablo Neruda (١٩٧٣). تميزت المدرسة بتفاؤلها([٢]) لما كانت الواقعية الأوروبية نزعت إلى التشاؤم. وفي رأي الواقعية الاشتراكية أن الواقع في ذاته جميل، لا يحتاج إلى تدخل الجمال الفني عليه. ومن الذين تأثروا بالواقعية الاشتراكية في العربية: غالي شكري، وعبد الرحمن الشرقاوي، وكمال عبد الحليمي، وعبد الوهاب البياتي، وبلند الحيدري، ورئيف الخوري.

٥. الماركسية Marxism

النظام السياسي والاقتصادي الذي وضعه ماركس وأنجلز على فلسفتين أساسيتين: المادية الجدلية([٣]) والمادية التاريخية([٤]). تقول الماركسية بأن المجتمع الرأسمالي يستند إلى استغلال

---

[١] عبد الرزاق، سيد، (٢٠٠٢)، المنهج الإسلامي في النقد الأدبي، بيروت: دار الفكر المعاصر، ص ١٥٣

[٢] عبد الله ، ص ٩٩

[٣] Dialectrical Materialism نظرية تقول بأن حياة الإنسان العقلية والروحية وأفكاره وأهدافه تعكس كلها الأحوال المادية التي يعيش الناس في ظلها، وبأن العلاقات التي تنشأ بين الناس تحدد العلاقات الطبقية في المجتمع.

[٤] Historical Materialism نظرية تقول بأن سير التاريخ وتطوره يحكمها الصراع بين الطبقات المتنافسة.

البورجوازية للبروليتاريا، وتذهب إلى أن الشيوعية – وهي المظهر السياسي للماركسية – سوف تتحقق عندما يفضى الصراع الطبقي إلى إطاحة دكتاتورية البروليتاريا بالنظام الرأسمالي، وعندما ينشأ عن سقوط الدولة مجتمع لا طبقات فيه([١]). يعتبر لينين([٢]) Lenin وتروسكي([٣]) Leon Trotsky وماو تسى تونغ([٤]) Mao Tse-Tung أكبر شارحي الماركسية. الماركسية تعد كل عمل أدبي صحيحا مشروعا إذا صور جانبا واقعيا من الفترة التاريخية التي عاش فيها الكاتب. ومن الناحية الفنية تنكر الماركسية هروب الفنان من الواقع في صور تخلوا بها العمل الفني من المضمون الاجتماعي([٥]). ومن النقاد الماركسين في العراق ومصر: حسين مُروَة وغالي شكري وشبلي شُميّل وفرح أنطون وسلامة موسى وعبد العظيم أنيس ومحمود أمين العالِم. نجح الناقد المعاصر جورج طرابيشي في اجتماع الماركسية وعلم النفس للنقد الأدبي.

٦. الوجودية Existentialism

هي أشهر مذهب استقر في الآداب الغربية في القرن العشرين. تركز المدرسة على وجود الإنسان الذي هو الحقيقة اليقينية الوحيدة في رأيه، ولا وجود شيء سابق عليها، ولا بعدها. يعد جان بول سارتر([٦]) Jean Paul Sartre، الفيلسوف الفرنسي، رائد الوجودية. تيار الوجودية شاع في فرنسا عقب الحرب العالمية الثانية وسبب وجوده ما أحدثته الحرب في الضمير الإنساني من أزمة بالغة العمق. الوجودية مذهب فلسفي أدبي ملحد. قالت الحركة بأنه لا حقيقة لوجود

---

[١] البعلبكي ، ج ٩ ، ص ٢٠٦

[٢] زعيم الثورة الشيوعية في روسيا ومؤسس الاتحاد السوفياتي (١٩٢٤).

[٣] زعيم ثوري سوفياتي (١٩٤٠).

[٤] زعيم صيني (١٩٧٦) ومؤسس جمهورية الصين الشعبية.

[٥] خفاجي ، ص ٣١٨

[٦] روائي وكاتب مسرحي وفيلسوف فرنسي (١٩٨٠) الذي يعتبر زعيم الوجودية الفرنسية.

المثل العليا والقيم الأخلاقية الخالدة. فالإنسان غير مقيد بقانون يحد من حريته، إنه ذاتي، فقد يستطيع أن يختار ما يعمل. ولذا فإن هدف الإنسان يتمثل في تحقيق الوجود ذاته، ويتم ذلك بممارسة الحياة بحرية مطلقة. ومن أعلام الوجودية: وكامو Albert Kamus([1]).

الوجودية ترتكز على ثلاثة أسس: الحرية والمسؤولية والالتزام. النتاج الأدبي عمل حر كريم يتوجه به الكاتب إلى القارئ الحر الكريم، ليشارك القارئ في خلق ما يريد المؤلف، خلقا صادرا عن الحرية في معناها الإنساني. في الوجودية، لا قيمة للشكل من حيث هو شكل، إذ أن الأسلوب وسيلة لا غاية، فلا قيمة لجمال لا مضمون له، ولا فضل في ذلك بين المضمون والشكل([2]).

نادى سارتر إلى الالتزام Commitment في الأدب. الشعر الملتزم صورة صادقة عن انفعالات ناظمه. الالتزام هو فكرة واقعية مزيجة من السياسة والاجتماع والمفاهيم الوطنية والقومية والدولية ومبادئ صراع الثورة. استعمل اصطلاح "الالتزام" ترجمة لاصطلاح engagement لسارتر. الالتزام عنده إنساني، وهو يقول: "أنا أفكر فأنا موجود"([3]). الأدب دعوة من الكاتب للآخرين، من معاصريه في أمته. كل عمل أدبي موجه إلى جمهور خاص به هو دال عليهم، ولا يستطيع فهمه حق الفهم في خارج حدوده التاريخية. يستثنى سارتر الشعر من الالتزام، والفنون الأخرى، سوى الأدب القصصي والمسرحي. يصور الأدب الملتزم العالم ليخلقه من جديد. ومن ثم كانت المسائل الجوهرية التي يعنى بها النقد الحديث في الغرب عامة – وعلى الأخص النقد الوجودي – هي ثلاثة مسائل: تصوير الكاتب لعالمه، ورسالته فيه، ثم تقويم هذه الرسالة.

---

[1] روائي فرنسي (١٩٦٠)، منح جائزة نوبل في الأدب عام ١٩٥٧.

[2] هلال، عنيمي، ص ٣٢٧

[3] عبد الله ، ص ٥٤

كان لدراسات سارتر الوجودية ودعوته إلى الالتزام صداها في النقد الأدبي العربي([١]). بدأ، بعد الحرب العالمية الثانية، في العالم العربي كله، جيل من الشباب يؤمن بأنهم يمرون في مرحلة من تاريخهم التي تحتاج إلى طاقة محركة بناءة تنهض أولا بعبء وطني وثانيا بعبء التزام فلسفة اجتماعية، تهدف إلى إرساء قواعد المجتمع الاشتراكي الجديد([٢]). كان سهيل إدريس (٢٠٠٨) من أوائل الذين تأثروا بالوجودية وكان أول من استعمل الوجودية في الرواية العربية([٣]). دعت مجلته "الأدب" التي كانت تصدر من بيروت، في عددها الأول في يناير ١٩٥٣، إلى الالتزام. كان محمد مندور وسلامة موسى يدعوان إلى الالتزام في الأدب العربي. يرى عبد الرحمن الخميسي أنه ليس فنانا من لا يعبر عن رأي ويلتزم به([٤]). ظهر الالتزام في الشعر العربي حوالي آخر منتصف القرن العشرين، في نوع التجارب وفي الموضوعية وفي الصياغة([٥]). ومن شعراء الوجودية في الشعر العربي: فوزي المعلوف وخليل حاوي وأدونيس.

الفلسفة الجمالية

تحفل الفلسفة الجمالية بالمتعة الفنية في العمل الأدبي، مهونة من شأن المضمون في ذلك العمل، ومن غايته الاجتماعية كذلك، وبتأثير هذه الفلسفة نشأ مذهب الفن للفن، والرمزية والتأثرية أو الانطباعية والتعبيرية([٦]) في النقد.

---

[١] خفاجي ، ص ١٠٧

[٢] العشماوي ، ص ١١٨

[3] Islamika Vijnana Kosham, (1997), Vol. II, Islamic Publishing House, Calicut, p. 586

[٤] خفاجي ، ص ١٠٧

[٥] هلال، غنيمي، ص ٤٥٨

[٦] مذهب فني يستهدف التعبير عن المشاعر أو العواطف والحالات الذهنية في نفس الفنان.

٧. الرمزية Symbolism

الرمزية مذهب أدبي فلسفي، يعبر عن التجارب الأدبية والفلسفية المختلفة بواسطة الرمز أو الإشارة أو التلميح. الرمزية هي التعبير عن المعاني والأشياء بواسطة الصور والرموز، وهي مأخوذة من الرمز، ومعناه في اللغة الإشارة أو الإيحاء بأحد أعضاء الإنسان. الرمزية لا تخلو من مضامين فكرية واجتماعية، تدعو إلى التحلل من القيم الدينية والخلقية، بل تتمرد عليها، مسترة بالرمز والإشارة. والرمزية طريقة قديمة العهد عرفت عند اليونان والكلدان. الرمزية بخصائصها المتميزة لم تعلن إلا عام ١٨٨٦م، إذ أصدر عشرون كاتبا فرنسيا بيانا في إحدى الصحف يعلنون ميلاد المذهب الرمزي. ومن أبرز الشخصيات للرمزية: بودلير Charles Baudelaire(١٨٦٧) وأوسكار وايلد Oscar Wilde (١٩٠٠). الرمزية في الشعر الحديث تمثل مرحلة تسمى مرحلة شعر التفعيلية أو الشعر الرمزي أو شعر النزعة الاشتراكية الشعبية أو الشعر الحر. يلجأ الشاعر في الصورة الشعرية إلى عملية التكشيف الزماني والمكاني في تشكيل الصورة. ومن أبرز الظواهر الفنية التي تلفت النظر في تجربة الشعر الجديدة هي الإكثار من الاستخدام بالرمز والأسطورة والإيغال في الغموض المحبب أداة للتعبير. وأصبح الشعر صورة حية للفلسفة. ولدت الرمزية كرَد فعل للواقعية والطبيعية Naturalism([1])، والأدب الرمزي محاولة من الأديب للإفصاح عن العالم اللاوعي([2]) والعواطف المكبوتة في أعماق النفس البشرية، فهو أدب انطباعي يقتضى التأمل العميق لتفهم الموضوع. ولم تقتصر الرمزية على الأدب، بل تعدى إلى الفنون الأخرى، فظهرت في الرسم مدرسة الانطباعية Impressionism والتعكيبية Cubism ([3]).

---

[1] مذهب في الفن والأدب نشأ في فرنسا عام ١٨٨٠ وتميز بالنزوع إلى تطبيق مبادئ العلوم الطبيعية وأساليبها.

[2] الشنطي، محمد صالح، (٢٠٠١)، الأدب العربي الحديث، ط: ٣، حائل: دار الأندلس، ص ٢٢٢

[3] مذهب فني يصور الأشياء لا كما يراها الفنان بل كما يفهمها بنيويا، وذلك في مكعبات وأشكال هندسية أخرى.

كان للرمزية أثرها الواضح في الأدب العربي ونقده. فتطور الشعر العربي من الغنائية الصوفية إلى الغنائية الفكرية الكثيفة المعقدة التي تتمثل في القصيدة الدرامية. كان أصحاب مجلة "الشعر" التي تصدر من لبنان هم رواد الشعر الرمزي في الأدب العربي. ظهر الشعر الرمزي في العربية قبل ١٩٣٥. كان بشر فارس (١٩٦٢) وأديب مظهر (١٩٢٨) وسعيد عقل هم رواد الشعر الرمزي. وفي رأي بعض النقاد، إن مصطفى صادق الرافعي أول من أدخل الرمزية في العربية([١]). ومن أشهر الشعراء الرمزيين: يوسف الخال وأدونيس وخليل حاوي وبدر شاكر السياب ونزار قباني.

اختلف النقاد في الغموض والوضوح اختلافا كبيرا. نقد البعض المذهبَ الغموضي، ومنهم عباس فضلي، وغيره، وكذلك رآه أحمد أمين يرجع في كثير من أسبابه إلى "فقر اللغة وقصورها عن الإفصاح عن عواطف الشعراء النفسية". ولكن العقاد يرى أن وراء الغموض في الشعر والأدب إبداعا فنيا. وهو رأيُ د/ طه حسين ولفيف من النقاد. ينكر شكري الرمزية وكذلك أحمد حسن الزيات (١٩٦٨) الذي رآها نوعا من الحذلقة. تأثرت مدرسة المَهجر في أمريكا الشمالية والجنوبية بالرمزية أكثر من أية مدرسة أخرى في العالم العربي. يرى الناقد اللبناني مارون عبود (١٩٦٢) أن جبران خليل جبران هو مؤسس الرومانطيقية والرمزية في العربية([٢]). اجتمعت أفكار جبران في الرمزية وأفكار نيتشه([٣]) Nietzsche وشابهت أحلامه أحلام وليم بليك Blake (١٨٢٧)([٤]). ظهر الشكل الجديد للقصيدة في نثر جبران والشعر المنثور لأمين الريحاني (١٩٤٠) وتوشيحات المهاجرين والشعر المرسل لشكري و"بلوتولاند" للويس عَوَض، و"رسائل من

---

١ الجوزو، مصطفى، مصطفى صادق الرافعي، دار الأندلس، ص ٢٩٥

٢ الشنطي ، ص ٢٢١

٣ فيلسوف ألماني (١٩٠٠) الذي بشر بـــ"الإنسان الأعلى".

4 Sudhira, K P, (2007), Khalil Jubran : Anashwarathayude Rahasyam, Calicut: Olive, P 51

لندن" لمصطفى بدوي([1]). والرمزية عند توفيق الحكيم (١٩٨٧) تعكس اتجاها تجريديا، والرمزية عنده ذات مستوى ذهني واحد تتجسد فيه النوازع الإنسانية في شخصيات مستقلة، مثلا في "بجماليون" يغلب نداء الفن الخالص على نداء الحياة([2]).

•**الشعر الحر Free Verse** من آثار الرمزية. بدأت محاولات التجديد بالدعوة إلى التخلص من رتبة القافية. أطلق على هذا الاتجاه اسم الشعر الحر، ترجمة للمصطلح الفرنسي Vers Libres. الشعر الحر هو شعر بدون وزن وقافية خلافا من الشعر التقليدي. إن التفعيلية هي النظام الذي يعتمد عليه الشعر الحر لأن التفعيلية ذاتها بنية موسيقية منظمة، وقد تتنوع التفعيلية بين سطر شعري وآخر فتكون في السطر الأول "مفاعيلن" وفي السطر الثاني "فاعلن"، وقد ينتقل الشاعر من تفعيلية إلى تفعيلية أخرى مع انتقاله من مقطع في القصيدة إلى مقطع آخر. والشعراء الحديث قد تأثروا بشعراء الغرب مثل إليوت T.S.Eliot (١٩٦٥) وبدأوا أن ينظموا الشعر الحر. يقال قد ظهر الشعر الحر أولا في العراق.

يعتبر علي أحمد باكثير (١٩٦٩) أول من اتجه إلى الشعر الحر في العربية([3])، ثم تابعه نازك الملائكة (٢٠٠٧) والسياب وأبو شادي ومحمد فريد أبو حديد (١٩٦٧) وخليل الحاوي وخليل شيْبوب (١٩٥١) وبُلند الحيدري وفؤاد الخشين وجبرا إبراهيم جبرا (١٩٩٤) ومحمد منير رمزي (١٩٤٥) ومحمد الماغوت وتوفيق صانغ. زعمت نازك الملائكة أن قصيدتها "الكوليرا" كانت أول قصيدة([4]) في الشعر الحر في العربية. دعت في مقدمة ديوانها "شظايا ورماد" الذي صدر عام

---

[1] العشماوي ، ص ١٢٧.

[2] هلال، غنيمي، ص ٥٦٤.

[3] الشنطي، ص ٢٣١.

[4] نفس المرجع ، ص ٢٣٢.

١٩٤٩ إلى التحرر من رتبة القافية، ومن وحدة النغم، إلى شعر مبهم([1]). هناك ثلاث اتجاهات رمزية في الأدب العربي: الرمزية الجمالية، ورائدها سعيد عقل، والرمزية الميتافيزيقية، ورائدها بشر فارس، ورمزية التعبير ومن ممثليها حسن كامل الصَيرفي (١٩٨٤) وعلي محمود طه (١٩٤٩)([2]). أدعم كثير من النقاد حركة الرمزية مثل أحمد أمين وسهير القلماوي وتوفيق الحكيم ومحمد مندور والسحرتي، وخالفهم في ذلك كثيرون، ومن بينهم عزيز أباظة (١٩٦٩) ووديع فلسطين والعقاد، وسموا ذلك نثرا لا شعرا.

٨. " الفن للفن " *Art for art's sake*

حركة في الأدب والفن تقول بأن الفنان حر في تصوير الجمال أو خلقه من غير اعتبار للأخلاق وبصرف النظر عن النتائج الاجتماعية. وضع أساسها الفلسفي، في القرن الثامن عشر، عمانوئيل كانت Kant([3]) الذي أكد على أن الجمال غاية تقصد لذاتها، ليس وسيلة لأي غاية أخرى، وحمل لواءها في القرن التاسع عشر نفر من الكتاب والفنانيين الفرنسيين الذين رفعوا شعار l'art pour l'art (الفن للفن) تعبيرا عن احتجاجهم على طابع "الغِش" الذي غلب على الفن في العصر الحديث. تزعم هذه الحركة تيوفيل غوتييه Theophile Gautier([4]) وشارل بودلير Charles Baudelaire([5]) وأوسكار وايلد Oscar Wilde([6]). قد أعلنوا جميعا تقديسهم للجمال بوصفه قيمة عليا وطلقة، وتجنبوا للدفاع عن صفاء الفن([7]). تأثر النقاد العرب بشعار "الفن

---

[1] مكي، طاهر أحمد، (١٩٨٦)، الشعر العربي المعاصر، ط ٣، القاهرة: دار المعارف، ص ١٥٢

[2] الشنطى ، ص ٢٢٤.

[3] فيلسوف ألماني (١٨٠٤)، الذي يعتبر أحد أعظم الفلاسفة.

[4] شاعر وروائي فرنسي (١٨٧٢)، الذي يعتبر من أركان المدرسة البرناسية.

[5] شاعر فرنسي (١٨٦٧) تميز شعره بطابع إباحي.

[6] شاعر وروائي وكاتب مسرحي أيرلندي (١٩٠٠)، الذي يعتبر من أبرز رواد الفن للفن.

[7] البعلبكي ، ج ١، ص ١٧٢

للفن". وفي أواخر الخمسينات وحتى منتصف الستينات انقسم النقاد في مصر (والوطن العربي فيما بعد) إلى فريقين، يرفع أحدهما شعار "الفن للفن"، ويتصدره رشاد رشدي، ويرفع الآخر شعار "الأدب في سبيل الحياة"، ويتصدره محمد مندور([١]). كان رشاد رشدي يهتم بالجمالية([٢]) والشكل دون المضمون([٣]). دعا توفيق الحكيم إلى مذهب الفن للفن، ويرى أن الفن ليس من الضروري أن يكون له غاية اجتماعية أو سياسية أو دينية أو غير ذلك، إنما هدفه الأول أن يكون فنا جميلا فحسب([٤]).

٩. التصويرية Imagism

حركة أدبية ظهرت في أمريكا وبريطانيا بوصفها ثورة على التفكير اللامبالي والرومانطيقية المتفائلة. أكدت على الشعر الحر والصور الشعرية الدقيقة، الواضحة إلى حد الجفاف. تعتبر الصورية خلفا للرمزية، مع فارق أساسي هو أن الرمزيين حاولوا أن يعقدوا بين شعرهم وبين الموسيقي صلة ورحما، في حين سعى الصوريون إلى أن يجعلوا من شعرهم ضربا من النحت([٥]). لا تهتم الصورية بأية رسالة للشعر من اجتماعية أو مدنية. وصلت التصويرية بلاد العرب عبر ت. س. إليوث، من ممثلي الصورية. كتب إبراهيم ناجي (١٩٥٣) أن الشعر يجب أن يكون أسلوبه معبرا بالصور. والتجربة، عند محمد غنيمي هلال (١٩٦٨)، تكون بوساطة الصورة الكلية أو الصورة الجزئية، أي أن يكون وسيلة التجربة في الصورة، هذا هو رأي كثير من النقاد مثل ماهر حسن فهمي.

---

١ عبد الله ، ص ٩٧.

٢ القول بأن الجمال هو المبدأ الأساسي، وبأن سائر المبادئ كالخير وغيره من المبائدئ الأخلاقية مشتقة منه.

٣ هلال، غنيمي، ص ٢٩٧.

٤ خفاجي، ص ١٥٨.

٥ البعلبكي، ج ٥ ، ص ١٧٦

ت. س. إليوث T.S. Eliot

الناقد الأمريكي يمثل – في آن واحد– المدرسة الأمريكية الجديدة -أول عهده بالنقد- ثم النزعة الإنسانية([1]) بعد. وفي أول عهد إليوث بالنقد، كان همه كله منصرفا إلى توفير الأسس الجمالية في العمل الأدبي. فالعمل الأدبي بديل من الفلسفة، فليس خادما لها ولا دليلا عليها، فالعمل الأدبي ليس وسيلة، ولكنه غاية في ذاته([2]). يؤكد إليوث استقلال الأدب عن حياة كاتبه نفسه. وعنده إن العمل الأدبي لا يمكن أن يكون إلا صورة لنفسه فقط([3]). ولكن إليوث في مرحلته الثانية نزع إلى الواقعية الكلاسيكية المحدثة. كان إليوث هو أكبر الأدباء الغربيين تأثيرا في عقل العالم النقدي العربي. "الأرض الخراب" The Waste Land لإليوث قصيدة عالمية وجدت تأثيرها عند عالم القرن العشرين كله. التقت القصيدة بنفوس كثيرين من الشعراء العرب الشباب الذين تأثروا بأسلوب إليوث فحاولوا تقليده والتأثر باتجاهه الفني([4]). يعترف صلاح عبد الصبور في كتابه "حياتي في الشعر" بأنه متأثر([5]) بما دعاه "جسارة إليوث اللغوية". هنا شبه تام بين "الأرض الخراب" لإليوث و"المومس العمياء" لبدر شاكر السياب([6]).

١٠. النقد الجديد New Criticism

النقد الجديد نظرية نقدية أمريكية نشأت في العشرينات والثلاثينات من القرن العشرين تؤكد أهمية قراءة نص من النصوص كعمل فني مستقل وكامل. وهذه النظرية هي واحدة من أهم التيارات في الأدب النقدي الحديث. وهي تمثل فلسفة في التحليل الأدبي يؤكد أهمية دراسة

---

[1] حركة تعزز النزعة الفردية، وروح النقد، والتأكيد على ضرورة الانشغال بقضايا الإنسان وهمومه الدنيوية.

[2] Eliot, T.S., The Sacred Wood, P: 66

[3] Blaimires, Harry, (2000), A history of literary criticism, New Delhi: Macmillan, P 325

[4] زكي، أحمد كمال، النقد الأدبي الحديث : أصوله واتجاهاته، بيروت: دار النهضة العربية، ص ٢٣٦.

[5] عبد الله ، ص ١٠٤.

[6] العشماوي ، ص ١٢٩.

النصوص الأدبية كأعمال فنية كاملة بحد ذاتها. ومع أن مصطلح "النقد الجديد" وضع في القرن التاسع عشر إلا أنه لم يلق رواجا في الأوساط الأدبية والأكاديمية قبل أن يكتب الناقد والشاعر الامريكي جون كرو رانسوم John Crow Ransom كتابا سماه "النقد الجديد" في ١٩٤١. من الناحية العملية كان النقاد الجدد يردون على تيارات راسخة في النقد الأمريكي، مركزين على أهمية النص الأدبي في التعبير عن نفسه بدل التركيز على السياق العام الذي يوجد فيه النص. وهناك الكثير من الخلافات بين أنصار نظرية النقد الجديد. وهناك خلافات كثيرة في طريقة التعامل مع النص الأدبي بين هؤلاء الأنصار بالرغم من الاتفاق على الأهمية التي أولوها للنص. وفي الثلاثينات من القرن العشرين ظهر عدد كبير من النقاد الجدد، ولكن كان من الصعب تصنيفهم في فئة واحدة. يمكن تصنيف نقاد من أمثال جون كرو رانسوم وألان تيت[١] Allen Tate وكلينث بروكس[٢] Brooks Cleanth وروبرت بن وارين[٣] Robert Penn Warren في فئة قادة ما يعرف بـ"نقاد الجنوب". ويصنف هؤلاء في فئة واحدة نظرا إلى موقفهم من المدارس النقدية التي كانت قائمة قبل النقد الجديد مثل النقد الانطباعي والنقد الإنساني والنقد الطبيعي والنقد الماركسي. والواقع أن كثيرا من هؤلاء النقاد عملوا أساتذة للنقد في جامعات جنوب الولايات المتحدة في الفترة التي كانوا يعملون فيها على تشكيل مدرسة النقد الجديد. ويعود الفضل إليهم في جعل النقد نفسه موضوعا أكاديميا رئيسيا.

---

١ جون ألان تيت John Orley Allen Tate (١٨٩٩-١٩٧٩) شاعر وكاتب أمريكي. اشتهر بمقالاته الاجتماعية والأدبية.

٢ كلنت بروك Cleanth Brooks (١٩٠٦-١٩٩٤) هو ناقد وأستاذ أمريكي مشهور، يعرف بمساهماته في النقد الجديد في القرن العشرين. اشتهر بتدريس الشعر في الدراسة العالية الأمريكية. من آثاره: دراسات في تركيب الشعر، والشعر الحديث والتراث. ساعد بروك بكتاباته لتكوين النقد الشكلي.

٣ واران Robert Penn Warren (١٩٠٥-١٩٨٩) شاعر وروائي وناقد أدبي أمريكي، من مؤسسي النقد الجديد في أمريكا. هو الشخص الوحيد الحاصل على جائزة بلتزر Pulitzer Prize في القصة والشعر. وكان وارن قد تُوّج شاعر الولايات المتحدة الأول في عامي ١٩٨٦ و١٩٨٧م.

يصف البعض النقد الجديد وصفا مبسطا لا يتطابق مع الواقع فيقولون إنه حركة نقدية تروج لفكرة الفن من أجل الفن. ولكن نقادا من أمثال جيرالد غراف Gerald Graff وغيره يقولون إن النقد الجديد يهتم أيضا بسياق النص الأدبي وتاريخه. ويعتقد النقاد الجدد أنه من أجل أن نفهم عملا أدبيا فهما حقيقيا لا بد أن نتبنى نسقا تاريخيا متكاملا نعتمد عليه في الحكم على النص الأدبي. النقد الجديد يعتبر العمل الأدبي كاملا ومستقلا بحد ذاته. يضاف إلى ذلك أن أصحاب النقد الجديد يولون أهمية خاصة لدور النقد في حقل التعليم – فهم يعتقدون أن النقد يلعب دورا مهما في مساندة الشعر واللغة وفي المساعدة على تطويرهما. فالنقد الجديد جزء أساسي في التطور الاجتماعي. وهو يهدف إلى تفسير النص الأدبي من طريق دراسة تقنيات النص وبنيته وأفكاره وأغراضه. وكثير من الخصائص الأدبية التي أولاها النقد الجديد أهمية خاصة موجودة في الأعمال النثرية للشاعر الرومانسي ساميويل تيلر كوليردج Samuel Taylor Coleridge. واعتبر النقاد الجدد ما كتبه كوليردج في النظرية النقدية أساسا ارتكزت عليه المبادئ التي توصلوا إليها في النقد الأدبي.

ومع أن النقاد الجدد طبقوا مبادئ نظريتهم في دراسة الأجناس الأدبية على اختلاف أنواعها إلا أنهم اعتبروا الشعر بخاصة على رأس هذه الأجناس بصفته أفضل معبر عن القيم الأدبية التي اعتنقوها. وقد عملت جماعة صغيرة من النقاد شملت وارين ورانسوم وتيت على تحديد ما يعتبرونه جميلا من الناحية الأدبية وخاصة في الشعر. وفي وقت لاحق وسع النقاد الجدد مفهومهم للجمالية الشعرية وتوصلوا إلى أن الشعر كعمل فني هو الشكل النهائي للتواصل، وهو كامل في معناه وفي شكله. ومن أهم من كتبوا في نظرية الشعر في النقد الجديد آي. أي. ريتشاردز .I. A. Richards، ففي كتابه" النقد العملي" ١٩٢٩، جاء بتجارب في التفسير النقدي للشعر، وطلب فيها من طلابه أن يدرسوا قصائد لم يعرفوا شيئا عن مؤلفيها ولا حتى عناوينها.

فتكشفت دراسات الطلاب عن أشكال مختلفة اختلافا كبيرا في فهم القصائد. ومن هنا تأتي أهمية تدريس التفكير النقدي والتحليل النقدي.

١١. التأثرية Impressionism

كان للفلسفة الجمالية أثر في دعوة المدرسة التأثرية أو الانطباعية في النقد. ومبدأها: النقد للنقد، كما أن الأدب للأدب. ومن آباءها: وليم هازليت William Hazlitt (١٨٣٠) ولامب[١] Charles Lamb. يقول هازليت: "أقول ما أفكر، وأفكر ما أشعر، ولا أستطيع أن أمنع نفسي من أن تتأثر بأنواع من التأثر تجاه الأشياء" ("Works", Hazlitt)[٢]. يهتم الناقد التأثري بأن يسجل خواطره على الحالة التي تبدو له نتيجة مباشرة لقراءته. التأثرية هي استجابة لشعور حركته في ذهن الناقد قراءة عمل إبداعي[٣]. يوجد تأثير هازليت في كثير من النقاد العرب مثل العقاد والمازني وطه حسين والرافعي والزيات. والانطباعية تغلب على آراء بعض النقاد مثل شكر الله الجُر (١٩٧٥)[٤] ويحيى حقي (١٩٩٣) ويوسف الشاروني[٥].

١٢. التعبيرية Expressionism

التعبيرية هي حركة أدبية سادت في ألمانيا وامتدت من ١٩١٠ إلى ١٩٢٥. وقد انطلقت هذه الحركة من ألمانيا إلى باقي الدول الأوربية. وقد تأثرت التعبيرية في ألمانيا أسلوبيا بالكاتب

---

١ كاتب وناقد إنجليزي (١٨٣٤)، يعد أحد أبرز كتاب المقالة في الأدب الإنجليزي.

٢ هلال ، ص ٣٠٨.

٣ عبد الله ، ص ٢١.

٤ رحمة الله، (٢٠٠٥)، الأدب والنقد عند العرب، كالكوت: مكتبة الهدى، ص ٢٩٣

٥ زكي، ص ١٩٠

السويدى أوجوست سترندبرج([١]) August Strindberg والشاعر الأمريكي والت وتمان Walt Whitman. أما من ناحية المضمون فقد استند الأدباء التعبيريون إلى الأدباء الروس مثل ليو تولستوي Tolstoy ودوستوفسكي Dostoevski. كما أثرت الأعمال الشعرية للشاعر الفرنسي رامبو([٢]) "الإشراقات" وديوان الشاعر الفرنسي بودلير Baudelaire "أزهار الشر" بشكل حاسم في الأعمال المبكرة لعصر التعبيرية.

قد نظر أدباء التعبيرية بعين الشك إلى النزعة الوطنية والعسكرية، وآثارها الاجتماعية السلبية. كانوا يهتمون في الأساس بالمضمون والإرادة والموقف الأخلاقي. والتجربة الداخلية للفنان والأديب لابد من أن تظهر على السطح في شكل مستفز في أغلب الأحيان (أى من خلال التعبير عما يدور في داخله) فيمكن أن نعد الأسلوب التعبيرى مناقضا للأسلوب التأثيرى الذي يظل مرتبطا بالسطح الخارجى (التأثيرات التي تأتى إلى الفنان من الخارج). وتختلف التعبيرية عن الطبيعية التي تحاكى الواقع الخارجى بشكل مفصل في أنها تقتصر على وصف المهم. واصطبغ الفن والأدب بمشاهد الحرب وانهيار العالم التي انعكست في العمال الفنية والأدبية في ذلك الوقت. ومن أهم أدباء التعبيرية: صمويل بيكيت([٣]) Samuel Beckett وكافكا Franz Kafka ([٤]) وإرنست بارلاخ Ernst Barlach ([٥]).

---

[١] August Strindberg (١٨٤٩-١٩١٢) روائي وكاتب مسرحي سويدي، كان ذا أثر كبير في تطور المسرحية الأوروبية والأمريكية.

[٢] رامبو(١٨٥٤-١٨٩١) شاعر فرنسي، يعتبر الأكثر عبقرية بين شعراء فرنسا، من آثاره: "القذارة"، و"بالخربشات".

[٣] Samuel Beckett روائي وكاتب مسرحي إيرلندي، منح جائزة نوبل في الآداب لعام ١٩٦٩.

[٤] Franz Kafka (١٨٨٣-١٩٢٤) روائي نمساوي، تميزت آثاره بتصوير قلق الإنسان الحديث.

[٥] Ernst Barlach (١٨٧٠-١٩٣٨) أديب ونحات ومسرحي ألماني، يعد أحد أدباء الحركة التعبيرية في ألمانيا، من آثاره: "اليوم المبيت" و"طوفان الخطيئة".

١٣. اتجاه تَين H. A. Taine

يعتبر الناقد الفرنسي هيبوليت أدولف تين (١٨٩٣) رائد النقد الموضوعي في العصر الحديث. كان تين يعتبر النقد الأدبي علما يسير على مناهج مدروسة. وبيّن أن الأدب يخضع لعناصر ثلاثة: الجنس والبيئة والزمن[١]. أدخل تين النزعة التاريخية في النقد الأدبي[٢]. كان تين من أقوى المؤثرين ودعا إلى المنهج التجريبي [٣] ويؤكد المنهج العلمي الموضوعي[٤]. تأثر به طه حسين كثيرا في "ذكرى أبي العلاء".

١٤. اللانسونية Lonsonism

هي مدرسة تنسب إلى الناقد الفرنسي لانسون Gustave Lonson. تسيطر اللانسونية على النقد الأكاديمي في العالم. لانسون هو ناقد ذاتي وتأثري[٥]. تعتمد اللانسونية على المنهج التاريخي في النقد الأدبي. كان لها تأثيرها في النقد العربي. ومن اللانسونيين في النقد العربي: طه حسين ومحمد مندور وأحمد ضيف (١٩٤٥). يجمع طه حسين المنهج الفني لجول ليمتر والمنهج النفسي لسانت بيف والنقد الاجتماعي لتَين والنقد التاريخي للانسون. دعا طه حسين إلى تطبيق المنهج التاريخي في الدراسة الأدبية ضمن كتابه "في الشعر الجاهلي" وحاول تطبيقه[٦]. إن طه حسين هو الاسم الأشهر في مجال تحديث النقد الأدبي[٧]. قام طه حسين في كتابه "في الشعر الجاهلي" (١٩٢٦) وفي بعض كتبه النقدية بمقياس تاريخية ونفسية للنقد الأدبي. واستعمل طه حسين

---

١ كارلوني وفللو، تطور النقد الأدبي في العصر الحديث ، ترجمة: جورج سعد يونس ، بيروت: دار مكتبة الحياة، ص ٤٧

٢ نفس المصدر، ص ٧٥

٣ المذهب الحسي، مذهب فلسفي يقصر المعرفة على ما يمكن إدراكه بالاختبار الحسي.

٤ عبد الله ، ص ٦١

٥ مرزوق، حلمي، (١٩٨٠)، مقدمة في دراسة الأدب الحديث، بيروت: دار النهضة العربية، ص ١٣٨

٦ حنون، عبد المجيد، (١٩٩٦)، اللانسونية وأثرها في رواد النقد العربي الحديث، الهيئة المصرية العامة، ص ١٦١

٧ عبد الله ، ص ١٧

منهج ديكارتRene Descartes([1]) في الشك في أحكامه على الشعراء الجاهليين. فنقد شعر العصر الجاهلي نقدا قائما على الشك في كل شيء، وقد بنى على هذا الشك نظريته في انتحال الشعر الجاهلي.

١٥. البَرناسية Parnassian School

مدرسة في الشعر ازدهرت في فرنسا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر كرد فعل للرومانطيقية، أكدت على الموضوعية([2])، وجمالية الشكل، والكمال التقني بأكثر من تأكيده على الشحنة العاطفية. دعا إلى الأخذ بمبدأ "الفن للفن"([3]). يعتبر دو ليل Le Conte de Lisle (١٨٩٤) زعيم البرناسية، ويعتبر تيو فيل غوتييه Gautier وسولّي برودم Sully Prudhomme([4]) وتيودور دو بانفيل Banville([5]) من أبرز أركانها. البرناسية مدينة باسمها هذا لمجموعة شعرية أسهم شعراء المذهب في إصدارها في ثلاثة مجلدات تحت عنوان "جيل البرناس المعاصر" *le contemporain parnasse*([6]). تؤمن المدرسة بأن الحياة تقليد للفن وليس العكس، وتلاحظ تعزل الأدب من قضايا الحياة الاجتماعية والسياسية، وتجعله غاية في حد ذاته. تدعو البرناسية كالرومانطيقية إلى العناية بالصور الشعرية في وحدتها العضوية، وإن كانوا لا يعتقدون في الإلهام، وينادون بالموضوعية.

---

[1] فيلسوف وفيزيائي ورياضي فرنسي (١٦٥٠) الذي يعتبر مؤسس الفلسفة الحديثة.

[2] أحد نظريات فلسفية مختلفة تؤكد على الحقيقة الموضوعية.

[3] البعلبكي، ج ٧ ، ص ٢٠٨

[4] اشتراكي فرنسي (١٩٠٧)، شجب الملكية الشخصية.

[5] شاعر فرنسي (١٨٩١) من أركان مدرسة البرناسية.

[6] قبش، ص ٢٥٩

البرناسية هي مدرسة الصياغة أو البناء، وهي حركة مهمة وجديدة منذ أن أدخل ستراوس Claud Levi-Strauss([1]) الأفكار الفلسفية وعلوم الاجتماع على النقد الأدبي. إنها تبين الأسلوب اللغوي لستراوس، وقد شاركه رومان جاكبسون Roman Jakobson([2]) الذي كان في أول حياته مرتبطا بالصياغة الروسية Russian Formalism([3]). تأثر عدد من الأدباء والنقاد العرب بالبرناسية وبشعارها "الجمال للجمال". الشعر عندهم صناعة، مع جمال فني رائع، بعيد عن الإحساس بالشعور الرومانطيقي. نقلوا لوحات الطبيعة وجسدوا مشاهدها في صور بلاستيكية لا يخلطها بعواطف([4]). كان توفيق الحكيم ورشاد رشدي ونزار قباني من الذين تأثروا بالبرناسية.

١٦. السريالية Surrealism

السريالية أو ما بعد الواقع هي مذهب أدبي فني فكري، أراد أن يتحلل من واقع الحياة الواعية، زعم أن فوق هذا الواقع أو بعده واقع آخر أقوى فاعلية وأعظم اتساعا، وهو واقع اللاوعي، وهو واقع مكبوت في داخل النفس البشرية، ويجب تحرير هذا الواقع وإطلاق مكبوته وتسجيله في الأدب والفن. تسعى السريالية إلى إدخال علاقات جديدة ومضامين غير مستقاة من الواقع التقليدي في الأعمال الأدبية. وهي المضامين تستمد من الأحلام، سواء في اليقظة أو المنام. تعد السريالية اتجاها يهدف إلى إبراز التناقض في الحياة أكثر من اهتمامه بالتأليف. وهي حركة سخط على آلية الحياة الحديثة.

---

[1] Levi-Strauss (٢٠٠٩) عالم الإنسانية، الاجتماعي البلجيكي الفرنسي المعاصر والداعية البارز لما بعد البنيوية.

[2] اللغوي الأمريكي الروسي المولد (١٩٨٢)

[3] مصطلح يقصد به التمسك الشديد بالأشكال الخارجية في الأدب والفن وما إليها، ويهدف إلى تمثيل الأشياء من طريق الشكل الهندسي التجريدي، لا من طريق مظهر الأشياء الطبيعي.

[4] هلال، غنيمي، ص ٤٢١

أنشأها في باريس عام ١٩٢٤ الشاعر الفرنسي أندريه بريتون Andre Breton (١٩٦٦) الذي أصدر في ذلك العام "بيان السريالية" *manifeste du surrealisme* لإعادة الوحدة بين عالمي الوعي واللاوعي على نحو يدمج دنيا الخيال والأحلام بعالم الحياة اليومية العقلاني. السريالية نزعة أدبية متطرفة تدين بالحرية المطلقة، والخروج على كل عرف وتقليد، وهي في الأدب تحتقر الأساليب السائدة في أشكالها وصورها ومجازاتها وكلماتها، وتسخر من العقل وجل إلهاماتها من الأحلام والرؤيا ودفعات اللاشعور. قد تأثرت فيما تأثرت بسيكولوجية فرويد Sigmund Freud ([1])، وفلسفة هيجل Hegal ([2])، وشعراؤها يستمدون تجاربهم الشعرية من الحلم واللاشعور، بدون اهتمام بالإيقاع الموسيقي. ومن أعلامها أرغون Louis Aragon (١٩٨٢)، إيلووار Paul Eluard (١٩٥٢).

لكن السرياليين لا يهتمون بأن ينظموا شعرهم على نظام الشعر الحر، أو الشعر المرسل، أو الشعر المقفى، أو يكون مزيجا من هذه الألوان والأنواع، إنهم في الواقع لم يضعوا أصولا أو قواعد أدبية أو فنية، إنما كل همهم هو إطلاق المكبوتات النفسية ومحاولة تسجيلها في الشعر والأدب والفن([3]). تظهر السريالية عند بعض العرب: نزار قباني وكامل أمين وكامل زهري وعادل أمين وعبد الغفور العطار وعبد الله فيصل وصالح جودت. والسريالية عند محمود حسن إسماعيل تتميز بناحية كلاسيكية في تعبيره، وبناحية رومانطيقية في موضوعاته([4]). كان مصطفى صادق الرافعي في كتاباته يطل على السريالية قبل كل من في بلاد العرب([5]).

---

[1] طبيب أمراض عصبية نمساوي (١٩٣٩)، ومؤسس طريقة التحليل النفسي.

[2] فيلسوف ألماني (١٨٣١) صاحب "المنطق الجدلي الهيغلي".

[3] قبش، ص ٦٣٢

[4] خفاجي، ص ١٧٦

[5] الجوزو، ص ٣٣١

١٧. العبثانية Absurdism

فلسفة العبث، اللامعقول: فلسفة مبنية على أساس من الاعتقاد بأن الإنسان موجود في عالم لاعقلاني *irrational* خلو من المعنى *meaningless* وبأن محاولاته التي يقوم من التماس للنظام أو بحثا عنه تجعله في صراع مع عالمه هذا[١]. لقد كان الفيلسوف الدنماركي كيركيغارد Soren Kierkegaard (١٨٥٥) أول من اصطنع اللفظة بهذا المعنى. لقد ذهب هذا الفيلسوف إلى القول بأن النصرانية هي عبث من العبث[٢]. ويعتبر الكاتب الفرنسي ألبير كامو Albert Camus (١٩٦٠) أول من أكد على هذه الفلسفة، في حقل الأدب. وذلك في روايته "الغريب" *l'etranger* (١٩٤٢). تعد السريالية الفرنسية الأساس لمذهب العبث. جاءت العبثانية كمرآة تعكس وتكبر ما يعاني الإنسان. إن العالم لم يعد يسير على منطق مفهوم أو قابل للفهم، فجميع أساس الفهم المنطقي بين البشر قد أصبح عبثا. ولذلك يرسم أدباء العبثانية لهذا العالم صورا ينعكس فيها اللامعقول.

وقد اشتهر مسرح اللامعقول *Theatre of the absurd*[٣]، ومن روادها صامويل بيكيت Samuel Beckett[٤] ويوجين لونسكو Eugen Lonescu [٥]. يقصد مسرح اللامعقول إلى إظهار تناقضات الحياة والنفس الإنسانية[٦]. كان توفيق الحكيم ممثل مسرح اللامعقول في الأدب العربي. تأثر

---

١ العشماوي، ص ٦٢

٢ البعلبكي، ج ١، ص ٢٦

٣ مسرح العبث، مصطلح يطلق على بعض الأعمال المسرحية الأوروبية والأمريكية. تبدو مسرحية اللامعقول أشبه مسلسلة من الأحداث العشوائية التي لا يربط ما بينها أي رابط، كأنما يقصد من ذلك إلى إظهار تناقضات الحياة والنفس الإنسانية.

٤ روائي وكاتب مسرحي أيرلندي (١٩٨٩).

٥ الكاتب المسرحي الفرنسي الروماني المولد (١٩٩٤)، من رواد مسرح اللامعقول.

٦ لؤلؤة، عبد الواحد (ترجمة)، (١٩٨٢)، موسوعة المصطلح النقدي، ج ٢، بيروت: المؤسسة العربية للدراسة، ص: ١٥-٢٠

توفيق واهتز بالعبثانية([1]) وبصامويل بكيت ويوجين لونسكو. كتب توفيق مقدمة صافية لمسرحية "يا طالع الشجرة" ويتحدث فيها عن مذهب اللامعقول الذي يلغى الزمان والمكان، ويجمع فيها بين المتناقضات. المسرحيات الذهنية لتوفيق مسرحيات اللامعقول، وفيها صراعات بين الإنسان والقوى الإلهية وتنتهى المسرحيات بهزيمة الإنسان أمام هذه القوى الإلهية.

١٨. التحليل النفسي Psycho-Analysis

التحليل النفسي مدرسة نفسية لسيغمند فرويد Sigmund Freud، وهي تفسير السلوك الإنساني تفسيرا جنسيا. وتجعل الجنس هو الدافع وراء كل شيء. التحليل النفسي نظرية وطريقة في معالجة الاضطرابات العصبية، وقوامها محاولة نبش العواطف والأفكار المكبوتة عند المرء ورفعها إلى مستوى الوعي ثم تحليل حصيلة هذه العملية وتفسيرها([2]). وبذلك يزول العصاب *Neurosis* أو الاضطراب العصبي. والتحليل النفسي يعتمد، أكثر ما يعتمد، على تداعي الأفكار (أو المعاني) الحر *free association of ideas* على دراسة الأحلام وتأويلها. ومفاتيح السيكولوجية الفردية عند فرويد ثلاثة: الجنس والطفولة والكبت. يستعمل التحليل النفسي منهجا من مناهج النقد الأدبي([3]). وعلماء النفس يبحثون عما عند الأديب من غريزة حب الاستطلاع، وحب نفسه، وعما عنده من إعجاب. ومن أشهر نقاد التحليل النفسي: هربرت ريد، وريتشاردز، وشارل مورون، وجاستون باشلارد.

الأسس النظرية للنقد الأدبي النفسي

يستمد النقد النفسي معالمه من النظريات النفسية التي يعتمد عليها، وهذه النظريات هي طروحات سغماند فرويد Sigmund Freud، وغوستاف يونغ Gustave Jung، ومدرسة

---

[1] خفاجي ، ص ١٨٥.

[2] The Illustrated Family Encyclopedia, (2007), London: Dorling Kindersley, P 362.

[3] أبو هيف، عبد الله، (٢٠٠٠)، "النقد الأدبي العربي الجديد"، اتحاد الكتاب العرب، ص: ١٧٨.

الجشطالت النفسية Gestalt Psychology. تهدف طروحات فرويد إلى تحديد شخصية الفرد ودراستها من خلال التحليل النفسي. قام فرويد بتشريع الشخصية الفكرية إلى مستويات ثلاثة يقوم على أساسها العمل الأدبي أو الفني، هي "الأنا" Ego و"الهو" Id و"الأنا العليا" Super([1]) Ego. ويستقى الفنان أو الأديب طاقته من الطاقة الجنسية Libido، كذلك يستقى رؤيته الغامضة. فرويد يرجع كل الأعمال والميول والفنون إلى هذه الغريزة الجنسية، فالفن في أصوله صدى للنزعات الجنسية([2])، وهذا المذهب امتداد للمذهب الطبيعي. أغفل فرويد القوى الروحية كما أغفل القوى الفنية الجماعية المدفونة في أعماق اللاشعور. يذهب فرويد إلى أن الأحلام تعبير عن الرغبات المكبوتة في عالم الشعور([3])، فيودعها الإنسان في عالمه اللاشعوري. يستمد الأديب المبدع- عند فرويد - أصول أخيلته وتجاربه الفنية من عالم اللاشعور الفردي، ومن اللاشعور الجماعي عند يونغ([4]) Jung، أحد تلامذة فرويد. خالف يونغ مبدأ فرويد في الطاقة الجنسية وعرفها "دفقة حيوية". تعامل يونغ مع "اللا شعور الجمعي" Collective Unconscious واستنبط منه فكرة النماذج العليا Proto-types التي حلت محل الرموز الفرويدية في تفسير اللاوعي الفردي. تعتمد مدرسة الجسطالت النفسية على البنية النفسية الشاملة، وتقوم على إدراك صفة الكليات، وتعارض التوجه التجزيئي. إن من أهم شروط البنية الجشطالتية هي أن لا يتناقض أي جزء مع الصفة العامة للمجموع.

---

[1] كارلوني وفللو ، تطور النقد الأدبي في العصر الحديث ، ترجمة: جورج سعد يونس ، بيروت: دار مكتبة الحياة ، ص: ١٠٥.

[2] Achutan, M. (2006), "Pashtatya Sahityadarsanam", Kottayam: DC Books, P- 379.

[3] هلال ، محمد غنيمي ، (٢٠٠٥)، "النقد الأدبي الحديث" ، نهضة مصر ، ط ٦ ، ص ٣٥٠

[4] عالم نفسي سويسري (١٩٦١)، أحد أعظم علماء النفس في العصر الحديث.

تأثر النقد الأدبي بالنظريات النفسية

اعتبرت نظريات فرويد الأكثر تأثيرا بين نظيراتها على عملية الخلق الأدبي وكذلك النقد الأدبي([1]). وقد برز الناقد الفرنسي شارل مورون في هذا المجال. اعتمد مورون كشف أسرار اللاشعور للكاتب ومن ثم تفسير آثاره وتسليط الضوع على تداعي الأفكار والقيام بعملية تنضيد النصوص، وهي عملية تشبه عملية التحليل النفسي، أي تحليل المحتويات الشعورية بغرض كشف علاقات خفية تزداد أو تخف درجة لاشعورها وإيضاح العوامل الاجتماعية التي تلعب دروها في تكوين الشخصية الأسطورية للكاتب، وخاصة مرحلة الطفولة. والناقد النفسي الجماعي، عند يونغ، يبحث عن النماذج العليا في الأدب أو الفن على حدود سواء، ويقارن بينها وبين العمل الذي بين يديه لأي أديب أو فنان. وكذلك كانت لنظريات الجشطالتية أثر كبير في النقد الأدبي إذ قدمت منهجية في الإدراك البصري على أساس فهم السمة العامة للكليات الأدبية أو الفنية مما تعتبر في صلب عملية التذوق الفني للعمل.

التحليل النفسي للنقد الأدبي

استعار النقاد من عمليات التحليل النفسي للأحلام الفرضيات الأساسية في عملية اللاشعور والتعبير عن الرغبات الكامنة بعملية التداعى association وكيفية تشكل الرؤية في الأحلام بعمليات مثل الخلط المكاني displacement والخلط الكلامي condensation. يقول الناقد الفرنسي جان بليمان نويل Jean Bellemin Noel في كتابه: "التحليل النفسي والأدب"([2])، إن الأدب يقدم وجهة نظر حول واقع الإنسان ووسطه وحول الكيفية التي يدرك بها الإنسان هذا الوسط والروابط التي يقيمها معه. والتحليل النفسي يقدم نفسه بطريقة مماثلة: إنه والأدب يشتغلان بالطريقة نفسها، فهما يقرآن الإنسان في حياته اليومية وداخل قدره التاريخي. إن أهم

[1] Ryan, Michael, (2007), "Literary Theory: A Practical Introduction", London: Blackwell, P-94
[2] Psychanalyse et literature, 1978.

اكتشاف في نظرية اللاشعور هو بيانها أن الفصل بين مختلف أنشطة الإنسان قد كان فصلا اصطناعيا، فالحلم واللعب والأسطورة والملحمة والرواية والقصيدة ليست موضوعات منفصلة، لأنها من إنجازات نفس اللاشعور.

المحلل النفسي يحكم على النص الأدبي في مناهجه والتحقق من مسلماته النظرية بمراجعة قيمتها الكونية، ويقرأ المحلل النفسي على تعيين بعد جديد للقطاع الجمالي وإسماع ذلك الكلام الآخر بحيث أن الأدب لا يحدثنا عن الآخرين فقط، وبل وعن الآخر فينا. يقرأ المحلل النفسي نفسه بنفسه، عندما يقرأ العمل الأدبي فهو يقرأ فيه نفسه، ويحدث من خلال القراءة ما سجله فرويد في كتابه: ما وراء علم النفس، أي تفاعل لا شعور القارئ مع لاشعور الآخر.

أقام جاك لاكان Jacques Lacan([1]) جسورا بين التحليل النفسي واللسانيات والنظريات الشعرية المعاصرة. اعتبر لاكان الأهم في نص اللاشعور هو قوة دالة وغياب مدلوله. قرأ لاكان آثار إدغار ألان بو Edgar Allen Pau بواسطة التحليل النفسي في "الرسالة المسروقة". ويعتبر هذا الكتاب أساسا في التحليل النفسي.

تطور مدرسة التحليل النفسي في النقد الأدبي العربي

النزعة النفسية في فهم الأدب ونقده وليدة العصر الحديث في النقد العربي، وهي وافدة على النقد العربي من الغرب. دخلت المدرسة الفرويدية في التحليل النفسي في النقد العربي الحديث مثل دراسات العقاد في ابن الرومي([2]) وأبي نواس وشخصية "جحا" والعبقريات الإسلامية . كان الدكتور طه حسين أول من استعمل المنهج النفسي في النقد العربي في دراساته عن أبي العلاء المعري. كان العقاد يهتم بالمنهج النفسي في النقد الأدبي كثيرا ورجع إلى ريتشاردز في أسلوبه،

---

[1] أهم محلل نفسي بعد فرويد وأهم من استتوعب الدرس الفرويدي.

[2] زكي ، أحمد كمال، النقد الأدبي الحديث–أصوله واتجاهاته ، دار النهضة العربية، بيروت ، ص ٢٣٦

فالنقد يثير، في نظر ريتشاردز، جميع الموضوعات السيكولوجية[١]. كَتبَ محمد النويهي عن بشار بن برد وابن الرومي، وبحث محمد كامل حسين في دراسته عن شخصية المتنبي.

نجح محمد خلف الله[٢] وعز الدين إسماعيل وأنور المعداوي في تطبيق المنهج السيكولوجي في النقد العربي كثيرا. اهتم محمد خلف الله في "من الوجهة النفسية في دراسة الأدب ونقده" بقضايا النقد عبر الأزمنة والثقافات متوقفا عن أولئك الذين اهتموا بالنفس، وبالعقل الباطني، وبالذوق الشخصي. حاول عز الدين إسماعيل في "التفسير النفسي للأدب"(١٩٦٢) أن يحلل شخصية المبدع. والتعليل هنا سيكولوجي يربط بين العبقرية والعصاب[٣]. نقد رمزي مفتاح في كتاب "رسائل النقد " العقادَ نقدا تأثريا بالدراسات النفسية. كتب حليم متري دراسته النقدية النفسية عن إبراهيم ناجي وشعره. اشتهر دراسة مصطفى سويف النفسية : "الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر خاصة"[٤]. استعار أحمد باكثير أسلوب طريقة فرويد في مسرحيته "سرّ شهرزاد". الدراسات النقدية اليوم التي تنشر في الصحف والمجلات مملوءة ببحوث علم النفس مثل التحليل النفسي.

مارست المؤلفات حول هذا المنهج تأثيرها طويلا على نحو عميق، وإن كانت الأقل نحو تكون النقد الأدبي النفسي، إذ انصرف غالبية النقاد المعتبرين إلى إدغام التحليل النفسي أو إنجازات علم النفس في مناهجهم التكاملية التقييمية. وتعود هذه المؤلفات إلى أواخر الأربعينات من القرن العشرين مع كتاب الناقد المصري حامد عبد القادر: "دراسات في علم النفس الأدبي" (١٩٤٩)، ثم توالت المصنفات التي وضعها المشتغلون بالفلسفة وعلم النفس، بالإضافة إلى نقاد الأدب، وهي "علم النفس والأدب" (١٩٦٢) لسامي الدروبي (سورية)، و"الأسس النفسية

---

١ خفاجي، د. محمد عبد المنعم، (٢٠٠٢)، "مدارس النقد الأدبي الحديث"، القاهرة: دار المصرية اللبنانية، ط: ٢، ص ١٢٩.

٢ زكي ، ص ٢٥٩

٣ عبد الله ، د. محمد حسن، (٢٠٠٥)، "مداخل النقد الأدبي الحديث" ، القاهرة: دار المصرية السعودية، ص ١٢٣

٤ عبد الله ، ص ١٤٥

للإبداع الفني في الرواية" (١٩٧٥) لمصري عبد الحميد حنورة، و"الأسس النفسية للإبداع الفني في المسرحية" (١٩٨٠) لمصري عبد الحميد حنورة أيضا.

خصص شاكر عبد الحميد (مصر) جهده للنقد النفسي، فسار أولا على درب مصطفى سويف ورواد علم النفس العرب الآخرين، أمثال مصطفى صفوان ويوسف مراد، فألف أولا في هذا المجال كتابه "الأسس النفسية للإبداع الأدبي، في القصة القصيرة خاصة" (١٩٩٢)، وهو بالأصل أطروحة ماجستير بإشراف العالم مصطفى سويف، رائد هذه الدراسات في الوطن العربي.

ومن الواضح، أن أمثال هذه الدراسات أقرب لعلم النفس والتحليل النفسي، منها إلى النقد الأدبي، حيث تضع المبدع وإبداعه في مختبر نفسي وسلوكي، وهو ما تؤكده اقتراحاته النهائية عن الكفاءة والتجديد في الإبداع، فانصرف عن الإبداع نفسه (النصوص) إلى مواد التحليل النفسي المختلفة ليحكم على القصة في ثنائية الأصالة والمؤثرات الأجنبية، أي تأثيرات المثاقفة الموصولة، على أن الإبداع أدخل في مفهوم كفاءة الحرفة، مميزا إياها عن اندفاعية القصاصين إلى الجدة، تأثر بمبدعين أجانب مثل تشيخوف وموبسان وأدجار آلان بو في البداية، خلال الأربعينات والخمسينات من القرن العشرين، وهمنجواي وناتالي ساروت وجيمس جويس وآلان رون جرييه وميشيل بوتور في الستينات، وماركيز وكاواباتا في الثمانينيات.

وأخلص عبد الحميد لهذا المنهج، أي دراسة الأدب بأدوات علم النفس والتحليل النفسي، في كتابه: "الأدب والجنون" (١٩٩٣). وتحدث فيه عن قضية العلاقة بين الإبداع الفني والمرض العقلي. وقد مهد عبد الحميد لبحثه بلمحة عن تاريخ المرض النفسي، والمرض العقلي في ذلك التداخل بين الخيال والأحلام والواقع. تركز عبد الحميد على شخصية المؤلف أكثر من أعماله

الإبداعية، وقد كان المحور الأساسي الذي قام عليه منهج تحليل الأعمال الأدبية هو الاستفادة من بعض المناهج الشائعة في مجال الطب النفسي([1]).

أكمل عبد الحميد جهده في مجال علم النفس الأدبي بتعريب كتاب "الدراسة النفسية للأدب"([2]) لمارتين ليندلاور Martin Lindaur في ١٩٩٣، وكرس عبد الحميد وجهة النظر في العلاقة الوثيقة بين علم النفس والأدب، حيث أنهما يشتركان – رغم اختلاف مناهجهما – في الاهتمام بالخبرة والسلوك والشخصية الإنسانية([3]).

والحق، أن حركة التأليف والتعريب في علم النفس الأدبي لم تتوقف، فقد وضع خير الله عصار (الجزائر) كتاب حمل عنوان "مقدمة لعلم النفس الأدبي" (١٩٨٢). سعى خير الله عصار كثيرا للاقتراب من النص الأدبي، موظفا كشوفات التحليل النفسي لتغدو عناصر لمعرفة النص الأدبي. وترجم حسن مودن (المغرب) كتابا أساسيا في هذا المجال لجان بليمان نويل هو "التحليل النفسي والأدب" في ١٩٩٧، والكتاب يتضمن أحدث القراءات التي توظف "اللاشعور" في معرفة النص. وقد رهن المؤلف نجاح التحليل النفسي للأدب بحسن تطبيق نظارة فرويد الممتازة.

ترجم وائل بركات وغسان السيد عام ١٩٩٤ كتاب "مقدمة في المناهج النقدية للتحليل الأدبي" لمارسيل مارني Marcelle Marini. توقف الكتاب عند الحلقة الدراسية للاكان Lacan التي خصصها لـ"الرسالة المسروقة" لإدغار آلان بو، ومضى إلى إنجازات نقاد آخرين مثل لافورج Laforgue وجوليا كريستيفا، انتقالا إلى نقد شارل مورون النفسي في ممارسته للمطابقات والتشكيلات التصويرية والمواقف الدرامية والأسطورية الشخصية ومقام الدراسة السيرية([4])

---

[1] عبد الحميد، شاكر، (١٩٩٣)، "الأدب والجنون"، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص: ٧.

[2] " The psychological study of literature "

[3] أبو هيف، ص: ١٧٢

[4] عبد الله، ص: ١٨٠

وإلى مجمل التوجهات الجديدة في التحليل النفسي مثل لاوعي النص حسب جان بليمان نويل، وجوليا كريستيفا والتحليل النفسي السيميائي Semanalyse ([1]). ويندرج في مدرسة التحليل النفسي للنقد الأدبي العربي كتاب روزماري شاهين (لبنان): "قراءات متعددة للشخصية-علم نفس الطباع والأنماط: دراسة تطبيقية على شخصيات نجيب محفوظ" (١٩٩٥)، وينتقل الكتاب من نظريات علم الطبائع إلى نظريات الطب النفسي وعلم النفس بفلسفتها المختلفة، حيث التشخيص يعتمد على بنود من السلوك المرضي بعيدا عن الشكل الخارجي لجسم المريض وعن تشريحته وفيزيولوجيته الأساسية([2]). الاستعمال التطبيقي للتحليل النفسي في النقد الأدبي على أيدي النقاد العرب ظل محدودا، باستثناء حالة باهرة ومتألقة في نقد جورج طرابيشي (سورية)، فقد اقتصر عند سواه، وهم قلة، على تحويل الرواية أو القصة إلى سياقهما النفسي، ويصير النص الأدبي إلى برهنة على العقد والاضطرابات النفسية، ليغدو الإنسان سديما في قطيع، وخير ما يعبر عن هذا النزوع المغالي في تحويل النص الأدبي وصاحبه إلى مادة علاجية على سرير التحليل النفسي هو كتاب مصطفى حجازي (لبنان): "التخلف الاجتماعي: مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور" (١٩٧٦)، فترى إلى الإنسان محكوما بتخلفه.

جورج طرابيشي والتحليل النفسي

النموذج الأبرز والأكمل للناقد الأدبي العربي الملتزم بمنهج التحليل النفسي هو جورج طرابيشي([3]) في كتبه الكثيرة: "لعبة الحلم والواقع: دراسة في أدب توفيق الحكيم" (١٩٧٢)، "الله

---

[1] مدرسة تحول التحليل النفسي إلى ممارسة نقدية في صلب إشكاليات الاتجاهات الجديدة.

[2] شاهين، روزماري، (١٩٩٥)، "قراءات متعددة للشخصية–علم نفس الطباع والأنماط: دراسة تطبيقية على شخصيات نجيب محفوظ"، بيروت: دار مكتبة الهلال، ص: ٧–٨.

[3] جورج طرابيشي (و.١٩٣٩) مفكر وكاتب وناقد ومترجم عربي سوري. عمل طرابيشي مديرا لإذاعة دمشق ورئيسا للتحرير لمجلة دراسات عربية. يعيش الآن في فرنسا متفرغا للكتابة والتأليف. تميز طرابيشي بكثرة ترجماته ومؤلفاته حيث أنه ترجم لفرويد وهيجل وسارتر وجارودي وسيمون دي بفوار. وبلغت ترجماته ما يزيد عن مئتي كتاب، وله مؤلفات

في رحلة نجيب محفوظ الرمزية" (١٩٧٣)، "شرق وغرب: رجولة وأنوثة" (١٩٧٧)، "الأدب من الداخل" (١٩٧٨)، "رمزية المرأة في الرواية العربية" (١٩٨١)، "عقدة أوديب في الروايات العربية" (١٩٨٢)، "الرجولة والأيديولوجية الرجولة في الرواية العربية" (١٩٨٣)، "أنثى ضد الأنوث: دراسة في أدب نوال السعداوي على ضوء التحليل النفسي" (١٩٨٣)، و"الروائي وبطله: مقاربة اللاشعور في الرواية العربية" (١٩٩٥). لم يلتزم طرابيشي بمنهج التحليل النفسي دائما، بل تطورت ممارسته النقدية من المزاوجة الأيديولوجية النفسية كما في أعماله حتى عام ١٩٨٣، إلى تغليب التحليل النفسي على الأيديولوجية في كتابه عن نوال السعداوي، إلى الإخلاص للتحليل النفسي وتسويغه واستقامته منهجا نقديا شديد السطوع في كتاب "الروائي وبطله".

استخدم طرابيشي جذاذات من التحليل النفسي في منهجه النقدي الأيديولوجي الأقرب إلى الفلسفة ونظامها المعرفي في كتابيه الأولين عن توفيق الحكيم ونجيب محفوظ، ثم حاول تكييف التحليل النفسي لحاجات النقد الفكري أو الفلسفي المتجرد من التطرف العقائدي. تلمس طرابيشي في "عقدة أوديب في الرواية العربية" منطلقاته المنهجية لأول مرة، وقد دخلها التحليل النفسي، فاعترف في هذا الكتاب بالتحليل النفسي منهجا([1]).

تنبه طرابيشي منذ كتابه "عقدة أوديب" إلى العناية بالملاحظات المنهجية للنقد الذي استغرق في التحليل النفسي شيئا فشيئا. ومنهجه ليس تحليليا خالصا. ويتضح منهج طرابيشي في التحليل النفسي بجلاء في كتابه: "الروائي وبطله" الذي يضاهي أحدث كشوفات هذا المنهج في صدوره عن النص الأدبي مستقلا، وفي توجيهه إلى شعور الرواية أولا وأخيرا. كتب طرابيشي: "ليس

هامة في الماركسية وفي النظرية القومية وفي النقد الأدبي للرواية والقصة العربية خصوصا بتطبيق مناهج التحليل النفسي عليها.

[1] طرابيشي، جورج، (١٩٨٢)، "عقدة أوديب في الرواية العربية"، بيروت: دارالطليعة، ص: ٥.

التحليل النفسي إلا أداة منهجية، ينبغي توظيف كشوف التحليل النفسي في خدمة النقد الأدبي"([1]).

طور طرابيشي إنجازات التحليل النفسي في صوغ بديع لنقد أدبي عربي حديث في مناوشة لا وعي النص من جهة، وفي اعتماد التحليل النفسي الدلالي من جهة أخرى. وظف طرابيشي في نقده مقدرة تحليلية هائلة، بلغة زاهية ودقيقة تنساب عذبة مما يجعل من لغة العلم أقرب إلى التناول خلال ثقافة واسعة وعميقة. وتتساكن في نقده براعة التحليل وإحكام المنهجية والسند الثقافي والمعرفي من التراث الشفاهي والمكتوب، ومن الأفكار والفلسفات، ومن الدراية الواسعة باللغة، بالإضافة إلى إعادة إنتاج أحدث مناهج التحليل النفسي، واجتماع الماركسية وعلم النفس في المنهج النقد الأدبي العربي([2]).

١٩. الحداثة Modernism

الحداثة هي منهج فكري أدبي علماني، يسعى لتغيير الحياة ورفض الواقع، بني على أفكار غربية خالصة مثل الماركسية والوجودية والفرويدية والداروينية Darwinism([3])، وأفاد من المذاهب الفلسفية والأدبية مثل السريالية والرمزية. يعد شارل بودلير مؤسسا للحداثة في العالم الغربي. ومن أعلامها غوستاف فلوبير Gustave Flaubert (١٨٨٠) ومالا راميه Stephane Mallarme (١٨٩٨) ومايكوفسكي Vladimir Mayakovsky (١٩٣٠). اللغة في رأي الحداثة قوة ضخمة من قوى الفكر المتخلف التراكمي، ولغة الحداثة هي اللغة النقيضة للغة الموروثة. الغموض والإبهام والرمز معالم بارزة في الأدب والشعر الحداثي. النقد الأدبي قد تأثرت فيه حركة الحداثة حتى

---

[1] طرابيشي، جورج، (١٩٩٥)، "الروائي وبطله: مقاربة اللاشعور في الرواية العربية"، بيروت: دار الآداب، ص: ٨.

[2] Badawi, M.M.(Ed), (2006), "Modern Arabic Literature", New York: Cambridge University Press, P: 439.

[3] الداروينية أو نظرية نشأة الكائنات مذهب تشارلز داروين في أصل الأنواع وتطورها، يقول بأن الكائنات الحية تنزع إلى إنتاج مواليد تختلف اختلافا طفيفا عن أبائها.

بدايات النصف الثاني من القرن العشرين. الموجة النقدية عالية الصوت الآن. النقد الحديث يختلف عن النقد الحداثى([1]). فالنقد الحديث في أساسه- تجريبي، ذو نزعة فلسفية، اجتماعية، ترتكز على قوانين عامة تربط بين الأسباب والنتائج- أما النقد الحداثى فإن طابعه الجمالي الوصفي يرفض الصميم ولا يسعى لاستخلاص القوانين، ويعكف على الجزئي والخاص، ولا يصدر أحكاما بالقيمة، ويقول بفردية الإدراك، وقد لا يبحث عن المعنى، إذ الأشياء موجودة بقوة وجودها وليس لأنها تحمل معنى أو رسالة. وهذا الختام العبثي هو الفاصل الحاد بين الحديث والحداثى([2]).

الحداثة العربية هي حداثة غربية في كل جوانبها وأصولها وفروعها، اتخذت الاتجاه التجديد في الأدب، ويرتبط مفهوم الحداثة في أذهان بعض المثقفين بحركة ما يسمى بالشعر الحر. ظهرت مجلة "الشعر" الطليعية *avant-garde*([3]) في لبنان في رئاسة يوسف الخال (١٩٨٧) عام ١٩٥٧ واستخدمت المجلة مصطلح الحداثة عن طريق ترجمة شعر رواد الحداثة الغربيين. كان لعلي أحمد سعيد "أدونيس" دور مرسوم في حركة الحداثة وتمكينها على أساس ما دعاه من "الثبات والتحول"([4]). استخدم أدونيس مصطلح الحداثة الصريح ابتداء من نهاية السبعينات للقرن العشرين عند ما أصدر كتابه: "صداقة الحداثة" عام ١٩٧٨، وفيه لا يعترف بالتحول إلا من خلال الحركات الثورية السياسية والمذهبية([5])، واستعمل أدونيس مفهوم الحداثة في نقده للأدب العربي القديم والحديث. وكتابه "زمن الشعر" (١٩٧٢) علامة حدود في النقد العربي الحداثي.

---

[1] عبد الله ، ص ١٢٨

[2] ويلك، رينيه، (عصفور، محمد (ترجمة))، مفاهيم نقدية، مجلة عالم المعرفة، عدد ١١٠، فبراير ١٩٨٧، ص: ٢١٨، ٢٢٨

[3] اسم عام يطلق، في الفن خاصة، على كل جماعة تبتدع أسلوبا جديدا أو أصيلا في التعبير الفني.

[4] Allen, Roger, An introduction to modern Arabic literature, Cambridge University Press, London, (1998), P 237.

[5] الجهني ، مانع بن الحماد، (٢٠٠٣)، الموسوعة الميسرة، ج ٢، ط ٥، الرياض: دار الندوة، ص ٨٧١

اشتهر كثير من النقاد العرب المعاصرين بمنهجهم الحداثي، منهم إدور الخراط، بعد هزيمة حرب ١٩٦٧، أنشأ الخراط، في ١٩٦٨، مع أصدقائه مجلة "غاليري" gallery التي تشير إلى إعانقة الحداثة([1]). ونجحت المجلة بتجربتها الحداثية. حصل الخراط على جائزة ملتقى القاهرة للرواية العربية لسنة ٢٠٠٨ وأوضحت لجنة الجائزة أن الخراط نجح أن يكشف عن إشكاليات الحداثة عند العرب كما في العالم([2]). وكتاباته مثل "راما والتنين" (١٩٧٢) و"الزمن الآخر" (١٩٨٥) تعبر عن الحداثة، كذلك محمود المسعدي الكاتب التونسي صاحب "حدث أبو هريرة، قال" (١٩٧٣) و إلياس خوري التجريبي اللبناني صاحب "أبواب المدينة" (١٩٨١).

٢٠. البنيوية Structuralism

«البنيوية» اتجاه نشأ في فرنسا في الستينات من القرن العشرين، وكتب فيه، تنظيرا وتطبيقا، عدد كبير من البنيويين في شتى الحقول العلمية، بدءا بالأدب وانتهاء بالنقد الأدبي، ومرورا بالألسنية والأنثربولوجيا([3]) وعلم النفس والماركسية والأبستيمولوجيا([4])، وحتى الرياضيات... الخ، فإنها انتشرت بعد ذلك وهاجرت إلى معظم بلدان العالم. وهي محاولة علمية منهجية لدراسة الظواهر من وجهة نظر البنية والنموذج والبناء الصوري والعلاقات الباطنية المكونة لموضوع ما.

إن البنيوية طريقة لتحليل الفنون الثقافية. وبما أن الأدب شكل من أشكال النشاط الاجتماعي والثقافي، فإن تحليله بلغة علاماتية هو أمر ممكن، وذلك عن طريق الكشف عن طبيعة العلامات التي تتكون منها، وعن كيفية عمل النظام الذي يتحكم باستخدامها وتركيبها. ويتكوّن

---

[1] Jayyusi, Salma Khadra, (2005), Modern Arabic Fiction, NY: Columbia University Press, P 48

[2] جريدة "دنيا الشرق" ، الدمام ، ٢٧ فبراير ٢٠٠٨ ، ص ٥

[3] Anthropology علم يبحث أصل الجنس البشري وتطوره وأعراقه وعاداته ومعتقداته وثقافته.

[4] Epistemology نظرية المعرفة

المنهج البنيوي من تحليل البنى الداخلية في النص. وهو لا يهتم بالمعنى (المدلولات) بل بالدوال([١]). وهذا ما يعنيه رولان بارت([٢]) Roland Barthes عندما يقول: «إن الأدب يمثل سيادة اللغة، وإن اللغة هي مضمون الأدب، وإن كل ما يفعله الكاتب هو قراءة اللغة». ويفترض النقد البنيوي أن النقد هو امتداد لعملية القراءة، وأن الناقد هو قارئ نموذجي يتمتع بقدرة فائقة على التعبير. إن القراءة تختلف عن النقد في أنها عملية اندماج مع العمل الأدبي، بينما يضع النقدُ الناقدَ على بُعد معيّن من النص. ويتكوّن النقد من بناء فعلي لمعنى النص. والأعمال الأدبية لا تمتلك -في البنيوية . معنى أحاديا.

مصطلح البنية مشتق من الأصل اللاتيني Stuere الذي يعني البناء أو الطريقة التي يُشاد بها المبنى([٣]). ويقصد بها في علم اللغة مجموعة مركبة من العناصر المتماسكة، والمتداخلة فيما بينها، بحيث تلغى فكرة التفرّد؛ بل يتوقّف كل عنصر على بقية العناصر الأخرى، ومدى علاقته بها؛ فتكون البنيوية عبارة عن دراسة العلاقات بين البنى المختلفة في النص الأدبي. البنية تنظيم يعبّر عن تماسك العلاقات داخل ذلك النص الموحّد. يُفهم من ذلك أن البنيوية نظرية قائمة على تحديد وظائف العناصر المترابطة الداخلة في النص. عرفها الأنتروبولوجيون بأنها مجرد منهج أو نسق يمكن تطبيقه على أي نوع من الدراسات([٤]). والنقد هنا يصبح مثل العملية الجراحية التشريحية ([٥]).

إن أول من أسس منهج البنيوية اللغوي السويسري فردينان دي سوسير([٦]) Ferdinand de

---

[١] عزام، محمد، (٢٠٠٣)، تحليل الخطاب في ضوء المناهج النقدية المعاصرة، دمشق: اتحاد الكتاب العرب، ص: ٢٤٢

[٢] الناقد الاجتماعي والأدبي الفرنسي (١٩٨٠)، ساعد لتأسيس البنيوية كأحد الحركات الثقافية القيادية للقرن العشرين

[٣] عزام، ص: ٣٧

[٤] عبد الفتح، سمير، البنيوية، مجلة العربي– الكويت، العدد: ٤١٩، أكتوبر ١٩٩٣م، ص:١٥١.

[٥] فضل، صلاح، (١٩٩٨)، نظرية البنائية في النقد الأدبي، القاهرة: دار الشروق، ص ٢٢١.

[٦] لغوي سويسري وتعتبر مفاهيمه اللغوية بداية لنظرية البنيوية.

Saussure في محاضراته([1]) : «دروس في الألسنية العامة» Course in General Linguistics التي ألقاها عن ثنائية اللغة والكلام، وثنائية المحور التاريخي التطوري، والمحور التزامني الوصفي، إضافة إلى ثنائية علمي اللغة: الداخلي و الخارجي. وقد قامت البنيوية على هذه الثنائيات اللغوية المتقابلة. وقد استفاد سوسير من مبادئ المذهب التجريبي الذي تبنته الدراسات اللغوية([2]).

نشأت البنيوية في فرنسا، في منتصف الستينيات من القرن العشرين عندما ترجم تودوروف Tzvetan Todorov أعمال الشكليين الروس Russian Formalists إلى الفرنسية. فأصبحت أحد مصادر البنيوية. ومن المعلوم أن مدرسة الشكليين الروس ظهرت في روسيا بين عامي ١٩١٥ و١٩٣٠، ودعت إلى الاهتمام بالعلاقات الداخلية للنص الأدبي، واعتبرت الأدب نظاما ألسنيا ذا وسائط إشارية (سيميولوجية) للواقع، وليس انعكاسا للواقع([3]). واستبعدت علاقة الأدب بالأفكار والفلسفة والمجتمع. وقد طورت البنيوية بعض الفروض التي جاء بها الشكليون الروس. المصدر الثاني الذي استمدت منه البنيوية هو «النقد الجديد» New Criticism الذي ظهر في أربعينيات وخمسينيات القرن العشرين في أمريكا، فقد رأى أعلامه أنه لا حاجة فيه للمضمون، وإنما المهم هو القالب الشعري، وأنه لا هدف للأدب سوى الأدب ذاته([4]). و«الألسنية» Linguistics هي المصدر الثالث الذي استمدت منه البنيوية، ولعلها أهم هذه المصادر، وعلى الخصوص ألسنية فرديناند دي سوسير الذي يُعد أبا الألسنية البنيوية. وعلى الرغم من أنه لم يستعمل كلمة «بنية» فإن الاتجاهات البنيوية كلها قد خرجت من ألسنيته، فقد مهد لاستقلال النص الأدبي بوصفه نظاما لغويا خاصا. وفرق بين اللغة والكلام: فاللغة عنده هي نتاج المجتمع مستقل عن الفرد للملكة الكلامية، أما الكلام فهو حدث فردي متصل بالأداء وبالقدرة الذاتية

---

[1] Ryan, Michael, Literary Theory: a practical introduction, Ed 2, Blackwell Publishing, USA, (2007), P35.

[٢] حمودة، عبد العزيز، المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك، مجلة عالم المعرفة – الكويت، العدد: ٢٣٢، ص:١٨٠.

[3] Achutan, M., (2006), Paschatya Sahitya Darshanam, 2 ed, Kottayam: DC Books, P 402

[4] Encyclopaedia Britannica 2008 Ready Reference, DC Books, Kottayam

للمتكلم. ورأى أن اللغة ينبغي أن تدرس بمنهج آني سكوني لا تاريخي تطوري، لأنها ما دامت (بنية) أو (نسقا رمزيا) فلا بد من التسليم بأنها لا تنطوي على أي بعد تاريخي. وقد شدد سوسير على دراسة اللغة دراسة وصفية داخلية، وعلى كونها نظاما خاصا من العلامات أو الإشارات المعبرة عن الأفكار. واعتقد سوسير بأن «الدال» Signifier أو الصورة السمعية للكلمة لا تنطوي على أية إشارة أو إحالة إلى مضمون «المدلول» Signified ([1]).

وقد ميز سوسير بين ثلاثة مستويات في اللغة هي: اللغة، واللسان، والكلام. فاللغة هي المظهر الواسع الذي يشمل كل الطاقة الإنسانية للكلام. واللسان هو نظام من اللغة يستخدمه المرء لتوليد المحادثة للآخرين. وأما الكلام فهو أقوالنا الخاصة. ورأى أن اللغة نظام من الإشارات تعبر عن الأفكار، فهي لذلك تقارن بنظام كتابة الأبجدية الصامتة، والطقوس الرمزية، والصيغ السياسية، والإشارات العسكرية... الخ. لكنها أعظم من كل هذه الأنظمة. وعلم اللغة هو جزء من هذا العلم العام «السيميولوجيا»([2]) Semiotics ([3]). ميّز سوسير بين الدراسة التزامنية (السنكروني) والزمنية (الدياكروني) في دراسة اللغة([4])، وشدد على الدراسة التزامنية على حساب الدراسة الزمنية. كما طور تمايزا آخر هو: التمايز بين العلاقات الأفقية والعلاقات العمودية في الإشارات: فالعنصر الأفقي/ التتابعي في اللغة يؤثر في وضعية الإشارة: فمعنى الكلمة يحدده وضعها في الجملة وعلاقتها بالوحدات القواعدية لتلك الجملة.

وقد تأثر رواد النقد البنيوي الفرنسي بسوسير، ودفعهم هذا التأثر إلى الكشف عن أنساق الأدب وأنظمته وبنياته، باعتبار الأدب نظاما رمزيا يحوي نظما فرعية. فذهب بارت Barthes إلى تقعيد القصة وتحليل السرد، بينما اهتم تودوروف Todorov بأدبية الأدب، أو بما يجعل من

---

[1] Pokker, P.K., (2002), Darrida – Apanirmanatinte Tatwachintakan, Trivandrum: Bhasha Institute, P 23,

[٢] دراسة الإشارة والسلوك التي تستعمل الإشارات، خصوصا في اللغة. ظهر السيميوطيقا طريقة لفحص الظواهر في الحقول المختلفة: علم الجمال وأنتروبولوجيا والاتصالات وعلم النفس وعلم الدلالة.

[٣] الغذامي، عبد الله، (١٩٩٨)، الخطيئة والتكفير، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط: ٤، ص:٩.

[4] Anandan, K.N., (2003), Bhashashastratile Chomskian Viplavam, Thiruvananthapuram: Bhasha Institute, P 37

الأدب أدبا. ولعل بارت Barthes هو الذي أشار إلى أن البنيوية هي محاولة لنقل النموذج الألسني إلى حقول ثقافية أخرى([1]). أعطى بارت لمصطلح البنية منطلقه الأول في دراسات هو مقالاته النقدية النظرية والتطبيقية([2]). وضع «مبادئ السميولوجيا» عام ١٩٦٤ مؤسسا به سيميولوجيا النقد الأدبي. ففي كاتبه «س/ز» S/Z ١٩٧٠ تولد القراءة تفاعلات وتفسيرات جديدة خاضعة لسحر الدال.

وفي تطبيقاته للمنهج البنيوي على العلوم الإنسانية: الأنثربولوجيا، وعلم الاجتماع، وعلم النفس، والنقد الأدبي، يُعد كلود ليفي شتراوس([3]) Claude Lévi-Strauss الرائد البنيوي بلا منازع في الحقل الأنثربولوجي. فقد درس المجتمعات الفطرية والهندية في البرازيل، ثم أكمل دراسته في نيويورك، حيث التقى ياكوبسون([4]) Roman Jakobson مؤسس الشكلية الروسية وحلقة براغ اللغوية Prague Language Circle الذي مارس تأثيرا منهجيا عليه. فتوطدت بينهما علاقة فكرية كان لها الفضل في تطور البنيوية، حين اشتركا معا في تحليل قصيدة «القطط» لبودلير Charles Baudelaire تحليلا بنيويا في عام ١٩٦٢، وأصبح تحليلهما هذا واحدا من كلاسيات الممارسة البنيوية الرفيعة. وطبّق شتراوس بنيوية سوسير في دراسته للمجتمعات البدائية([5]). وقد ركّز شتراوس على اللغة Langue أكثر من الكلام Parole على نحو ما فعل سوسير الذي درس اللغة دراسة آنية وتعاقبية، في حين ركز شتراوس على الدراسة الآنية، وإن لم ينكر الأبعاد التعاقبية. توسط شتراوس بين العناصر المتضادة، كما أفاد من منهج الصوتيات الذي تجاوز دراسة الظواهر اللغوية الواعية إلى دراسة البنية اللاشعورية. ورفض معالجة الكلمات أو الوحدات على أنها عناصر مستقلة.

---

[1] Cuddon, JA, Literary Terms and Literary Theory, Penguine Books, London, (1999), P 870

[٢] خفاجي، محمد عبد المنعم، (٢٠٠٢)، مدارس النقد الأدبي الحديث، دار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط: ٢ ، ص ٢٠١.

[٣] أحد علماء الاجتماع الفرنسيين وكان لأعمال ليفي ستروس أثر بليغ في مجال علم الإنسان والتحقيق الإثنولوجي الميداني.

[٤] رومان جاكوبسن عالم لغة وناقد أدب أمريكي من أصل روسي.

[5] Jeorge, CJ (Ed.), Adhunikanandara Sahitya Sameepanangal, Bookworm, Thrissur, (1996), P 24

وأما جاك لاكان([١])Jack Lacan فقد قام بتطبيق المنهج البنيوي على علم النفس، حيث أصبحت اللغة عنده نظرية علمية مستقلة يمكن بوساطتها وصف اللاشعور بطريقة علمية، وفهم قوانينه بدقة متناهية. وبناء على هذا المبدأ فقد وضع لاكان بعض الأسس التي ترى أن كلام اللاشعور ينتظم في بنية متماسكة على أنه لغة، وأن بنية الشخصية هي عدة مستويات لغوية. وقد وجد لاكان في كتابات فوكو وبارت ما يدعم آراءه، فقد أشار هذان إلى المكونات اللاواعية للنصوص الأدبية. كذلك تقبل ميشيل فوكو([٢]) Michael Foucault التعارضات الثنائية في محاولته الكشف عن الأركولوجيا اللاواعية للمعرفة في كتابه «أركولوجيا المعرفة». فقد كان نظام الأشياء عنده يعتمد على الفرضيات البنيوية. ودرس الجنون والطب والعلاج النفسي خلال أبنية معرفية ترتبط بحقب تاريخية، وتتضمن اللاوعي الفرويدي. وهي أبنية تضرب بجذورها في المجتمع. أما لويس ألتوسير([٣])Louis Althusser فقد رفض المعطى الأنثروبولوجي الذي تضمنته المعركة الفكرية بين سارتر([٤]) Jean Paul Sartre وشتراوس، ليؤكد المفاهيم الاقتصادية الماركسية، ويفصل الظواهر الاجتماعية المشاهدة عن القوانين الكامنة للصراع الطبقي، فغدا ألتوسير بنيويا باستخدامه هذا المنهج الذي أكد فيه الأبنية الاقتصادية والمواقف الطبقية. ترتكز بنيوية تشومسكي([٥]) Noam Chomsky في اللغة على أن في كل لغة بنية سطحية وبنية عميقة. ونادى بنقل العلوم اللغوية، وفي مقدمتها علم النحو وعلم النظم بخاصة، من العلوم النظرية إلى العلوم التطبيقية([٦]).

---

[١] طبيب فرنسي مؤسس مدرسة التحليل النفسي في باريس استند في تعليمه على دراسات الألسنية وعلم الجنس البشري

[٢] فيلسوف فرنسي، يعتبر من أهم فلاسفة النصف الأخير من القرن العشرين

[٣] فيلسوف فرنسي معاصر ولد بالجزائر

[٤] مفكر فرنسي وصاحب المدرسة الوجودية

[٥] اللغوي الأمريكي المعاصر (و.١٩٢٨) وهو فيلسوف وناشط سياسي، وصف نفسه اشتراكيا تحريريا.

[٦] عبد الجليل، منقور، (٢٠٠١)، علم الدلالة، دمشق: اتحاد الكتاب العرب، ص: ٣٠.

فإن البنيوية التي حملت لواء العلمية والموضوعية بحكم استنادها إلى علوم دقيقة كاللسانيات تمثل خطوة حاسمة باتجاه الوضوح المنهجي في ممارسة نقد علمي للسرديات. إن الألسنية البنيوية قد أصبحت محور اهتمام علماء اللغة في أوربا وأمريكا. وكان لها فضل الإصرار على دراسة اللغة من وجهة النظر الوصفية، مما أدى إلى تصفية الأحداث اللغوية من ملابساتها المتغيرة، وإلى التركيز على النظم الكلية الشاملة، وعدم تبديد الجهود في التفاصيل الصغيرة. وتتطلب دراسة البنية: تحليلها وتفكيكها داخل النص إلى عناصرها المؤلفة منها، دون النظر إلى أية عوامل سياقية خارجة عنها، مهما كانت مؤثرة. وتكمن مساهمة البنيوية في أنها أمدت النقد بأداء منهجي يقف على جمالية النص ويقبض على مكوناته وعلائقه الداخلية. المبدأ الذي أثار قضية كبرى في الأوساط الأدبية والنقدية هي قضية أطلق عليها البنيويون شعار «موت المؤلف» لكي يضعوا حدا للتيارات النفسية والاجتماعية في دراسة الأدب ونقده، وبدأ تركيزهم على النص ذاته بغض النظر عن مؤلفه، أيا كان هذا المؤلف والعصر الذي ينتمي إليه والمعلومات المتصلة به. وقد كان البنيويون يقصدون بهذا الشعار ألا تصبح البيانات المرتبطة بالمؤلف هي جوهر الدراسة النقدية للأدب أوهي نقطة الارتكاز الرئيسة الموجهة للعمل التحليلي النقدي. بل يجب أن تكون نقطة الارتكاز – عندهم – هي من النص ذاته. حينما يؤمن هذا الاتجاه بالواقع دون غيره في تحليل النص، فيتجاهل ما فوق الواقع والقيم الأخلاقية؛ فذلك ينافي تحقيق التفاعل بين النص والمتلقي فضلا عن الإخلال بالاعتقاد الإسلامي([1]). أثبت المنهج البنيوي خصوبته، فاعتمده الباحثون في دراسة ميادين عديدة: الأساطير، والقصص، والشعر، والنقد الأدبي. لكن البنيوية إذا كانت قد منحت العلوم الإنسانية الموضوعية، فإنها قادت إلى

[1] قصاب، وليد إبراهيم، (٢٠٠٥)، الحداثة العربية الشعرية، الشارقة: جمعية حماية اللغة العربية، ص: ١٤١

نتيجة هامة هي فقدان الدراسات خصوصيتها وتوهجها، حيث ظلت أسيرة النموذج اللغوي. وبهذا وقعت في مأزق الوضعية والمعيارية الجامد([1]).

البنيوية التكوينية Genetic Structuralism

بدأت البنيوية شكلية أولا، وعندما اقتصرت البنيوية الشكلية على تحليل النص وحده، دون الرجوع إلى مراجعه النفسية لدى مبدعه، أو ظروفه الاجتماعية، وجدت نفسها أمام الباب المسدود، بسبب هذه الانغلاقية. فجاءت «البنيوية التكوينية» ليكون انفتاحا على الآفاق الثقافية والاجتماعية والتاريخية. ثم ظهرت «البنيوية الجذرية» أو النفسية و«البنيوية السيميائية»، وأصبحت كل مسرب من هذه الثلاثة اتجاها نقديا مستقلا بنفسه، فيما بعد. نشأت البنيوية التكوينية استجابة لسعي بعض المفكرين والنقاد والماركسيين، للتوفيق بين أطروحات البنيوية في صيغيتها الشكلانية وأُسس الفكر الماركسي أو الجدلي في تركيزه على التفسير المادي والواقعي للفكر والثقافة عموما.

جورج لوكاش Georges Lukàcs (١٨٨٥-١٩٧١)، الفيلسوف المجري، فقد سيطر على مجمل سوسيولوجيا الأدب في القرن العشرين. وقد كان لكتابه النقدي الهام «نظرية الرواية» الذي نشره في برلين عام ١٩٢٠ الأثر الهام في البنيوية التكوينية، فيربط بين التطور الاجتماعي والتطور الأدبي في مضامينه وأشكاله. وقد قدم العالِم النفسي جان بياجيه Jean Piaget تصورا نظريا متكاملا عن البنية في كتابه «البنيوية». يرى بياجيه أن البنية توجد عندما تتمثل العناصر المجتمعة في كل شامل. ولوسيان غولدمان Lucien Goldmann (١٩١٣-١٩٧٠)، مفكر وناقد فرنسي من أصل روماني وتلميذ لوكاش، هو الذي أرسى أسس البنيوية التكوينية([2]). فقد

---

[1] حمودة، ص: ١٨٧.

[2] عزام، محمد، ص: ٢٣٠

قدّم منذ عام ١٩٤٧ فرضية التي أصبحت أساس منهجه. وهي أن الأدب والفلسفة تعبيران عن «رؤية للعالَم»([1]) *La vision du monde*، وإن رؤية العالم ليست وقائع فردية بل هي اجتماعية، إذ أنها ليست وجهة نظر الفرد المتغيّر باستمرار، بل هي وجهة نظر، ومنظومة فكر مجموعة بشرية تعيش في ظروف اقتصادية واجتماعية متماثلة، وتعبير الكاتب عن هذه المنظومة له دلالة كبيرة فهو يستمد منها([2]).

طبق لوسيان غولدمان التصور البنيوي التكويني على مجال الدراسة الاجتماعية للأدب. فقد اصطبغت قوانين البنية عند غولدمان بلون جدلي ماركسي. ويقوم المنهج السوسيولوجي لدى غولدمان باستخلاص الدلالة الموضوعية للعمل الأدبي، ثم يربطها بالعوامل الثقافية والاجتماعية والاقتصادية للفكر. ففي كتابه «الإله الخفي»([3]) ١٩٥٦، يقوم غولدمان بتطبيق منهجه النقدي البنيوي التكويني على «الجانسينية» *Jansénistes* ([4]) لدى راسين Racine وباسكال Pascal اللذين تأثرا بها. ومنهج غولدمان في تطبيق المادية الجدلية على دراسة الأدب قد حقق هدفين في وقت واحد([5]): فقد أنقذ البنيوية الشكلية من انغلاقها على النص المنقود وحده، كما أنقذ المنهج الاجتماعي من إيديولوجيته التي كانت تقيّم الأدب من وجهة نظرها هي فحسب. فجاء المنهج البنيوي التكويني منهجا علميا موضوعيا يؤكد على العلاقات القائمة بين النتاج والمجموعة الاجتماعية التي ولد النتاج في أحضانها([6]). وهذه العلاقات لا تتعلق بمضمون

---

[1] صدار، نور الدين، مدخل إلى البنيوية التكوينية في القراءة النقدية العربية المعاصرة، مجلة عالم الفكر، ع ١، م ٣٨، يوليو ٢٠٠٩، ص: ٩٤.

[2] عزام، محمد، ص: ٢٣٨

[3] The Hidden God: a Study of Tragic Vision in the 'Pensées' of Pascal and the Tragedies of Racine

[4] الجانسينية Jansénistes هي حركة فرنسية التي تراجعت عن خدمة الملك ورفضت كل تفاهم مع العالم لتنعزل من أجل أن تقوم بمغامرة إنسانية.

[5] عزام، محمد، ص: ٢٣٢

[6] أبو هيف، ص: ١٧٢.

الحياة الاجتماعية والإبداع الأدبي، وإنما بالبنيات الذهنية([1]) Structures mentales التي هي ظواهر اجتماعية، لا فردية. وهذه البنيات الذهنية ليست بنيات شعورية أو لا شعورية، وإنما هي بنيات عمليات غير واعية. ومن هنا فإن إدراكها لا يمكن أن يتحقق بوساطة دراسة النوايا الشعورية للمبدع، ولا بوساطة تحليل محايث، وإنما بوساطة بحث بنيوي، ذلك أن الفرد الذي يعبّر عن الطبقة الاجتماعية، وعن رؤيتها للعالم، إنما يتصرّف انطلاقا من هذه البنيات الذهنية التي تسود المجموعة التي يعبّر عنها.

يرى غولدمان إن الرواية كأدب تتجاوز الإيديولوجيا، لأنها تصوغ رؤية العالم في شكل فني. إن تحليل الرواية ينبغي أن يتجه إلى بنية العمل الداخلية. وهو ما يطلق عليه اسم «الفهم» *Compréhention*. ثم ينتقل إلى المرحلة الثانية هي «التفسير» *Explication* الذي يؤكد انتماء منهجه إلى سوسيولوجيا الأدب. ومنها يتم الربط بين البنية الدالة وبين إحدى البنيات الفكرية المتصارعة في الواقع الثقافي للمجتمع. ومفهوم «البنية» *Structure* ومفهوم «التكوين» *Génèse* هما الأساس الذي تقوم عليه البنيوية التكوينية حيث تدرس المرحلة الأولى وتفهمها، وتفسر المرحلة الثانية ربط العمل الفني بالبنى الفكرية الموجودة خارجه، وتدرك وظيفته ضمن الحياة الثقافية في الوسط الاجتماعي. وهذا المنهج لا ينفي تدخل اللاوعي *Unconscious* في العملية الإبداعية، ولذلك فإن البنيوية التكوينية إذ تمدّ جسرا بين علم الاجتماع والبنيوية عندما تقول بضرورة تحليل بنية العمل الروائي الداخلية، فإنها تمدّ جسرا آخر بين علم الاجتماع وعلم النفس عندما لا تنفي تدخل عامل اللاوعي الفردي في بناء العالم الروائي والإبداعي، على الرغم من أن غولدمان انتقد المنهج البنيوي الشكلي، والتحليل السيكولوجي الفرويدي، لأن الأول يرفض الدلالة الاجتماعية للأدب، ولأن الثاني يقف عند حدود التفسير الفردي. تجمع البنيوية

---

[1] صدار، ص: ٧٠.

التكوينية بين الفهم والتفسير لتعقد تماثلا بين البنية الجمالية المستقلة والبنية المرجعية. وإن أولى الإثباتات العامة التي يستند إليها الفكر البنيوي هي القائلة بأن كل تفكير في العلوم الإنسانية إنما يتمّ من داخل المجتمع لا من خارجه، وبأنه جزء من الحياة الفكرية لهذا المجتمع، وبذلك فهو جزء من الحياة الاجتماعية.

البنيوية في القراءة النقدية العربية المعاصرة

هجمت على بلاد العرب المناهج النقدية الحداثية دفعة واحدة، أواخر القرن العشرين: النقد الألسني، والأسلوبي، والبنيوي، والسيميائي، والتفكيكي.. إلخ. ومن الملاحظ أن هذه المناهج النقدية بدأت في بلدان المغرب قبل المشرق، بسبب إطلال مثقفي المغرب مباشرة على الثقافة الأوربية، وشيوع الثقافة الفرنسية في هذه البلدان، ثم أخذت به بلدان المشرق العربي. نشر النقاد المغاربة كتبهم في عواصم البلدان العربية المشرقية، ودراساتهم في المجلات الأدبية المشرقية أيضا. لم تنتشر البنيوية في العالم العربي كما كانت في الغرب تتوزع في كل المجالات، سواء العلوم الإنسانية، أم غيرها من البحتة. فقد تمركز هذا المنهج في النقد الأدبي دون غيره.

وعندما وصلت البنيوية إلى الوطن العربي متأخرة نظّر لها، وكتب فيها باحثون تراوحت كتاباتهم بين الالتزام الدقيق بمقولاتها مثل صلاح فضل، والخروج على أطروحاتها، أو تركيب أكثر من منهج نقدي مثل عبد الله الغذّامي، وذلك تبعا لاستيعاب هؤلاء النقاد للمقولات البنيوية، وتبعا لمتابعتهم لجديدها، لأن البنيوية بُنيت بالتدريج طوال أكثر من ٣٠ عاما. فمن شهد مقولاتها في مرحلة نشوئها وظل يراوح عند مرحلة النشوء بات متخلفا إزاء مقولاتها التي جدت في مرحلة ازدهارها أو احتضارها، ذلك أنها غيرت جلدها، وطورت مقولاتها، خلال مسيرتها النقدية: فعندما وجدت البنيوية نفسها أمام الباب الشكلاني المسدود، بحثت عن اتجاهات تطيل أمدها، فولد منها اتجاها بنيويا جديدا: البنيوية التكوينية، كما جدّت اتجاهات نقدية جديدة

خرجت من قلب البنيوية، ثم استقلت عنها كمناهج نقدية جديدة كالتفكيكية([1]) *Deconstruction*. وقد ظهرت المحاولات النقدية إلا أنها ظلت محدودة، رغم تحفزها وطموحها المتردّد للتوازي مع ما وصل إليه النقد الغربي. الاستقبال العربي للبنيوية قد توزّع لثلاثة مشارب مختلفة:

١. الترجمة من النظريات النقدية الغربية إلى اللغة العربية

٢. مراجعة الموروث العربي؛ للخروج بأوجه اتصال وتقابل بينه وبين ما لدى النقد الغربي.

٣. التطبيق، وتناول النصوص العربية القديمة والحديثة، وإسقاط النظريات النقدية عليها.

وقد بدأت البنيوية العربية في أواسط الستينيات حين نشر محمود أمين في مجلة «المصور» مطلِقا على هذه المناهج: «الهيكلية»، وبعدها توقف الزحف حتى نهاية السبعينيات فقد نشر العديد من النقاد والأدباء العرب دراساتهم التي اتجهت اتجاهي البنيوية: الشكلاني، والتكويني، وإن كان للتكوينية النصيب الأكبر من الانتشار. أما أوزياس Auzias فلعله من أوائل الذين عُرّبت مؤلفاتهم([2])، فقد تم تعريب كتابه «البنيوية» عام ١٩٧٢. وهو أول دراسة شاملة عن البنيوية ترجمت إلى اللغة العربية. وهكذا كتب في البنيوية مفكرون وباحثون ونقاد عرب في الفكر والنقد، مثل زكريا إبراهيم، وصلاح فضل من مصر، وعبد الفتاح كيليطو، وصدوق نور الدين، ومحمد برادة، ونجيب العوفي من المغرب، وعبد الملك مرتاض من الجزائر، وفؤاد أبو منصور من لبنان، وعبد الله إبراهيم من العراق...، وغيرهم.

---

[1] اصطلاحية تشير إلى ممارسة خاصة في القراءة، ولذلك إنها طريقة نقدية وشكل من التحقيق التحليلي. الفيلسوف الفرنسي جاك دريدا Jacques Derrida هو واضع نظرية التفكيكية في أوربا.

[2] عزام، محمد، ص: ١٤

القراءات التنظيرية العربية للبنيوية الشكلية

ولعل أول العرب الذين كتبوا في البنيوية هو المفكر زكريا إبراهيم المعروف بإبداعاته الفكرية في المجال الفلسفي، ولعل كتابه «مشكلة البنية» من أوائل الكتب العربية التي وُضعت في التنظير للبنيوية[١]، فقد أصدره عام ١٩٧٦ انطلاقا من أن البنيوية أصبحت "اللغة الشارحة لكل حضارتنا المعاصرة"، وأن إنسان القرن العشرين قد بدأ يعرف ذاته بأنها مجرد "بنية"، وأنه هو نفسه إنسان "دال"، صانع معان. هذا كتاب شمولي حاول فيه التعريف بالبنيوية، وبأعلامها في شتى الحقول العلمية. وإذا كان زكريا إبراهيم قد جاء بكتاب بنيوي شامل، وأغفل النقد البنيوي، فإن صلاح فضل قد وضع كتابه «نظرية البنائية في النقد الأدبي» عام ١٩٧٧ للنقد وحده. ولعله أفضل كتاب وُضع بالعربية عن التنظير للنقد البنيوي آنذاك، لأنه كتاب علمي جاد، وضع بلغة نقدية، وعالج أصول البنيوية، واتجاهاتها، ومستوياتها[٢]. كتب عبد السلام المسدي «الأسلوب والأسلوبية: نحو بديل ألسني في نقد الأدب» عام ١٩٧٧م، في علاقات البنيوية باتجاهات النقد المماثل.

وأما عبد الفتاح كيليطو[٣] ناقد متميز من المغرب العربي الذي ينتمي إلى جيل الثمانينيات بين النقاد العرب الذين يخوضون معركة تأصيل الثقافة العربية. كتب كيليطو كتبا قليلة، وصفحاتها قليلة (مجموع صفحات كتبه بالعربية لا يتجاوز ٨٠٠ صفحة) ولكن هذا القليل وضعه في مصاف أفضل النقاد والباحثين العرب[٤]. فقد أصدر كتابه «الأدب والغرابة: دراسات بنيوية في الأدب العربي» عام ١٩٨٢. وأما الناقد المغربي الآخر صدّوق نور الدين فقد أصدر كتابه

---

١ عزام، محمد، ص: ٣٤

٢ أبو هيف، عبد الله، (٢٠٠٠)، "النقد الأدبي العربي الجديد"، دمشق: اتحاد الكتاب العرب، ص: ٥٠٥.

٣ الناقد المغربي، والأستاذ في جامعة الرباط والذي يكتب بالفرنسية ويهتم بالحداثة النقدية.

٤ أبو هيف، ص: ٥٢٣.

«حدود النص الأدبي: دراسة في التنظير والإبداع» عام ١٩٨٤ قال فيه: " المنهج البنيوي يعتبر النص بنية مغلقة، وداخل هذه البنية ثمة علاقات منتظمة... وقد حاولت في هذه الخطة الاستفادة من المناهج السالفة، رغبة في تشكيل نوع من التوفيق الهادف خدمة النص، ودون الرسو بسفينة النقد عند منهج بذاته" (ص ٧-٨). فؤاد أبو منصور ناقد وباحث لبناني، نشر كتابه «النقد البنيوي الحديث: بين لبنان وأوربا» عام ١٩٨٥. وأصدرشكري عزيز الماضي كتابه «في نظرية الأدب» عام ١٩٨٦. وهو مجموعة من المحاضرات ألقاها في جامعة قسنطينة. سعيد الغانمي ناقد حداثي عراقي، أصدر مع زميليه كتاب «معرفة الآخر: مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة» ١٩٩٠. تسرّب المنهج البنيوي بطريقة واسعة إلي النقد العراقي في الثمانينات.

القراءات التطبيقية العربية للبنيوية الشكلية

يتراوح النقاد العرب المعاصرون في المستوى التطبيقي لتحليل الشعر بين الالتزام بمبادئ البنيوية، والخروج عليها في محاولة "توفيقية" بين مناهج عديدة([1]). ولعل كمال أبو ديب في سورية، وصلاح فضل في مصر، ومحمد بنّيس في المغرب، وعبد الله الغذّامي في السعودية هم رواد التنظير العربي للمنهج البنيوي في الوطن العربي، وهم مؤسسوه. فقد كان ظهورهم في وقت واحد (نهاية السبعينات وبداية الثمانينات) دليلا على الرغبة في تلقي هذا المنهج النقدي في الوطن العربي.

كمال أبو ديب ناقد سوري حداثي تخصص بالمنهج البنيوي وحده. فوضع فيه كتابه: «جدلية الخفاء والتجلي: دراسات بنيوية في الشعر» ١٩٧٩ يؤسس فيه لهذا المنهج الجديد، تنظيرا وتطبيقا، في وقت مبكر من تلقي هذا المنهج في الوطن العربي. وكان الكتاب أول مبادر إلى تطبيق البنيوية. وتنبع أهمية هذه المبادرة في أنها تطبيق كامل على الشعر العربي القديم بمنهجية

[1] عزام، محمد، ص: ٧٧

ومصطلحات البنيوية إلى حد الميكانيكية([1]). ثم وضع كتابه الثاني «الرؤى المقنّعة: نحو منهج بنيوي في دراسة الشعر الجاهلي» عام ١٩٨٧ خصصه للجانب التطبيقي في هذا المنهج. خالدة سعيد باحثة وناقدة، وهي زوجة الشاعر الحداثي الكبير أدونيس، وضعت كتابين: «لبحث عن الجذور» ١٩٦٠ و«حركية الإبداع: دراسات في الأدب العربي الحديث» ١٩٧٩، رسمت في الثاني ملامح الإبداع العربي الجديد في ثلاثة أجناس أدبية هي: الشعر، والرواية، والقصة القصيرة. من خلال منهجين نقديين هما: المنهج الانطباعي، والمنهج البنيوي. درست على ضوء المنهج البنيوي قصيدتي «هذا هو اسمي» لأدونيس، و«النهر والموت» للسياب([2]). ظهر الناقد السوري عبد الكريم حسن بكتابه «لموضوعية البنيوية: دراسة في شعر السيّاب» عام ١٩٨٣، وهو رسالة جامعية تقدّم بها الباحث إلى جامعة السوريون عام ١٩٨٠.

عبد الله الغذّامي([3]) ناقد حداثي من السعودية. ظهر في الوطن العربي في منتصف الثمانينات، بكتابه الأول «الخطيئة والتكفير» ١٩٨٥ فأحدث ضجة كبرى في صفوف النقاد العرب: لأنه تبنى فيه أحدث منهجين نقديين آنذاك، وهما: البنيوية والتشريحية أو (التفكيكية *Deconstruction*)، نشر حتى عام ٢٠٠٠ أكثر من خمسة عشر كتابا نقديا كلها في التطبيق الذي غلب عليه أكثر من التنظير النقدي. طلع الناقد المغربي الحداثي محمد مفتاح في ميدان النقد في مطلع الثمانينات بكتابه «في سيمياء الشعر القديم» ١٩٨٢، ثم تتابعت الحداثية في مجال النقد. ظهر عبد الملك مرتاض([4]) الناقد الحداثي من الجزائر، في ميدان النقد في منتصف الثمانينات، ثم استمر مخلصا له، فوضع فيه عدة كتب مثل «تحليل الخطاب السردي: معالجة تفكيكية سيميائية» عام ١٩٩٥.

---

[1] أبو هيف، ص: ٥٠٤.

[2] عزام، محمد، ص: ١٠٦

[3] الناقد السعودي وأستاذ النقد في جامعة الملك سعود بالرياض، وفي جامعة الملك عبد العزيز في جدّة.

[4] أستاذ الأدب والنقد في جامعة وهران بالجزائر منذ عام ١٩٧٠.

كتب الناقد الحداثي من مصر حسن البنّا عز الدين[١]، في ميدان النقد في نهاية الثمانينات، كتابه «الكلمات والأشياء: التحليل البنيوي لقصيدة الأطلال في الشعر الجاهلي» الذي هو في الأصل رسالة الدكتوراه التي دافع عنها، تحت إشراف عز الدين إسماعيل. أبو ناضر[٢] ناقد حداثي من لبنان. وضع كتابه «الألسنية والنقد الأدبي» عام ١٩٧٩، وهو أول محاولة بنيوية ظهرت في إطار النقد العربي البنيوي التطبيقي في السرد ضمن كتاب خاص. سيزا قاسم باحثة حداثية من مصر. أصدرت كتابها «بناء الرواية: دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ»[٣] عام ١٩٨٤، وهو طبعة مزيدة ومنقحة لرسالتها الجامعية التي تقدمت بها عام ١٩٧٨ للحصول على درجة الدكتوراه من كلية آداب جامعة القاهرة. سعيد يقطين ناقد حداثي من المغرب. اهتمّ بالسرديات[٤]، وله فيها آثار كثيرة. وقد كان كتابه «القراءة والتجربة: حول التجريب في الخطاب الروائي الجديد بالمغرب» ١٩٨٥ تجربة مثيرة[٥]، حلل فيها ــ بنجاح ــ أربع روايات تجريبية في الأدب المغربي المعاصر، وفق المنهج البنيوي الشكلي، ومصطلحاته. و عُني الناقد المغربي الحداثي حسن بحراوي بالسرد فوضع كتابه «بنية الشكل الروائي» ١٩٩٠، عرض فيه الاهتمام بالرواية منذ هيغل، فلوكاش الناقد المجري ذي الاتجاه الماركسي.

القراءات العربية للبنيوية التكوينية

يمكن القول بأن البنيوية التكوينية أكثر المذاهب النقدية الغربية انتشارا في العالم العربي، وعلى نحو لم يتح للفرع الآخر من البنيوية وهو البنيوية الشكلانية. ويمكن القول أيضا إن سر هذا الانتشار يعود إلى هيمنة الاتجاهات الماركسية تحديدا، في أكثر البيئات النقدية العربية.

---

١ عضو هيئة التدريس في كلية الآداب بجامعة الزقازيق.

٢ دكتوراه في الألسنية والأدب من جامعة السوربون، وأستاذ في السوربون (٧٢-١٩٧٤) وفي الجامعة اللبنانية.

٣ أبو هيف، ص: ١٢.

٤ أبو هيف، ص: ٣٠٨.

٥ عزام، محمد، ص: ١٧٣

لعل الكتاب «البنيوية التركيبية: دراسة في منهج لوسيان غولدمان» أول تنظير عربي في المنهج البنيوي التكويني، فقد نشره عام ١٩٨٢ جمال شحيّد. هو ناقد حداثي سوري، وأستاذ جامعي، ترجم عددا من الكتب الفرنسية. وبعد صدور كتاب جمال شحيّد بعامين أصدر الناقد الجزائري محمد ساري كتابه «البحث عن النقد الأدبي الجديد» ١٩٨٤ خصصه للنقد البنيوي التكويني وتطبيقاته. وفي مجال التطبيق للبنيوية التكوينية ظهرت قراءات قامت بتجريب مقولات البنيوية التكوينية. ومن الدراسات القديمة لمقاربة البنيوية التكوينية قراءة الناقد المصري غالي شكري المعنونة بـ «المنتمي». تناول غالي شكري فيها قضية الانتماء في ثلاثية نجيب محفوظ، وهي معالجة رؤية الانتماء أو أزمة جيل نجيب محفوظ الأساسية([1]). أصدر طاهر لبيب الكاتب التونسي، المثقف بالثقافة الفرنسية. كتابه «سوسيولوجية الغزل العربي: الشعر العذري نموذجا» باللغة الفرنسية عام ١٩٧٢، ثم عرّبه حافظ الجمالي عام ١٩٨١. الكتاب مقاربة عربية استوحت المنهج البنيوي التكويني صراحة. تجلت عناصر المنهج الاجتماعي في هذه القراءة لما تناول لبيب أهم العناصر الأساسية المحيطة بالظاهرة الشعرية العذرية العربية. يلاحظ الباحث (رؤية خاصة للعالَم) عند جماعة العذريين([2])، وكأنها نواة وعي أو شعور جمعي لمجموعة اجتماعية مشخصة كانت قد عاشت في شروط مادية خاصة.

محمد بنّيس([3]) شاعر وناقد مغربي، بدأ حيته النقدية بدراسته «ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب: مقاربة بنيوية تكوينية» ١٩٧٩ في وقت مبكر لم تكن الدراسات النقدية ذات المناهج الجديدة. الدراسة قراءة الظاهرة الشعرية في المغرب ووعي إشكلاية منهج الكتابة. سعى بنيس إلى تبني منهج يستند إلى وعي بالقوانين والبنيات الداخلية والخارجية للمتن الشعري وللكشف

---

[1] صدار، ص: ١٠٦.

[2] عزام، محمد، ص: ٢٦٧

[3] أستاذ جامعي، ورئيس تحرير مجلة الثقافة الجديدة التي تصدر في المغرب.

عن الربط الجدلي بينهما للوصول إلى المكون الباني[١]. نجيب العوفي ناقد حداثي من المغرب. أصدر كتابه النقدي «مقاربة الواقع في القصة القصيرة المغربية» عام ١٩٨٧، وهو رسالة جامعية حصل بها على درجة الدكتوراه من جامعة الرباط. يُمنى العيد[٢] ناقدة من لبنان، ظهرت في ميدان النقد في منتصف السبعينات. أكثر ما كتبت عن السرديات، زاوجت فيها بين المنهجين: الاجتماعي والبنيوي. ودراستها «في معرفة النص» ١٩٨٣ قراءة بنيوية تكوينية بتأثير الاتجاه الماركسي. حاولت فيه تسويغ منهج النقد الجديد، بالاستفادة من كشوفات الشكلانية والبنيوية[٣]، ومقاربة رواية «موسم الهجرة إلى الشمال»[٤] للروائي الطيب صالح، من حيث عن رؤية الكاتب التي وصفتها بالمأساوية. «الرواية المغربية ورؤية الواقع: دراسة بنيوية تكوينية» ١٩٨٥ للناقد المغربي حميد لحمداني[٥] من أبرز القراءات التي تبنت المنهج البنيوي التكويني بشيء من المرونة[٦]. وهي في الأصل رسالة جامعية حدد زمانها منذ بداية استقلال المغرب عام ١٩٥٦ وحتى ١٩٧٨، وحدّد موضوعها: ١٨ رواية لعشرة روائيين. يعد حميد لحمداني من أوائل النقاد الذين نبهوا إلى ظاهرة الاتجاهات الجديدة[٧].

ومن القراءات الأخرى للبنيوية التكوينية: دراسة السوري محمد عزام المسماة «فضاء النص الروائي...مقاربة بنيوية تكوينية». تقوم مقاربة عزام على قراءة البنية السطحية لأدب نبيل سليمان المتمثلة في تحليل الشكل التعبيري والفني لرواياته التاريخية والسياسية

---

١ صدار، ص: ١١٢

٢ أستاذة في الجامعة اللبنانية، فازت بجائزة سلطان العويس عام ١٩٩٣

٣ أبو هيف، ص: ٣٧٢

٤ عزام، محمد، ص: ٢٩٥

٥ ناقد حداثي من المغرب الذي بدأ النقد في مطلع الثمانينات وعُني بالسرديات

٦ صدار، ص: ١١٤

٧ أبو هيف، ص: ١٣.

والاجتماعية(١)، ودراسة مدحت الجيار بعنوان «النص الأدبي من منظور اجتماعي»، وقراءة الباحث العراقي سلمان كاصد بعنوان «الموضوع والسرد»، ودراسة رفيق صيداوي المسماة «النظرة الروائية إلى الحرب اللبنانية».

٢١. ما بعد البنيوية Post-Structuralism

وفي أواخر الستينات من القرن العشرين، عانت البنيوية كثيرا من الانتقادات. إن ما بعد البنيوية محاولة اعتراضية لعيوب البنيوية ولتجربة إمكانياتها، وأساسها في علم اللغة السوسيوري *Saussurean Linguistics*. وهي تكمل، في معنى آخر، البنيوية بإعطاء أجناس جديدة للتحقيق والشرح والتفسير. تشرح ما بعد البنيوية أي نص كأنه غير مستقر ومتقلب. يقع أصل تفكير ما بعد البنيوية في اعتقاده بصفات غير متساوية وغير متناسبة للغة(٢). كان لرولان بارت Barthes مكان مهم في نظرية ما بعد البنيوية لأنه قد جسر بين الحركات البنيوية وما بعد البنيوية. ونظرية ما بعد البنيوية لبَارت Barthes هي تفكيكية *deconstruction* في الأصل. وجوليا كريستيفا Julia Kristeva(٣) أجمعت ما بين البنيوية والتحليل النفسي في موقف واحد. حاولت جوليا أن تربط الأصوات الشعرية بالدوافع الجنسية الابتدائية. التفكيكية هي مظهر رئيسي(٤) استعملتها نظرية ما بعد البنيوية في النقد الأدبي. تجاوبت ما بعد البنيوية غالبا مع الوعي التاريخي والثقافة الأخلاقية[٥].

---

١ أبو هيف، ص: ٢٥٩.

2 Cuddon, P 692

٣ Julia Kristeva (و.١٩٤١) ناقدة وروائية فرنسية ذات الأصول البلغارية والمتخصصة في النقد النصي.

4 Ryan, P. 69

5 Raveendran, P.P., (1999), Adhunikanandaram: Vicharam, Vayana, Current Books, Thrissur, P 24

٢٢. التفكيكية Deconstruction

تعد التفكيكية ("تشريح النص" في اصطلاح د/عبد الله الغَذامي رائد التفكيكية في الوطن العربي([١])) أهم حركة ما بعد البنيوية([٢]) *Post-Structuralism* في النقد الأدبي فضلا عن كونها الحركة الأكثر إثارة للجدل أيضا. التفكيكية هي مشروع لقراءة النص([٣]). وهي استراتيجية منهجية تستهدف تقويض النص الأدبي من الداخل وخلخلة بنائه الهرمي لاستكشاف دلالاته الهاربة والمختفية تحت ستائر إشارته الغامضة. وربما لا توجد نظرية في النقد الأدبي التي أثارت موجات من الإعجاب وخلقت حالة من النفور والامتعاض مثلما فعلت التفكيكية في السنوات الأخيرة. نجد أن الكثير من النقاد الذين ينضوون تحت خانة النقد التقليدي يبدون سخطهم من التفكيكية التي يعدوها سخيفا وشريرا ومدمرا. ولم يخلو أي مركز فكري في أوروبا وأمريكا وبلاد العرب من الجدل في قيمة هذه النظرية الجديدة في النقد([٤]).

فالتفكيكية تستخدم للدلالة على نمط من قراءة النصوص بنسف ادعائها المتضمن أنها تمتلك أساسا كافيا. إن مصطلح التفكيكية يعتمد على الهرمنيوطيقا *Hermeneutics* ([٥]) الذي يمارس

---

١ عبد الرحمن بن إسماعيل السماعيل (تحرير)، الغذامى الناقد: قراءات في مشروع الغذامى النقدي، كتاب الرياض، عدد ٩٧-٩٨، ديسمبر ٢٠٠١، ص: ١٧

٢ لما شاعت شكوك حول ضعف الكفاية المنهجية للبنيوية في شتى حقولها المعرفية، ظهرت ما بعد البنيوية Post Structuralism. يقع أصل تفكير ما بعد البنيوية في اعتقاده بصفات غير متساوية وغير متناسبة للغة. التفكيكية هي مظهر رئيسي[٢] استعملتها نظرية ما بعد البنيوية في النقد الأدبي. تجاوبت ما بعد البنيوية غالبا مع الوعي التاريخي والثقافة الأخلاقية.

3 Raveendran, P.P., (1999), Adhunikanandaram: Vicharam, Vayana, Thrissur, Kerala: Current Books, P 24.

٤ فمن ناحية نجد أن بعض أعمدة النقد مثل ج.هيليس ميلرJ. Hillis Miller وبول دي مان Paul de Manوجيفري هارتمن Geoffrey Hartman وهارولد بلوم Harold Bloom، هم رواد التفكيك على الصعيدين النظري والتطبيقي على الرغم من تباين أسلوبهم وحماسهم، ومن ناحية أخرى نجد نقادا كثيرين للتفكيكة، ومن أشهر منتقدي التفكيكية: مشيل فيكو Michael Foucault، إدوارد سعيد Edward Said، وجون إليس John Ellis .

٥ التفسيرية أو الهرمنتيكية Hermeneutics هي المدرسة الفلسفية التي تشير لتطور دراسة نظريات تفسير Interpretation ودراسة وفهم النصوص Text. في الدراسات الدينية يستخدم مصطلح هرمنتيكية للدلالة على دراسة وتفسير النصوص الدينية. هذه الكلمة لها من التراث الدلالي الكثير والكثير. فبينما تشير كلمة hermeneutics إلى الفرع من علم الفلسفة

القارئ من خلاله تفكيك النص، فالقارئ يحدث عنده المعنى ويُحدثه، ومن دون هذا الدور لا يوجد نص أو لغة أو علامة أو مؤلف. ومن هنا فإن أيّ مناقشة للتفكيكية لابد أن تبدأ بالقارئ، وتجربة القارئ التي لا يوجد قبل حدوثها شيء. فهو يفكك النصَ ويعيد بناءه على وفق آليات تفكيره. التفكيكية هي محاولة لتفكيك الفكر النقدي للتراث الفلسفي المتداول ولطرح سيطرة المفهوم والمفهمة للنقاش، خصوص سيطرة نظام هيغل([1]) Hegel الفلسفي والنظام اللغوي([2]) لسُوسُور Ferdinand de Saussure.

ويعد الفيلسوف الفرنسي جاك دريدا Jacques Derrida الاسم الأكثر اقترانا بالتفكيكية، فقد طرح آراءه في ثلاثة كتب نشرت في سنة ١٩٦٧([3])، وهي "في علم الكتابة" *Of Grammatology* و"الكتابة والاختلاف" *Writing and Difference* و"الكلام والظواهر" *Speech and Phenomena*. والمفهوم العام لهذه الكتب يدور على نفي التمركز المتمثل في الثقافة الغربية. ولذلك يبحث دريدا عن المنطوق أو أفضلية الكلام على الحضور سعيا منه في قلب المعنى وإسقاطه من اللغة. تمثل فرنسا المهد الأول للتفكيكية، ثم انتقلت التفكيكية إلى أمريكا عبر رحلة قادها دريدا الذي

الذي يدرس مبادئ التأويل والادراك، فإن الكلمة ذاتها تحمل اسم نظرية معروفة في الميثودولوجيا (ما يُسمى بعلم المنهج) في أسلوب تأويل النصوص المقدسة وتفسيرها – بالأخص التوراة والإنجيل.

١ جورج فردرك هيغل Georg Wilhelm Friedrich Hegel (١٧٧٠–١٨٣١) فيلسوف ألماني، الذي يعتبر أحد أهم الفلاسفة الألمان حيث يعتبر أهم مؤسسي حركة الفلسفة المثالية الألمانية في أوائل القرن التاسع عشر الميلادي. ظهرت الفلسفة الحديثة، والثقافة، والمجتمع في نظر هيغل عناصر مشحونة بالتناقضات والتوترات، كما هي الحال بالنسبة للتناقضات بين الموضوعِ وجسمِ المعرفة، بين العقل والطبيعة، بين الذات والآخر، بين الحرية والسلطة، بين المعرفة والإيمان، وأخيرا بين التنوير والرومانسية.

٢ زيما، بيير ف.، (١٩٩٦)، La Déconstruction: Une critiqie (التفكيكية: دراسة نقدية)، تعريب: أسامة الحاج، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ص: ٩

٣ عناني، محمد، (١٩٩٧)، المصطلحات الأدبية الحديثة: دراسة ومعجم إنجليزي/ عربي، الشركة المصرية العالمية للنشر – لونجمان، ط ٢، ص ١٣٢.

ألقى محاضراته في جامعة بيل([١]) Yale وهوبكنز([٢]) John Hopkins، هذه الأخيرة التي شهدت ميلاد المؤتمر الأول للتفكيكية عام ١٩٦٦ لتسود بذلك التفكيكية الساحة النقدية الأمريكية في السبعينات للقرن العشرين([٣])، ويتأثر بها العديد من المؤلفين والنقاد لتهيمن بذلك أفكار دريدا على الساحة الأدبية وخاصة على النقاد الرومانسيين والناقمين على موجة النقد الجديد *New Criticism*([٤]). لقد خلفت كتابات دريدا تأثيرا واسعا في الجامعات الأمريكية خاصة مجموعة نقاد بيل Yale، فمثلت كتابات بول دي مان([٥]) Paul de Man - مناصر التفكيكية الأول - الأرضية الصلبة التي انطلقت منها انتقادات النقاد الجدد خاصة من خلال كتابه "العمى والبصيرة" الذي صدر عام ١٩٧١، ويرى فيه دي مان "أن النقاد يصلون إلى البصيرة النقدية من خلال العمى النقدي([٦]).

إن عمل دريدا عمل مفكِك *De-constructer* لكونه قد أعاد النظر في المفاهيم التي تأسس عليها الخطاب الغربي الذي لا يعدو أن يكون خطابا ميتافيزيقيا *Metaphysics*، وليس هناك بديل يقدمه دريدا. ولهذا تقود التفكيكية، إذن، هجوما ضاريا وحربا شعواء على الميتافيزيقيا في

---

١ جامعة ييل Yale University هي جامعة خاصة تقع في كنتيكن، تأسست عام ١٧٠١م، تعتبر ثالث أقدم معهد للتعليم العالي في الولايات المتحدة الأمريكية، ويعمل بها ١٩ حائز على جائزة نوبل، وتتكون من ١٢ كلية. ويعتبر الحصول على شهادة من هذه الجامعة بمثابة المفتاح السحري للثراء والمناصب الحكومية الحساسة.

٢ جامعة جونز هوبكينز جامعة خاصة، مقرها في بالتيمور بولاية ماريلاند بالولايات المتحدة. افتتحت الجامعة في ١٨٧٦ بهدف أساسي وهو تنمية الأبحاث وتشجيع التلاميذ اللذين عن طريق اجتهادهم سيقومون بتطوير العلوم المرجوة

٣ عزام، محمد، (٢٠٠٣)، تحليل الخطاب في ضوء المناهج النقدية المعاصرة، دمشق: اتحاد الكتاب العرب، ص: ١٢٥

٤ النقد الجديد New Criticism مدرسة أدبية نقدية ظهرت في أمريكا في القرن العشرين، كان أصحاب النقد الجديد يركزون تركيزا شديدا على اللغة والصور البلاغية والتوترات العاطفية والعقلية، وبخاصة في الشعر، في محاولة لاستكناه الجمال.

٥ يعتبر بول ديمان Paul de Man ثاني أعمدة المدرسة التفكيكية, على حين يعتبر دريدا العمود الأول, وكل هؤلاء مختلفون عن بعضهم البعض, فالأول كان يهتم إلى حد كبير بالموضوعات السياسية, على حين كان اهتمام الثاني بالنصوص والنقد الأدبي. قال الباحث: ريتشارد دورتي – من جامعة فيرجينيا: لولا انتماء بول دي مان إلى هذه المدرسة التفكيكية لما أمكن لهذه المدرسة أن تنتشر.

٦ سيلدن، رامان، (١٩٩٦)، النظرية الأدبية المعاصرة، ترجمة سعيد الغانمي، ط ١، المغرب: دار فارس للنشر والتوزيع، ص١٤٢.

قراءة النصوص: فلسفية كانت أو غير فلسفية([1]). ويقصد بالميتافيزيقيا التي تستهدفها التّفكيكية في هجومها كل فكرة ثابتة وساكنة مجتثة من أصولها الموضوعية، وشروطها التاريخية([2]). ويرى دريدا أن الفكر الغربي قائم على ثنائية ضدية عدائية يتأسس عليها ولا يوجد إلا بها مثل: دالّ/مدلول، خارج/داخل، الواقع/الحلم، الخير/الشرّ، الشرق/الغرب، المذكر/المؤنث، العقل/ العاطفة، الجسد/ الروح، الذات/ الآخر، المشافهة/ الكتابة،.... الخ([3]). لما تفضل الميتافيزيقيا أحدَ الحدّين على الآخر، تسعى التفكيكية إلى كسر هذه الثنائيات الميتافيزيقية. ولهذا تتسم التفكيكية بطابع سياسي فضلا عن كونها إستراتيجية فلسفية([4]). يقول د/ غسان السيد([5]): إن خطاب دريدا يريد أن يقطع كل الجسور مع الماضي، ومع أي نقطة إحالة مرجعية ثابتة. جاء هذا الخطاب في الأساس ليفضح الخطاب الغربيّ الذي لم يستطع في مراحله كلها التخلص من مركزية حادة تتحكم في الوعي الجمالي والقيمي للإنسان ([6]). تنحو التفكيكية إلى القول باستحالة الوصول إلى فهم متكامل أو على الأقل متماسك للنص أيا كان، فعملية القراءة والتفسير هي عملية اصطناعية يقوم بها القارئ، وبالتالي يستحيل وجود نص رسالة واحدة متماسكة ومتجانسة. إن معنى النص منتشر فيه ومبعثر فيه كبذور تنثر في كل الاتجاهات ومن ثم لا يمكن الإمساك به([7]).

---

[1] Sivaprasad, (2009), Navasahithya Darshanangal: Sidhanthavum Prayogavum, Thiruvananthapuram, , Kerala: India Books, p 55

[2] جيمسون، فريدريك، (١٩٧٢)، سجن اللغة، برنستون: مطبعة جامعة برنستون، ص١٧٦

[3] زيما، بيير ف.، ص: ٧١

[4] عزام، محمد، ص: ٧٥

[5] د/ غسان السيد كاتب سوري من مواليد ١٩٥٦م، من أعضاء اتحاد الكتاب العرب في سورية والوطن العربي، يعمل أستاذا جامعيا في جامعة دمشق. من مؤلفاته: مقدمة في المناهج النقدية للتحليل الأدبي.

[6] السيّد، غسان، التّفكيكيّة والنّقد العربيّ الحديث، مجلة الموقف الأدبي – مجلة أدبية شهرية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق، العدد ٤٢٦، تشرين الأول 2006

[7] المسيري، عبد الوهاب، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية – نموذج تفسيري جديد، الطبعة الأولى، ١٩٩٩ ، المجلد الخامس ، مصر: دار الشروق، ص ٤٣٧.

المفهومات النقدية للتفكيكية

ويمكن الحديث عن أهم المفهومات النقدية التي قدمها دريدا Derrida لمشروعه النقدي التفكيكي من خلال النقاط الآتية:

1. علم الكتابة Grammatology :

لقد استند مفهوم الكتابة الذي صاغه دريدا إلى ثلاث كلمات معقدة جدا، هي: الاختلاف *differance* والأثر *trace* والكتابة الأولى *arche-writing*[١]. إن أبرز جزء في نظرية دريدا هو أنه ينقل بَحثه من اللغة إلى الكتابة، النص المكتوب أو المطبوع، وأنه يتصور النص بطريقة محددة غير اعتيادية. كانت الفلسفات الميتافيزيقية الغربية والشرقية نسبت مكانة ثانوية إلى الكلمة المكتوبة ومكانة رئيسة للكلمة المنطوقة. ونلاحظ في التفكيكية عنصر التمركز حول الكتابة *graphocentrism*[٢]. ويمكن القول أن المقصود بالتمركز حول الكتابة هو انتقال الأهمية من الكلام إلى الكتابة، وهو يمثل قلبا للمفهوم التقليدي القائل بأولوية الكلام أو الكلمة المنطوقة على الكتابة أو الكلمة المكتوبة.

وقد بين دريدا أن الزعم للسانيات الحديثة والبنيوية عن مفهوم الدال والمدلول هو أيضا خداع لأن مفهوم الدال والمدلول في اللغة الذي جاءنا من اللسانيات والبنيوية هو صورة أخرى لمفهوم الكلام والكتابة التقليدي[٣]. يعدّ مفهوم علم الكتابة *Grammatology* نقدا لثنائية سوسور Saussure (الدال (الصورة الصوتية) والمدلول (المفهوم))، ورؤيته لدور العلامة وفاعليتها في بناء النص، فالدال عند سوسور هو تشكل سمعي وبصري[٤]، وصورة لحمل الصوت، وقد عدّ

---

١ الكتابة الأولى arche-writing: التعبير مستقى من فرويد Freud، وقد استعمله للإشارة إلى اللاوعي. وقد استعمل دريدا هذا المفهوم، مشيرا إلى فرويد مرات عدة في كتابه "الكتابة والاختلاف". وهو يقول: "إن الكتابة تعد استكمالا للإدراك حتى قبل أن يعي الإدراك نفسه. والذاكرة أو الكتابة هي فاتحة عملية وعي الإدراك بذاته.

2 Achuthan, M., (2006), Paschathya Sahithya Darshanam, Ed 2, Kottayam, , Kerala: DC Books, P 483

3 Derrida, Jack, (1994), Of Grammatology, Trans. Gayathri Spivak, Delhi: Motilal Banarsidass, P 112

4 Anandan, K.N., (2003), Bhashashastratile Chomskian Viplavam, Trivandrum: Bhasha Institute, PP 46-51

دريدا ذلك تمركزا حول الصوت، وصورة واهمة لحمل المعنى([1]). وقد اقترح دريدا استبدال (العلامة) بمفهوم الأثر (*Trace*) بوصفه الحامل لسمات الكتابة، ولنشاط الدال، وقد تحولت اللغة وفقا لذلك من نظام للعلامات([2]) ـ كما هي عند سوسور ـ إلى نظام للآثار ـ كما هي عند دريدا ــ وتعين تلك الآثار على ترسيخ مفهوم الكتابة، وتوسيع اختلافات المعنى المُتحصل من نشاط دوالها، لذلك عدّ دريدا علم الكتابة "بأنّه علم للاختلافات".

2. الاختلاف/ الإرجاء Différance : يشير مصطلح "الاختلاف/ الإرجاء" إلى السماح بتعدد التفسيرات انطلاقا من وصف المعنى بالاستفاضة، وعدم الخضوع لحالة مستقرة، ويبين (الاختلاف) منزلة النصية*Textuality* في إمكانيتها تزويد القارئ بسيل من الاحتمالات، وهذا الأمر يدفع القارئ إلى العيش داخل النص، والقيام بجولات مستمرة لتصيّد موضوعية المعنى الغائبة، وترويج المعنى . حسب دريدا . يخضع دائما للاختلاف، والمعنى من خلال الاختلاف يخلق تعادلات مهمة بين صياغات الدوال والاطمئنان النسبي إلى اقتناص الدلالة. تحمل الكلمة الفرنسية *différance* معنى الاختلاف (في المكان) والإرجاء (في الزمان)([3]). ويرى دريدا أن المعنى يتولد من خلال اختلاف دال عن آخر، فكل دال متميز عن الدوال الأخرى ومع ذلك فهناك ترابط واتصال بينهما، وكل دال يتحدد معناه داخل شبكة العلاقات مع الدوال الأخرى، لكن معنى كل دال لا يوجد بشكل كامل في أية لحظة (فهو دائما غائب رغم حضوره)، وهكذا *differance* عكس الحضور والغياب بل يسبقهما([4]).

ويرى دريدا أن كل علامة تؤدي هذه الوظيفة المزدوجة: أي الاختلاف والتأجيل، ولهذا السبب تكون بنية العلامة مشترطة من قبل الاختلاف والتأجيل، وليس من خلال الدال والمدلول([5]).

---

1 Achuthan, M., P 479
2 Anandan, K.N, P 46
3 Sivaprasad, P 61
4 Cuddon, JA, (1999), Literary Terms and Literary Theory, London: Penguine Books, P 210
5 أبو هيف، عبد الله، (٢٠٠٠)، "النقد الأدبي العربي الجديد"، دمشق: اتحاد الكتاب العرب، ص ٤٤٩.

ويمكن توضيح ما ذكر بالمثال الآتي: فنحن نميز بين كلمتي three وتعني "ثلاثة" و tree تعني "شجرة" في الكلام والكتابة، فهما مختلفتان تماما وتكشفان عن هويتهما. ويعد هذا الاختلاف إحدى القوتين الموجودتين في كل علامة. أما القوة الأخرى في العلامة فهي قدرتها على الإرجاء، أي قابليتها على التأجيل. فعلى سبيل المثال إن كلمة "وردة" في قصيدة ما لا تبدأ بكشف المعنى إلا حينما ندرك أنها ليست تلك الوردة التي نراها في الواقع، بل أن لها معنى آخر، ذلك الشيء الذي ينبغي اكتشافه. ولهذا السبب فإن العلامة نصفها واف والنصف الآخر غير واف، وهذه الحقيقة ضرورية لبداية فهمنا إلا إنها غير كافية بسبب نقصها. ومثلما أكد سُوسور فإن العلامة هي ليست "الدال + المدلول" بل العلامة هي "الاختلاف + الإرجاء". ويرى سُوسور أن العلامة اتحاد في حين يراها دريدا اختلاف.

3. نقد التمركز Critique of centricity : ويقدم هذا المعطى من معطيات دريدا إمكانية كبيرة في فحص منظومة الخطاب الفلسفي الغربي عبر قرونه الممتدة زمنيا، ويكشف هذا المعطى في الوقت نفسه عن التأمل الفلسفي المتعالي، ويعمل على تمزيق أقنعته بوصفها رواسب حجبت صورة الحقيقة. ويُصر دريدا على أنّ لكل تركيب مركزا سواء كان تركيبا لسانيا أم غير لساني، فلسفيا أم غير فلسفي، وحمل التراكيب لمراكز محددة يعطي أهمية لحركة الدوال. وتوجُه دريدا في هذا الإطار كان منصبا على نقد التمركز بوصفه دلالة سلبية([1])، ومدح المركز بوصفه العنصر المشع للدلالة، والنقطة التي ينبثق منها اختلاف المعنى([2]).

٤. نظرية اللعب Theory of play : ويشير مفهوم نظرية اللعب إلى تمجيد التفكيكية لصيغة (اللعب *الحر play free*) للكتابة، وتأكيد المعطى الثقافي للفكر والإدراك، وغياب المعرفة

[1] عزام، محمد، ص: ١٣٦

[2] Royle, Nicholas, deconstructions, Palgrave, NY, (2000), p 6.

السطحية المباشرة، واستلهام أفق واسع من المرجعيات الفكرية المماثلة، والفلسفية المعقدة، والنظم المخبوء، وطرائق التحليل الخاصة([1]).

٥. **الأثر Trace** : فالعلم في نظر دريدا Derrida - مثله في ذلك مثل الدين والفلسفة الميتافيزيقية - يقيم نظامه على ما يسميه "الحضور" ومعناه التسليم بوجود نظام خارج اللغة يبرر الإحالة إلى الحقائق أو الحقيقة. فمفهوم الأثر في التفكيكية مرتبط بمفهوم الحضور الذاتي، ودريدا يرى في الأثر شيئا يمحو المفهوم الميتافيزيقي للأثر وللحضور([2]). وهدف دريدا هو تفكيك الفلسفة وتفكيك تطلعاتها إلى إدراك الحضور، وفي مقابل التركيز على المقابلة بين الدال والمدلول (اللفظ والمعنى) عند سُوسور Saussure يرفض دريدا أسبقية المدلول على الدال، لأن تصور سُوسور كان يعني وجود مفاهيم "حاضرة" خارج الألفاظ.

فالعلامة سياقية *contextual*، وهي تخلق سراب المدلول. ولهذا السبب إن العلامة "أثر"، فهي ليست التمثيل المرئي أو الكتابي المحسوس للصورة الصوتية بل إنها الأثر الذي يصفه دريدا بأنه ليس طبيعيا. إن ما هو كائن في العلامة يحرك الذهن باتجاه ما هو غير كائن فيها، ولهذا السبب فإن ما هو موجود في العلامة يحمل أثر ما هو غير موجود فيها. تقول Gayatri Spivak([3]) الكتابة لدريدا هي اسم البنية التي يسكنها الأثر دائما. الكتابة، عند دريدا، إنها النقش *inscription* عموما، سواء كان ذلك حرفيا أم غير حرفي حتى وإن كان ما تم توزيعه في الفراغ غريبا عن نظام الصوت. بهذا المعنى يمكن أن نعد التصوير السينمائي والرقص والموسيقى والنحت

---

1 Sivaprasad, P 62

2 Achuthan, M, P 480

٣ جايتري شكرورتي سفيواك Gayatri Chakravorty Spivak (و. ١٩٤٢م) ناقدة أدبية هندية ولدت في كلكتا. وصفت سفيواك نفسها منظرة ماركسية نسوية تفكيكية، اشتهرت بآثارها في مجال ما بعد الاستعمار post colonialism ، وترجمة كتاب of grammatology لجاك دريدا، وهي تعمل الآن أستاذة في جامعة كولمبيا، الولايات المتحدة.

جميعها كتابة. و(الأثر) هو القيمة الجمالية التي تجري وراءها كل النصوص، ويتصيّدها كل قراء الأدب([1]).

٦. **الحضور والغياب Presence and Absence** : أما مفهوم الحضور والغياب فيشكل تتويجا نقديا للمفهومات السابقة، لأنه يمثل الثمرة المعرفية للتحليل التفكيكي. إنّ جميع إجراءات المسيرة النقدية للتفكيك تخضع لحضور الدوال وتغييب المدلول. وقد انطلق دريدا من خلال هذه الثنائية لنقد توجه الخطاب الفلسفي الغربي، وتقويض أسسه من خلال كشف تناقضاته واللعب بأنظمته وممارساته، وتحويل معادلته المعرفية من ميتافيزيقيا الحضور إلى غياب المعنى واختلافه وتعدده.

التفكيكية في النقد الأدبي

يبرز تأثير فلسفة دريدا Derrida في النقد الأدبي عند نقاد جامعة ييل Yale في أمريكا وبخاصة بُول دِي مَان. ويستند دي مان Paul de Man على قول دريدا بأن الأدب يمكن اعتباره حركة تفكيكية ذاتية للنص، إذ يقدم معنى ثم يقوّضه في آن واحد، فالأدب أقرب ما يكون إلى تجسيد مبدأ الاختلاف([2]). وهو يحتفل بوظيفة الدلالة وفي الوقت نفسه بحرية عمل الكلمات في نطاق الطاقات الاستعارية وألوان المجاز والخيال دون الجمع بين المتناقضات فلا يصل أبدا إلى الوحدة([3]). وأهم ما يلاحظ هنا هو أن هذا التصور للأدب باعتباره نصوصا متداخلة ينفتح بعضها على بعض ولا يجد النص منها حدودا تمنعه من تجاوز ذاته بدلا من التصور القائم على وجود نص مستقل أو كتاب مغلق يناقض تعريف الأدب الذي جاء به النقد الجديد *New Criticism* باعتباره عملا يتمتع بالوحدة العضوية. ترجع أهمية الأدب في ظل التفكيكية إلى

---

[1] عزام، محمد، ص: ١٢٦

[2] زيما، بيير ف.، ص: ١١٢

[3] عناني، محمد، (١٩٩٧)، المصطلحات الأدبية الحديثة: دراسة ومعجم إنجليزي/ عربي، الطبعة الثانية، لونجمان: الشركة المصرية العالمية للنشر، ص ١٤٣ – ١٤٤.

طاقته على توسيع حدوده بهدم أطر الواقع المتعارف عليها، ومن ثم فهو يميط اللثام عن طبيعتها التاريخية العابرة، فالنصوص الأدبية العظيمة دائما تفكك معانيها الظاهرة سواء كان مؤلفوها على وعي بذلك أم لا. والأدب أقدر فنون القول على الكشف عن العملية اللغوية التي تمكن الإنسان بها من إدراك عالمه مؤقتا وهو إدراك لا يمكن أن يصبح نهائيا أبدا.

لا يوجد شيء خارج النص :

تشكل هذه العبارة أساسا من أهم أسس النظرية التفكيكية وقد عبر دريدا عن ذلك بقوله: "لا يوجد ش خارج النص" ([1]) *There is nothing outside the text* . ومعنى ذلك رفض التاريخ الأدبي التقليدي ودراسات تقسيم العصور ورصد المصادر لأنها تبحث في مؤثرات غير لغوية وتبعد بالناقد عن عمل الاختلافات اللغوية([2]). ويعتبر التفكيكيون أن الغوص في الدلالات وتفاعلاتها واختلافاتها المتواصلة تعد معادلا للكتابة، فمن حق كل عصر أن يعيد تفسير الماضي ويقدم تفسيره الذي يرسم طريق المستقبل، فالتفسيرات أو القرارات الخاطئة هي السبيل الوحيد لوضع أي تاريخ أدبي بالمعنى التفكيكي. ومن هنا اتبع التفكيكيون في تطبيقاتهم القرائية على النصوص الأدبية التفكيك للمدلولات الوراثية المتمركزة في التفسيرات والقراءات النقدية السائدة، وطلبوا بقتل المؤلف([3]) (المدلول) وتكفينه في اللاحضور، ومركزة الدال، تحت سلطة القارئ الذي يرث النصَ عن مؤلفه ليقوم بتفكيكه وتقويضه وإعادة كتابته من جديد. لذلك

---

1 Jeorge, CJ (Ed.), (1996), Adhunikanandara Sahitya Sameepanangal, Bookworm, Thrissur, , Kerala, p67

2 Sivaprasad, P 63

٣ فكرة "موت المؤلف" death of the author تعني أنه من الخطأ النظر إلي العمل الأدبي على أنه غاية نهائية لمراد الكاتب، فليس من الصواب عند تحليل العمل الأدبي النظر إلي شخصية الكاتب، أو إلي تاريخه وذوقه وأهوائه وغير ذلك من الأمور المتعلقة به، وذلك من منطلق التعددية المفتوحة في تأويل المعنى من ناحية، ومن منطلق أن "البنيوية" لا تنظر إلي أي شيء خارجي عند تحليل العمل الأدبي، فهي ترغب في تحليل عناصره بالنظر إلي العلاقات القائمة بينها داخل "العمل الأدبي" نفسه، وليس بالنظر إلي أية أشياء خارجية، سواء كانت تعود إلي المؤلف أو غيره.

يرى رولان بارت([1])Roland Barthes– أحد نقاد التفكيكية الأكثر جدلا – أن النقد كتابة على الكتابة أو نصا جديدا يضاف إلى النص الأصلي، فالقارئ وفقا لبارت يعد منتجا لا مستهلكا صاحب إضافة، ليس مجرد عالة على النص. هذا يعني لا نهاية في المدلول والمعنى، فليس ثمة قراءة صحيحة أو خاطئة، بل هناك سلسلة لا نهاية لها من القراءات، فكل قراءة تولد قراءة أخرى جديدة إلى ما لا نهاية، في تفسيرات مختلفة أو متناقضة([2]). يرى دريدا أن أي نص غير تام، وغير مكتف بذاته، فليس ثمّة بنية أو ظاهرة مكتفية بذاتها، بل إنها دائما تحتاج إلى تتمة أو مكمل أو إضافة. وعلى هذا الأساس لا يُمكن الحديث عن الكمال في الشيء، وكأنّ عدم الكمال هي الضمانة الوحيدة للبقاء، لأن الأشياء إذا اكتملت ماتت. فالنص تكمله القراءات المتعددة التي لا تؤدي دورا ثانويا، بل رئيسا في العمل التفكيكي. ومادام الأمر كذلك فليس ثمَةَ بؤرة مركزية يتمحور حولها المعنى، وإنما هناك لعب بالدوال، وإرجاء ممتد بلا نهاية للدال إلى مدلولات مختلفة باختلاف القراءة، لا تنتهي ولا تتوقف ولا تستقر عند معنى ثابت إلزامي([3]).

يقول ريتشارد رورتي: الدور المهم المفيد الذي تلعبه النزعة التفكيكية في الدراسات الأدبية، ذلك الدور الذي يسهم في تحريرنا من فكرة "تفسير النص تفسيرا صحيحا". إن القراءة التفكيكية التي سماها نيتشه ([4])Nietzsche (الهدم) تقوم على التقويض والهدم لكل ما هو ثابت، وقلب المعادلات والثنائيات، والتحرك نحو المناطق التي لا يلتفت إليها النقاد عادة. هذهِ المنهجية في القراءة، لا تغيب التأثر بالمدرسة الفرويدية ([5])Freud التي تبحث عن أدق الدوال في النص

---

[1] رولان بارت Roland Barthes (١٩١٠–١٩٧٠) هو الناقد الاجتماعي والأدبي الفرنسي، ساعد لتأسيس البنيوية كأحد الحركات الثقافية القيادية للقرن العشرين، كان بارت من دعاة التفكيكة.

[2] حمودة، عبد العزيز، (١٩٩٨)، المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك، سلسلة عالم المعرفة، رقم ٢٣٢، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب،: ص٣٢٦

[3] نفس المصدر، ص ٢٩١ – ٢٩٢.

[4] نيتشه فيلسوف ألماني (١٩٠٠) الذي بشر بـــ"الإنسان الأعلى".

[5] سغمند فرويد Sigmund Freud طبيب أمراض عصبية نمساوي (١٩٣٩)، ومؤسس طريقة التحليل النفسي.

للوصول إلى خيبة نفسية تدخل منها إلى الكشف عن الشخصية المبدعة. إن الغرض الفرويدي كشف نفسي، أما الغرض التفكيكي فهو بحث عن لانهائية القراءة، وفتح النص أمام تعددية قرائية لا تغلق مدلوله بل تجعله مشرعا، حتى وإن اضطرت إلى تقويض مداخله حتى تضمن عدم انغلاقِ القراءة([1]).

هذا وقبل الختمِ نجمل ملامح القراءة التفكيكية في أمور:

١. الوصول إلى نتائج مناقضة لما هو سائد.

٢. النزوع نحو استخدام مفهومات ومقولات إجرائية غير محسومة، وغير محدودة.

٣. قراءة مؤقتة في انتظار قراءة قادمة، أو عود لانهائي من القراءات القادمة([2]).

ولعل رواج التفكيكية في التجربة النقدية العربية كان بسبب انتشار الترجمات العديدة لمؤلفات الرواد أمثال رولان بارت وجاك دريدا، وقد ساعد ذلك على انتشار التفكيكية في الساحة النقدية العربية. ويجمع معظم الدارسين أن أول دراسة تفكيكية([3]) تعود إلى سنة ١٩٨٥، وهي محاولة الناقد السعودي د/ عبد الله محمد الغذامي في كتابه "الخطيئة والتكفير". يعتبر الغذامي ناقدا ناجحا في تطيق التفكيكية كمنهجا نقديا. فراح الغذامي يطبق في كتابه "تشريح النص" المنهج التفكيكي، فرأى أن النص إشارة حرة حررها المبدع ليطلقها صوب المتلقي، لا ليقيدها بقراءة معجمية موروثة، وإنما يتفاعل معها بفتح أبواب خياله لها لتحدث في نفسه أثرها الجمالي. ومن ممثلي التفكيكية بين العرب: نصر حامد أبو زيد، وعبد الكبير الخطيبي صاحب كتاب "المغرب أفقا للفكر".

---

[1] Sivaprasad, PP 63-64

[٢] السيّد, غسان، التّفكيكيّة والنّقد العربيّ الحديث, مجلة الموقف الأدبي, العدد ٤٢٦, تشرين الأول, ٢٠٠٦ م.

[3] http://manahijnaqdia.3oloum.org/montada-f1/topic-t4.htm

٢٣. ما بعد الحداثة Post-Modernism

ما بعد الحداثة *Post Modernism* اصطلاح عام يستعمل للدلالة على التغيرات والتنميات والعادات التي أصابت الفنون والفلسفة والأدب والعمارة منذ الخمسينات للقرن العشرين. وهي محاولة لإعادة التفكير في المنظر الثقافي بالنظرات الإنسانية. ما بعد الحداثة ليست حداثة لأنها رد فعل للحداثة. جاءت ما بعد الحداثة لتقدم رؤية مزدوجة حول طائفة من القضايا: منها تدمير القيم المتوارثة، والمظاهر التقليدية، وتدمير المعنى للبقاء في دوامة لعبة الدوال. إنها حرب ضد كل المطلقات والقيم، ولا تخضع لقانون أو دستور أو معيار كلي. ومن أهم سمات ما بعد الحداثة هي الانعكاسية الذاتية، لم تؤمن ما بعد الحداثة بالفواصل، والفوارق الثقافية المعرفية. وأدب ما بعد الحداثة أدب ضد العادات والسلطة. وقد تحول كل شئ في مرحلة ما بعد الحداثة إلى لغة: الأمراض العقلية والجسدية، والظواهر الحياتية المختلفة، واللاوعي، والجنس، والآلة، والحرب، والنزاعات والصراعات الفكرية والعقدية. وقد اتجهت ما بعد الحداثة إلى الاستعانة بمعطيات ما بعد البنيوية حتى وُصِفت – أي ما بعد الحداثة – بأنها تمثل مشروعا نقديا واحدا مع ما بعد البنيوية.

المفكر الفرنسي لوتيار Jean Francois Lyotard[١] هو الذي قدم ما بعد الحداثة أولا [٢]. وهي محاولة لإعادة التفكير في المنظر الثقافي بالنظرات الإنسانية. ويمكن أن تعتبر حركات ما بعد الحداثة مدارس طليعية جديدة. أدب ما بعد الحداثة أدب ضد العادات والسلطة. حركة *anti-novel* [٣] في الأدب القصصي أثر لما بعد الحداثة. والشعر العيني *concrete poetry* ومسرح اللامعقول *theatre of the absurd* والمسرح الشامل *total theatre* و*theatre de complicite* من آثار

---

١ جان فرانكو لوتيار Jean-François Lyotard (١٩٢٤–١٩٩٨) فيلسوف ومنظر أدبي فرنسي. اشتهر بعد السبعينات للقرن الماضي بفلسفاته ما بعد الحداثية والتحليل لأثرها في الحالة الإنسانية.

2 Jeorge , P 41

3 Raveendran , P 38

ما بعد الحداثة. المنهج الانتقائي *eclectic approach* مثل الواقعية السحرية *magic realism* واضح في أدب ما بعد الحداثة([1]). ومنذ السبعينيات، ازدهر النقد الماركسي والنسوي والتحليل النفسي في نقد ما بعد الحداثة. ونقدها نسبي. وله علاقة بما بعد البنيوية والتفكيكية. ومن ممثلي ما بعد الحداثة في الغرب: دريدا وفوكو Michel Foucault([2]) وبوردرلاد Jean Baudrillard.

وصلت مدارس ما بعد الحداثة والمدارس اللغوية الأخرى إلى العالم العربي الشرقي على أيدي مثقفي الدول العربية في شمال أفريقيا: تونس والمغرب خاصة لقوة التواصل اللغوي بين فرنسا ومستعمراتها القديمة. الأسماء مثل دريدا وفوكو – على التقريب – هي الأكثر ترديدا في التنظير النقدي المعاصر في الثقافة العربية، ومبادئها النقدية هي الأكثر توجيها وتأثيرا في مجالات التطبيق عند العرب كذلك. يستعمل كثير من الأدباء والنقاد العرب مبادئ ما بعد الحداثة في كتاباتهم. ومن أشد ممثليها في بلاد العرب: أدونيس، وإدوار الخراط، وكمال أبو ديب، وعبد الله الغذامي، ونوال السعداوي، وغالي شكري، وإبراهيم نصر الله. فالحديث الآن يأخذ مسار ما بعد الحداثة، وما بعد البنيوية، وما بعد الإستعمارية، وغدا يمكن الحديث عن ما بعد الحرب الكونية، وما بعد الماركسية الجديدة، وما بعد الأداة والثقافة، وما بعد العولمة، وما بعد الإرهاب، وما بعد سياسة القطب الواحد والأحادية.

٢٤. نقد النقد Metacriticism

"نقد النقد" أو "الميتانقدي" أو "ما بعد النقد" كلام في النقد يمثل، سواء أكان في شكل صياغة معرفية مكتملة أم شبه مكتملة، ضربا من القراءة المواجهة لقراءة أخرى. يصبح نقد النقد

[1] Cuddon, P 690

[٢] البنيوي الفرنسي (١٩٨٤) وفيلسوف ومؤرخ مشهور.

حفرا في كيان النص النقدي وإقامة من ثمة في قلب الهيرمنيوطيقا *Hermeneutics*[١] أو فن التأويل. نقد النقد فن يسهّل القراءة النقدية والتذوق، وفن يسمح للقارئ بتعدد الاجتهادات، والتأويلات، حسب اختياره وقدرته على التفسير والتحليل والتعليل. إن محور "نقد النقد" هو فلسفة النقد، ومقاصده، فيراجع مصطلحات النقد، وبنيته المنطقية، ومبادئه الأساسية، وفرضياته التفسيرية، وأدواته الإجرائية. وإن لنقد النقد علاقات بتاريخ تطور النقد، والنظرية الأدبية، والتعريف بالمناهج، وتطلق عليه تسميات أخرى من قبيل "النقد الشارح"، و"قراءة القراءة"، و"نقد القراءة"، و"القراءة النقدية الواصفة". يقول الناقد نعيم اليافي[٢]: النقد يحتاج إلى نقده حاجة الإبداع إلى الإصلاح والنقد. يعتبر أدونيس "جمالية" أو"أدبية القراءة" نوعا من نقد النقد. يقول عبد السلام المسدي[٣]: "يستحثك نقد النقد أن تهتك الحجب والأستار فتنفذ بعين التبصر وروح الاعتبار إلى حيث يغيب بصر الآخرين"[٤]. يذكر د/ جابر عصفور[٥] أن نقد النقد "قول آخر في النقد يدور حول مراجعة "القول النقدي" ذاته وفحصه، ومراجعة مصطلحات النقد وبنيته المنطقية، ومبادئه الأساسية وفرضياته التفسيرية

---

١ التفسيرية أو الهرمنتيكية Hermeneutics هي المدرسة الفلسفية التي تشير لتطور دراسة نظريات تفسير Interpretation ودراسة وفهم النصوص Text. في الدراسات الدينية يستخدم مصطلح هرمنتيكية للدلالة على دراسة وتفسير النصوص الدينية. هذه الكلمة لها من التراث الدلالي الكثير والكثير. فبينما تشير كلمة hermeneutics إلى الفرع من علم الفلسفة الذي يدرس مبادئ التأويل والادراك، فإن الكلمة ذاتها تحمل اسم نظرية معروفة في الميثودولوجيا (ما يُسمى بعلم المنهج) في أسلوب تأويل النصوص المقدسة وتفسيرها – بالأخص التوراة والإنجيل.

٢ كان د/ نعيم اليافي كاتبا وناقدا كبيرا وعاشقا للثقافة والحرية والتغيرات، الكاتب الشهيد الذي كرس عمره للكتابة والقراءة. ومن قضيّة المرأة في عصر النهضة العربيّة.

٣ د/ عبد السلام المسدي (و.١٩٤٥) ناقد وباحث تونسي كبير. اشتهر بأبحاثه في مجال النقد البنيوي. حصل على الجائزة التقديرية للجمهورية التونسية في اللغة والآداب. ومن أهم المؤلفات المنشورة: الأسلوبية والأسلوب، وقضية البنيوية : دراسة ونماذج.

٤ المجيد، عبد، نقد النقد، مجلة العاصمة، قسم العربية لكلية الجامعة، ترونتبرم، العدد الأول، ٢٠٠٩، ص: ٢٤

٥ د/ جابر عصفور (و. ١٩٤٤) ناقد وباحث مصري كبير. حصل على درجة الدكتوراه من قسم اللغة العربية بكلية الآداب لجامعة القاهرة. يعمل الآن مديرا للمركز القومي للترجمة بالقاهرة.

وأدواته الإجرائية"([1]). الأوائل قد مارسوا نقد النقد من دون معرفة لمصطلحاته وقوانينه والحدود الفاصلة بينه وبين النقد. وإن نقد النقد في صورته القديمة قد ترافق النقدَ خطوة بخطوة، فتداخلا كأن لا فرق بينها ولا فاصل. ومن ممثلي نقد النقد في العربية كمال أبو ديب، وجورج طرابيشي.

٢٥. التناص Intertextuality

إن بروز النظريات الحداثية جعل النص الأدبي محور اهتمامها، وحقل عملها، ومن هذه النظريات التي كان لها الفضل في تخليص النص والدراسات الأدبية بصفة عامة من أسر النظرة الضيقة ومحدودية الأفق "نظرية التناص". التناص في أبسط تعريفاته هو «وجود علاقة بين ملفوظين». وبصورة أوضح التناص هو: «أحد مميزات النص الأساسية التي تحيل على نصوص سابقة عليها أو معاصرة لها». ولقد برز هذا المصطلح على يد جوليا كرستيفا Julia Kristeva ([2])، غير أن الولادة الحقيقية كانت على أيدي الشكلانيين الروس *Russian Formalists* . وإن لم تكن ولادة خالصة. فالشكلانيون يؤمنون بالتناص من خلال تداخل النصوص وظهور أثر بعضها على بعض، رغم احتفاظ كل نص بخصوصيته ومميزاته. استطاعت كرستيفا أن تستنبط هذا المصطلح «التناص» من خلال قراءتها لباختين Bakhtin ([3]) في دراسته لأعمال دستويفيسكي الروائية حيث وضع مصطلحي "تعددية الأصوات" و"الحوارية" دون أن يستخدم مصطلح التناص. وبذلك تكون الرواية أول الأجناس الأدبية معملا إجرائيا لهذا المصطلح دون

---

[1] القسنطيني، نجوى الرياحي، في الوعي بمصطلح نقد النقد وعوامل ظهوره، مجلة عالم الفكر، يوليو ٢٠٠٩، عدد ١، مجلد ٣٨، ص: ٣٥

[2] Julia Kristeva (و.١٩٤١) ناقدة وروائية فرنسية ذات الأصول البلغارية والمتخصصة في النقد النصي.

[3] ميخائيل باختين Mikhail Mikhailovich Bakhtin (١٨٩٥-١٩٧٥) فيلسوف ومنظر أدبي وناقد وعالم روسي. اشتهر بأبحاثه في مجالات الماركسية، وعلم التأويل، والبنيوية، والنقد الديني، والتاريخ، أنتروبولوجيا، وعلم النفس. أصبح باختين صاحب تأثير كبير في العلوم الإنسانية بعد ترجمة آثاره في الستينات.

تسمية، وتكون . أيضا . جوليا كرستيفا عام ١٩٦٦م أول من استخدم هذا المصطلح قاصدة به «أن كل نص هو عبارة عن فسيفساء من الاقتباسات، وكل نص هو تشرب وتحويل لنصوص أخرى».

شهدت نظرية التناص تطورا منذ بدايتها كمصطلح، إذ يستخدمها اللساني، أو السيميائي، في مجال الدراسات المقارنة. يوجد مؤيدات لتداخل النصوص وتفاعلها في التراث النقدي العربي. ولكن التداخل النصوصي في هذه المصطلحات سطحي. يوجد التناص في أعمال الأدب العربي الحديث مثل كتابات إميل حبيبي ومحمود درويش وغيرهم كثير. يظهر تعالق النص وتداخله بنصوص أدبية وعلمية وتراثية متنوعة، خاصة في روايات "إخطية" و"سرايا بنت الغول" لإميل حبيبي. يتناص إميل حبيبي، أحيانا، مع مقولات إيديولوجيا علمانية شاعت في المشرق العربي عامة، ومنها على سبيل المثال: "الدين لله والوطن للجميع". لكنه يغير في فحواها معبرا عن مدى الفاجعة التى أصابت الوطن؛ فالوطن أصبح تيها وضياعا بعد الاحتلال: "لا فرق بين نصراني ومسلم. كلنا في الهم فلسطيني. فالدين لله والتيه للجميع"([1]).

٢٦. ما بعد الاستعمار Postcolonialism

نظرية ما بعد الاستعمار واحدة من نظريات الـ"ما بعد": ما بعد *البنيوية Poststructuralism*، وما بعد الحداثة*Postmodernism*، وما بعد الاستعمار، وهي النظريات التي راحت – على مدار العقود الثلاثة الماضية – تتكاثر وتهيمن على الساحة الثقافية، وتنتقل من حقل من حقول الثقافة إلى آخر: من السياسة والاقتصاد، إلى الفلسفة، إلى *الأنثروبولوجيا Anthropology*، إلى التاريخ والجغرافيا، إلى العمارة، إلى الأدب والنقد الأدبي.. إلخ. تعد نظرية ما بعد الاستعمار من أهم النظريات الأدبية والنقدية التي رافقت مرحلة ما بعد الحداثة، ولا سيما أن هذه النظرية

[1] فرطاس، نعيمة، نظرية التناصية والنقد الجديد (جوليا كريستيفا نموذجا)، مجلة الموقف الأدبي، دمشق، العدد ٤٣٤ ٢٠٠٧.

ظهرت بعد سيطرة البنيوية على الحقل الثقافي الغربي، وبعد أن هيمنت الميثولوجيا البيضاء على الفكر العالمي، وأصبح الغرب مصدر العلم والمعرفة والإبداع، وموطن النظريات والمناهج العلمية(١). ما بعد الاستعمار مقولة سياسية في أساسها. إنه مصطلح يحاول العثور على قاسم مشترك بين مجتمعات العالم الثالث، التي تأسست على قوميات مختلفة نهضت في مواجهة الاستعمار وما تركه من آثار، كما يحاول المصطلح أيضا العثور على قاسم مشترك بين ما أنتجته هذه المجتمعات من فنون وآداب.(٢)

النشأة

بدأت دراسات ما بعد الاستعمار منذ فترة طويلة، ولا تزال فاعلة حتى اليوم. وقد ترعرعت الدراسات ما بعد الكولونيالية على أساس من انهيار الإمبراطوريات الأوروبية العظمى في أربعينيات القرن العشرين وخمسينياته وستينياته جنبا إلى جنب تداعيات "الحرب الباردة" وبزوغ "العالم الثالث"(٣). أما نظرية ما بعد الاستعمار، أو الخطاب ما بعد الكولونيالي، فلم تعرف طريقها إلى الوجود في مجال النظرية السياسية إلا في أواخر السبعينيات من القرن الماضي، وذلك لوصف مأزق الأمم التي تخلصت من سطوة الإمبراطوريات الأوروبية في أعقاب الحرب العالمية الثانية. ويعد كتاب "الاستشراق" *Orientalism* (١٩٧٨) للأكاديمي الفلسطيني الأمريكي والمفكر الحداثي ما بعد الكولونيالي إدوار سعيد أحد الأعمال التأسيسية الأولى في هذا المجال. لم يكتسب هذا الخطاب معناه الذي نعرفه الآن، ولم يصبح تسمية لنظرية في الدراسات الثقافية والنقد الأدبي إلا خلال الثمانينيات والتسعينيات من القرن العشرين. لقد

---

١ البازعي، سعد؛ والرويلي، ميجان. دليل الناقد الأدبي. بيروت: المركز الثقافي العربي. ط ٢. ٢٠٠٠. ص:١٥٩

٢ دومة، خيري. موسم الهجرة إلى الشمال ونظرية ما بعد الاستعمار. موقع منظمة ابن رشد. يوم الاسترجاع ٢٠١٣/١٠/١٢.

الرابط: http://www.ibn-rushd.org/forum/Adwa-al-Raheel.htm

٣ العالم الثالث The Third World عبارة أطلقها عالم الديمغرافيا الفرنسي سوفي Alfred Sauvy في ١٩٥٠ والتي أشاعها المفكر الفرنسي سارتر J.P. Sartre

جاءت هذه النظرية من أنحاء المستعمرات السابقة، على يد إدوارد سعيد، وسلمان رشدي، وهومي بابا ذوي الأصول الشرقية، وتطورت على أيدي الذين تصدوا لها مثل جاياتري سبيفاك، وإعجاز أحمد وعارف ديليرك، لكنها تمركزت في أمريكا وأوربا([١]).

التعريفات

وقد أعطيت لنظرية ما بعد الاستعمار تعريفات عدة. وحينما جاء كتاب "الإمبراطورية ترد كتابة" *The Empire Writes Back* في أواخر الثمانينيات، بدأ المؤلفون الثلاثة كتابهم بتعريف للمصطلح على النحو التالي: "ونحن نستخدم مصطلح "ما بعد الاستعمار" لنغطي كل الثقافات التي تأثرت بالعملية الإمبريالية من لحظة الاستعمار حتى يومنا الحالي؛ ذلك أن هناك خطا متصلا من الاهتمامات، على مدار ا للعملية التاريخية التي بدأها العدوان الإمبريالي"([٢]). ويعرف د/ سعد البازعي ود/ ميجان الرويلي مصطلح نظرية ما بعد الاستعمار ، في كتابهما المشهور: "دليل الناقد الأدبي": "النظرية ما بعد الاستعمارية" فتشير إلى نوع آخر من التحليل ينطلق من فرضية أن الاستعمار التقليدي قد انتهى، وأن مرحلة من الهيمنة- تسمى أحيانا المرحلة الكولونيالية- قد حلت وخلقت ظروفا مختلفة تستدعي تحليلا من نوع معين"([٣]). فى قاموسه "أفكار ومفكرون"، يعرف الباحث كريس دوهمان نظرية ما بعد الكولونيالية بأنها حركة فى النقد الاجتماعي والأدبي التي ترد على آثار الامبريالية الأوروبية على الشعوب المستعمرة، إن ما بعد الكولونيالية تقدم سردية مضادة تتصل بالشعوب المستعمرة سابقاً([٤]).

---

[١] العجيلي، شهلا. أدب الشعوب التي تحررت من الاستعمار. وقائع المؤتمر للبحث العلمي في الأردن: النقد الثقافي ودراسات ما بعد الكولونيالية. ٢٠٠٧. ص ٢٤

[2] Ashcroft, B; Griffiths, G; and Tiffin, H. The Empire Writes Back: Theory and Practice in Post-Colonial Literatures. London: Routledge. P: 2

[٣] البازعي، والرويلي، دليل الناقد الأدبي. ص:٩١-٩٢.

[٤] أزراج عمر. نظرية ما بعد الكولونيالية : المقاومات والنقد. منتدى الأنتروبولوجيين والاجتماعيين العرب. يوم الاسترجاع ٢٠١٣/١٠/٠٧.

الرابط: http://anthro.ahlamontada.net/t778-topic

وعليه، فـ"نظرية ما بعد الاستعمار" هي في الحقيقة قراءة للفكر الغربي في تعامله مع الشرق، من خلال مقاربة نقدية بأبعادها الثقافية والسياسية والتاريخية. وبتعبير آخر، تحلل هذه النظرية الخطاب الاستعماري في جميع مكوناته الذهنية والمنهجية والمقصدية تفكيكا وتركيبا وتقويضا، بغية استكشاف الأنساق الثقافية المؤسساتية المضمرة التي تتحكم في هذا الخطاب المركزي. آنئذ أصبح مصطلحُ ما بعد الاستعمار تسمية لنظرية في الدراسات الثقافية والنقد الأدبي. وقد وجد خطاب ما بعد الاستعمار طريقه إلى كل مدارس الفكر التي تعنى بتحليل علاقات القوة، بما في ذلك النظرية الماركسية، ونظريتا غرامشي([1]) وفوكو ([2])، وقد ظهر ذلك جليّا في نظريات النقد النسوي. والجامع بين هذه المدارس الفكرية هو إلحاحُها الدائم على تحليل علاقات القوة غير العادلة التي يمكن تتبعها في المنتجات الثقافية (الأدب، والسينما، والفنون)([3]).

تجليات نظرية ما بعد الاستعمار:

نظرية ما بعد الاستعمار تطرح مجموعة من القضايا الشائكة للدرس والمعالجة والتفكيك، كجدلية الأنا والغير أو الآخر ، وثنائية الشرق والغرب، وعلاقة الهامش بالمركز، وعلاقة المستعمِر بالشعوب المستعمَرة الضعيفة، وتجليات الخطاب الاستعماري، ودور الاستشراق في تزكية

---

[1] أنطونيو غرامشي Antonio Gramci (١٨٩١– ١٩٣٧) فيلسوف ومناضل ماركسي إيطالي، يركز في معظم كتاباته على تحليل القضايا السياسية والثقافية، اعتقله النظام الفاشستي الإيطالي وحكم عليه بالسجن عشرين عاما. ويعد غرامشي مؤسس مفهوم "الهيمنة على الثقافة كوسيلة للإبقاء على الحكم في مجتمع رأسمالي".

[2] ميشيل فوكو Michael Foucault (١٩٢٦–١٩٨٤) فيلسوف فرنسي، من أهم فلاسفة النصف الأخير من القرن العشرين. تأثر بالبنيويين، ودرس وحلل تاريخ الجنون، وعالج مواضيع مثل الإجرام والعقوبات والممارسات الاجتماعية في السجون. ابتكر مصطلح "أركيولوجية المعرفة". من مؤلفاته أيضا ولادة العيادة، الكلمات والأشياء، حفريات المعرفة، المراقبة والمعاقبة.

[3] إبراهيم، رزان محمود. المؤثر الاستعماري في الكتابة الأدبية ايقاعات متعاكسة تفكيكية. المجلة العربية للعلوم الإنسانية. الكويت: مجلس النشر العلمي. جامعة الكويت. ٢٠١١/١٩/١٠. الرابط:

https://www.uop.edu.jo/download/research/members/42_995_رزان.doc

المركزية الغربية قوة وتفوقا، والصراع الفكري والثقافي المضاد للتمركز العقلي الغربي لغة وكتابة ومقصدية وقضية. تنبني نظرية ما بعد الاستعمار في مجال الحقل الثقافي بصفة عامة وحقل النقد الأدبي بصفة خاصة على مجموعة من المرتكزات الفكرية والمنهجية، ويمكن حصرها في المكونات والعناصر التالية ([١]).

١. فهم ثنائية الشرق والغرب: تحاول نظرية ما بعد الاستعمار فهم الشرق والغرب فهما حقيقيا، وذلك برصد العلاقات التفاعلية التي توجد بينهما سواء أكانت تلك العلاقات إيجابية مبنية على التسامح والتعايش أم مبنية على العدوان والصدام الحضاري، كما يذهب إلى ذلك صموئيل هنتنغتون([٢]) في كتابه: "صراع الحضارات".

٢. مواجهة التغريب: استهدفت نظرية ما بعد الاستعمار محاربة سياسة التغريب والتدجين والاستعلاء التي كان ينهجها الغرب في التعامل مع الشرق. ومن ثم، شمر مثقفو نظرية ما بعد الاستعمار عن سواعدهم لفضح الهيمنة الغربية، وتعرية مرتكزاتها السياسية والإيديولوجية، مع تبيان نواياها الاستعمارية القريبة والبعيدة، والتشديد على جَشعها المادي لاستنزاف خيرات الشعوب المقابلة الأخرى([٣]).

٣. تفكيك الخطاب الاستعماري: تهدف نظرية ما بعد الاستعمار إلى فضح الخطاب الاستعماري الغربي، وتفكيك مقولاته المركزية التي تعبر عن الغطرسة والهيمنة والاصطفاء اللوني والعرقي والطبقي، وذلك باستعمال منهجية التشتيت والفضح والتعرية. لذا، فقد وجد كتاب نظرية ما

---

[١] نظرية ما بعد الاستعمار. موقع الألوكة الأدبية واللغوية. يوم الاسترجاع: ٢٠١٣/٠٩/١٢.
والرابط : http://www.alukah.net/Literature_Language/0/39097#ixzz2eeyGARs2

[٢] صأمويل هنتنجتون Samuel Huntington (١٩٢٧-٢٠٠٨) أستاذ علوم سياسية اشتهر بتحليله للعلاقة بين العسكر والحكومة المدنية، وبحوثه في انقلابات الدول، ثم أطروحته بأن اللاعبين السياسيين المركزيين ف ي القرن الحادي والعشرين سيكونوا الحضارات وليس الدول القومية.

[3] Nair, Radhika C. Samakalika Sahithya Sidhantham. Thrissur: Current Books. Ed2. 2007. PP 74-75

بعد الاستعمار في تفكيكية جاك ديريدا Jacques Derrida([1]) آلية منهجية، كما تأثروا في ذلك بميشيل فوكو، وكارل ماركس، وأنطونيو غرامشي. وإن رفض ما بعد الحداثة للسرديات الكبرى وأنماط الفكر الغربي التي أصبحت عالمية، كان أيضا مؤثرا جدا.

٤. الدفاع عن الهوية الوطنية والقومية: رفض كتاب ومثقفو النظرية الاستعمارية الاندماج في الحضارة الغربية، وانتقدوا سياسة الإقصاء والتهميش والهيمنة المركزية، ورفضوا كذلك الاستلاب والتدجين، فدعوا في المقابل إلى ثقافة وطنية أصيلة، ونادوا بالهوية القومية الجامعة. ومن هؤلاء – مثلا- كتاب ومبدعو الحركة الزنجية الأفريقية الذين تشبثوا بهويتهم السوداء ودافعوا عن كينونتهم الزنجية الأفريقية لمواجهة التغريب.

٥. علاقة الأنا بالآخر: ترتكز نظرية ما بعد الاستعمار على مناقشة علاقة الأنا والغير في ضوء مقاربات ما بعد الحداثة كالمقاربة الثقافية، والمقاربة الماركسية، والمقاربة التاريخية الجديدة، والمقاربة السياسية، وكل ذلك من أجل فهم العلاقة التفاعلية بين الأنا والغير، هل هي علاقة جدلية سلبية أم إيجابية؟.

٦. الدعوة إلى علم الاستغراب: إذا كان المفكرون الغربيون يتعاملون مع الشرق في ضوء علم الاستشراق باعتباره خطابا استعماريا وكولونياليا، وذلك من أجل إخضاعه حضاريا، والهيمنة عليه سياسيا واقتصاديا وثقافيا، فإن المثقفين الذين ينتمون إلى نظرية ما بعد الاستعمار يدعون إلى استشراق مضاد، أو ما يسمى أيضا بعلم الاستغراب، بغية تفكيك الثقافة الغربية تشريحا وتركيبا، وتقويض خطاب التمركز تشتيتا، وفضح مقصدية الهيمنة على أسس موضوعية ([2]).

---

[1] جاك دريدا (١٩٣٠-٢٠٠٤) فيلسوف فرنسي من مواليد الجزائر، صاحب نظرية التفكيكية Deconstruction. ومن كتبه: علم الكتابة.

[2] Ashcroft, B; Griffiths, G; and Tiffin, H.. PP 9-7

٧. المقاومة المادية والثقافية: لم يكتف مثقفو نظرية الاستعمار بقراءة الخطاب الاستشراقي الغربي، بل حاولوا مقاومة المستعمر بكل الوسائل المتاحة إما عن طريق المقاومة السلمية أو المسلحة، وإما عن طريق الاستشراق المضاد، أو نشر الكتابات التقويضية لتفكيك الفكر الاستعماري.

٨. النقد الذاتي :لم يكتف مثقفو نظرية ما بعد الاستعمار أيضا بتوجيه النقد إلى الغرب، بل سعوا إلى نقد ذواتهم ضمن ما يسمى بالنقد الذاتي كما عند المفكر المغربي علال الفاسي، وما قام به الناقد الكيني الأصل عبد الرحمن جان محمد خير دليل على ذلك.

٩. غربة المنفى: يعيش أغلب المثقفين الذين ينتمون إلى نظرية ما بعد الاستعمار في الغرب منفيين أو لاجئين أو محميين أو معارضين. ومن ثم، ينتقدون مرة بلدانهم الأصلية وواقعها المتخلف. ومرة أخرى، يرفضون سياسة التغريب والتهميش والتمركز الغربي. ويعني هذا أنهم يعيشون تمزقا ذاتيا وموضوعيا، وهم دائما في غربة ذاتية داخل المنفى المكاني والذاتي والعقلي والنفسي كما هو حال جوليا كريستيفا Julia Kristeva ([1]) وإدوارد سعيد مثلا([2]).

١٠. التعددية الثقافية: دافع كثير من مثقفي نظرية ما بعد الاستعمار عن التعددية الثقافية، ورفضوا التمركز الثقافي الغربي والثقافة الواحدة المهيمنة([3])، كما رفضوا سياسية التدجين والتغريب والإقصاء، ونادوا بالتنوع الثقافي والانفتاح الثقافي، وذلك عبر آليات المثاقفة والترجمة والنقد والتفاعل الثقافي. بمعنى أن ثمة ثقافات جديدة إلى جانب الثقافة الغربية المركزية،

---

[1] جوليا كريستيفا (و. ١٩٤١) أديبة، عالمة لسانيات، محللة نفسية، فيلسوفة ونسوية فرنسية من أصل بلغاري. أصبح لكريستفا تأثير في التحليل النقدي الدولي، من الناحية النظرية الثقافية والنسوية بعد نشر كتابها الأول Semeiotikè في عام ١٩٦٩. أنتجت كمية هائلة من الأعمال وتشمل الكتب والمقالات التي تعالج التناص، والسيميائية، والتهميش، في مجالات اللسانيات، ونظرية الأدب والنقد، والتحليل النفسي والسيرة، والسيرة الذاتية والسياسية والثقافية و تحليل الفن وتاريخ الفن.

[2] Gandhi, Leela. Postcolonial Theory: a critical introduction. New Delhi: Oxford Univ. Press. Ed 16. 2013. PP 86-87

[3] العجيلي، شهلا. ص ٢٦

كالثقافة العربية، والثقافة الآسيوية، والثقافة الأفريقية.... بمعنى أن ليس هناك ثقافة مهيمنة وحيدة، بل هناك ثقافات هجينة متعددة ومتداخلة ومتلاقحة([1]).

رواد نظرية ما بعد الاستعمار

إن لنظرية ما بعد الاستعمار رواد من المفكرين والنقاد والمثقفين، سواء أكانوا باحثين ينتمون إلى الغرب أم ينتمون إلى العالم الثالث. ظهرت نظرية الخطاب ما بعد الكولونيالي في المشهد الثقافي الجامعي للدول الأنجلوفونية، وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية. وارتبطت نظرية ما بعد الاستعمار بجامعة كولومبيا، فيما ارتبطت "الأرسطية الجديدة" في النقد بجامعة شيكاغو، ودراسات "الجندر" و"الكتابة النسائية" بجامعة إنديانا. ودشنها جامعيون من الأقليات المهاجرة من مجتمعات أو بلدان ما بعد كولونيالية، وفي مقدم هؤلاء الثالوث البارز: إدوار سعيد Edward W.Said، وجاياتري شكرفارتي سبيفاكGayatri Chakravorty Spivak ، وهومي بابا Homi Bhabha ؛ وكل هؤلاء من أبناء العالم الثالث؛ أي الأول من فلسطين والثاني والثالث من الهند.

١. إدوارد سعيد Edward W. Said

الكاتب الفلسطيني الأمريكي إدوارد سعيد([2]) الذي يصف نفسه بأنه "ناقد حداثي ما بعد كولونيالي" يعد من أهم منظري نظرية ما بعد الاستعمار. ويعتبره المؤسس الحقيقي للنظرية ما قبل الاستعمار في الحقلين الثقافيين: العربي والغربي على حد سواء، ويعد كذلك الممهد الفعلي للنقد الثقافي. فقد استطاع بمفرد كتابه: الاستشراق (١٩٧٨) أن يفتتح حقل الخطاب

[1] Nayar, Pramod K. Postcolonial Literature: an Introduction. New Delhi: Pearson. Ed 3. 2012. PP 197-201

[٢] إدوارد سعيد (١٩٣٥-٢٠٠٣) ناقد أدبي وأكاديمي في جامعة كولومبيا الأميركية، فلسطيني الأصل ولد في مدينة القدس وتوفي في نيويورك عام ٢٠٠٣، أحد أبرز المدافعين عن القضية الفلسطينية في الولايات المتحدة، وسعى من خلال كتاباته إلى تفكيك الأسس المعرفية للخطاب الكولونيالي وعلاقته بالسلطة. يعتبر كتابه الاستشراق من دعائم دراسات ما بعد الاستعمارية. كما برز سعيد سياسيا كمناهض لاتفاقية أوسلو، وهو من الداعين إلى حل للصراع الفلسطيني الإسرائيلي مبني على حل الدولة الواحدة. من أبرز أعماله: الاستشراق (١٩٧٨)، ومسألة فلسطين (١٩٧٩)، والعالم، النص، والناقد (١٩٨٣)، والثقافة والإمبريالية (١٩٩٣)، وخارج المكان (١٩٩٩)، وتأملات حول المنفى (٢٠٠٠)، والفكر الأنسنية والنقد الديموقراطي (٢٠٠٣).

الاستعماري في البحث الأكاديمي. نستطيع بكل ثقة أن نقول إن إدوارد سعيد هو أول من أسس هذا الحقل المعرفي، وإن كان المبشر الأول لها هو فرانز فانون Franz Fanon بأعماله المختلفة([1]). فكتاب "الاستشراق" لإدوارد سعيد خير نموذج يعبر عن نظرية ما بعد الاستعمار، ما دام هذا الكتاب خطابا مضادا للاستشراق الغربي؛ لكونه يحوي انتقادات واعية ولاذعة للخطاب التمركزي الغربي تقويضا وتفكيكا وتشتيتا. وهناك شبه إجماع بين الدارسين على الدور المؤسس الذي لعبه كتاب إدوارد سعيد عن الاستشراق في صياغة اللبنات الأولى لنظرية ما بعد الاستعمار. إن إدوار سعيد فرض الاستشراق لا كتخصص علمي أكاديمي، وإنما كمقولة في نقد الخطاب المؤسساتي عن الآخر.

إن دراسة سعيد للاستشراق دراسة لخطاب استعماري، خطاب تلتحم فيه القوة السياسية المهيمنة بالمعرفة والإنتاج الثقافي. غير أن تحليل سعيد جاء مرتكزا على سياق معرفي وبحثي سابق له يتضمن أعمال اثنين من المفكرين الأوروبيين المعاصرين، هما: الفرنسي ميشيل فوكو والإيطالي أنطونيو غرامشي([2]). ينطلق إدوارد سعيد في كتابه "الاستشراق" لتعريف مصطلح الاستشراق في ضوء المفاهيم اللغوية والعلمية والأكاديمية والتاريخية والمادية. ومن الناحية المنهجية، فقد اعتمد إدوارد سعيد على دراسة الخطاب الاستشراقي بمنهجية فيلولوجية تفكيكية قائمة على دراسة الأفكار، والثقافات، والتواريخ، ليبرهن على أن العلاقة بين الشرق والغرب مبنية على القوة والسيطرة والهيمنة المعقدة المتشابكة.

وقد ربط إدوارد سعيد خطابه الاستشراقي بنزعة التباين والاختلاف بين الشرق والغرب، فقد تسلح الغرب بكل مقولاته المركزية وآلياته البنيوية لإخضاع الشرق والهيمنة عليه سياسيا،

---

[1] إبراهيم، رزان محمود. "المؤثر الاستعماري في الكتابة الأدبية ايقاعات متعاكسة تفكيكية"

[2] واليا، شيلى. صدام ما بعد الحداثة: إدوارد سعيد وتدوين التاريخ. ترجمة عفاف عبد المعطى. القاهرة: دار الرؤيا. ٢٠٠٦. ص ٩٣.

وعسكريا، واجتماعيا، وثقافيا، وعلميا. وبالنسبة لسعيد، جميع تمثيلات المشرق المقدمة من قبل الغرب تشكل جهدا دؤوبا يهدف إلى الهيمنة والإخضاع. وقد خدم الاستشراق أغراض الهيمنة الغربية لإضفاء الشرعية على الإمبريالية، وإقناع سكان هذه المناطق بأن قبولهم للثقافة الغربية هي عملية تمدين إيجابية. كذلك يحاول هذا الكتاب أن يظهر أن الثقافة الغربية اكتسبت المزيد من القوة ووضوح الهوية بوضع نفسها موضع التضاد مع الشرق باعتباره ذاتا بديلة([1]). وقد استند إدوارد سعيد في تعامله مع الخطاب الاستشراقي إلى رؤية ثقافية سياسية قائمة على ثلاث خطوات منهجية، وهي: أولا، التمييز بين المعرفة الخالصة والمعرفة السياسية. وثانيا، الاهتمام بالمسألة المنهجية في التعامل مع الأفكار والمؤلفين والمراحل التاريخية، وذلك بالتركيز على الاستشراق الاستعماري للشرق سواء أكان فرنسيا أم بريطانيا أم أمريكيا. وثالثا، البعد الشخصي الذي يتمثل في الجمع بين الموضوعية والذاتية القائمة على الوعي النقدي، مع الاستعانة بأدوات البحث التاريخي، والسياسي، والإنساني، والثقافي([2]).

فقد استدعى هذا الكتاب بما طرحه من أفكار، طائفة أخرى واسعة من الكتابات التي ناقشت هذه الأفكار، أو ردت عليها، أو طورتها، سواء كتابات اللاحقين من منظري ما بعد الاستعمار مثل: سلمان رشدي، وهومي بابا، وجاياتري سبيفاك، أو من تصدوا للنظرية من منظور مخالف، وكشفوا عن تناقضاتها، مثل إعجاز أحمد([3]). وقد شارك إدوارد سعيد نفسه بعد ذلك

---

1 Said, Edward W. Orientalism: Western Conceptions of the Orient. New Delhi: Penguin Books. 2001. PP 31-39

2 Gandhi, Leela. PP 68-80

٣ إعجاز أحمد Aijaz Ahmad منظر أدبي ماركسي ومعلق سياسي يعيش في الهند. ولد في ولاية أتربرديش الهندية قبل حصولها على الاستقلال عن الحكم البريطاني، وهاجر إلى باكستان بعد التقسيم. عمل بعد انهاء الدراسة في جامعات أمريكية وكندية. في الوقت الحاضر يعمل أستاذ زميل في مركز الدراسات المعاصرة، ومتحف وكتبة نهرو في نيودلهي، كما يعمل أستاذ زائر للعلوم السياسية في جامعة يورك في تورنتو.

في تطوير النظرية وتأملها، من خلال كتاباته ومراجعاته المتعددة التالية لكتاب الاستشراق، وخاصة في كتب مثل: "الثقافة والإمبريالية" و" صور المثقف" و"تأملات حول المنفى" وغيرها([1]).

٢. جاياتري شكرفارتي سبيفاك Gayatri Chakravorty Spivak

الناقدة الهندية جاياتري شكرفارتي سبيفاك([2]) فتعد من المؤسسين الفعليين للخطاب الكولونيالي الجديد، وتعد كذلك أول منظرة نسوية بحق وحقيق في مرحلة ما بعد الاستعمار. فقد اهتمت سبيفاك بالدفاع عن المرأة الشرقية، ومواجهة الهيمنة الغربية، والدفاع عن المهاجر، والاهتمام بالأدب والثقافة. وتستند سبيفاك إلى منهجية تحليلية نسوية تفكيكية ماركسية ثقافية، وخاصة في مقالها: "هل يمكن للتابع أن يتحدث؟" *Can the Subaltern Speak?*(١٩٨٨)، مركزة على وضعية المرأة الهندية أو ما يسمى بالإناث التابعات([3]). فقد انتقدت الحركة النسوية الغربية انتقادا عنيفا من خلال تركيز اهتماماتها على عالم البيض من الطبقة المتوسطة ومن جنسين مختلفين. وتهتم سبيفاك أيضا بدور الطبقة الاجتماعية، وقد ركزت على ما أصبح يعرف في دراسات ما بعد الاستعمار باسم "الأتباع"، وهو في الأصل مصطلح عسكري يشير إلى أولئك الذين هم في مرتبة أو مكانة أدنى. وإن استخدام هذا المصطلح في النظرية النقدية مستمد من كتابات الكاتب غرامشي. وتستخدم سبيفاك هذا المصطلح للإشارة إلى جميع المستويات المتدنية من المجتمع الاستعماري وما بعد الاستعماري: العاطلين عن العمل

---

[1] دومة، خيري. موسم الهجرة إلى الشمال ونظرية ما بعد الاستعمار

[2] جاياتري شكرفارتي سبيفاك (و. ١٩٤٢) باحثة وناقدة هندية، وهي أكاديمية في جامعة كولومبيا الأميركية. تصنف نفسها على أنها "ماركسية نسوية تفكيكية عملية" وشكلت مقالتها "هل يمكن للتابع أن يتكلم؟" محطة مهمة في خطاب ما بعد الاستعمارية بشكل عام ودراسات التابع بشكل خاص. أبرز مؤلفاتها: في عوالم أخرى: مقالات في السياسية الثقافية، ودراسات مختارة عن التابع، وناقد ما بعد الاستعمارية، ونقد العقل ما بعد الاستعماري.

[3] "التابع" Subaltern هو مصطلح أخذ عن غرامشي، هو "الفلاح الأمي" و"المرأة الصامتة في العالم الثالث "و"حشود العمال"... وسواهم من الجماعات التابعة (المضادة للنخبة) ممن كان لهم تأثير على مستوى صناعة التاريخ الهندي.

والمشردين والمزارعين الذين يعيشون من مورد رزقهم وما إلى ذلك([1]). وقد كان لتساؤل سبيفاك في "هل يمكن للتابع أن يتكلم؟" صلة بالتساؤل حول دور الإنتاج الثقافي ككل في معارضة القوى المهيمنة. وتحدثنا سبيفاك في تأملاتها عن الوضعية المستحيلة لـ"التابع" الذي لا يستطيع أن يتكلم([2]).

٣. هومي بابا Homi Bhabha

برز اسم هومي بابا([3]) من خلال طرحه مفهوم "التهجين" *Hybridity* لتفسير نشوء أشكال ثقافية جديدة في عالم التعدد الثقافي([4]). قد تأثر هومي بابا كثيرا بإدوارد سعيد، ومشيل فوكو، وجاك ديريدا، وجاك لاكان Lacan، فقد اهتم بالنصوص التي تكشف هامش المجتمع في عالم ما بعد الاستعمار، مع رصد العلاقات الخفية والمتبادلة بين الثقافات المهيمنة والمستعبدة، ولا سيما في كتابة: "مركز الثقافة" *The Location of Culture* (١٩٩٤). يرى هومي بابا أن القراءة الصحيحة لأعراض النص الاستعماري يمكنها أن تستعيد صوت أهل البلاد الأصليين، فالشعب التابع يمكنه أن يتكلم، ويمكنه استعادة صوت أهل البلد الأصليين، فالتابع في الحقيقة يمكنه أن يتكلم. ويرى هومي بابا بأن: "التفاعل بين المستعمِر والمستعمَر يؤدي ليس إلى انصهار المعايير الثقافية التي تؤكد السلطة الاستعمارية فحسب، بل تهدد أيضا في محاكاتها بزعزعة استقرارها. وهذا ممكن لأن هوية المستعمر في حد ذاتها غير مستقرة، إذ توجد في وضع معزول ومغترب، كما توجد هوية المستعمر بحكم اختلافها. فهي تتجسد فقط في الاتصال المباشر مع المستعمر. وقبل ذلك، فإن حقيقتها الوحيدة موجودة في إيديولوجية الاستشراق كما عرفها سعيد.

---

[1] يحيى بن الوليد. خطاب ما بعد الاستعمار. موقع مغرس. يوم الاسترجاع: ٢٠١٣/١٠/٠٢. الرابط: http://www.maghress.com/assif/5248

[2] دومة، خيري. عَدْوَى الرَّحِيل موسم الهجرة إلى الشمال ونظرية ما بعد الاستعمار

[3] هومي بابا Homi K. Bhabha (و. ١٩٤٩) أكاديمي هندي وأستاذ الأدب الأميركي والبريطاني في جامعة هارفرد، حيث يرأس مركز الدراسات الإنسانية هناك. أبرز أعماله : أمم ومرويات (١٩٩٠)، وموقع الثقافة (١٩٩٤)، وحول الخيار الثقافي (٢٠٠٠)، وحياة جامدة (٢٠٠٤).

[4] Nayar, Pramod K. P 200

٤. فرانز فانون Frantz Fanon

لا تقتصر نظرية ما بعد الاستعمار على كتاب آسيا وأفريقيا، فهناك باحثون من الغرب، مثل فرانز فانون ([١]). فرانز فانون الذي تم الارتقاء به إلى مَصافّ "نبي العالم الثالث" و"وكيل الحقيقة المنتهكة والمتحولة" ومصاف "المبشر الأول" بنظرية ما بعد الاستعمار، يعتبر أحد آباء الفكر المناهض للاستعمار في القرن العشرين. لا يمكن بحال من الأحوال الحديث عن نظرية ما بعد الاستعمار دون التوقف أمام فرانز فانون بأعماله التي عززها إدوارد سعيد في كتابه "الاستشراق"، وهي الأعمال التي استخدم فيها نظرية التحليل النفسي، مطورا إياها لإبراز عواقب الاستعمار السيكولوجية والاجتماعية، وذلك بتركيزه على خطورة خاصية السواد باعتبارها عرقية، وأهميتها بالنسبة للمشروع الاستعماري القائم على القمع والتشويه، كذلك قابلية المستعمَر الأسود للاقتناع بارتداء قناع أبيض مصنوع من الثقافة والمكانة. ويبقى كتابه "معذبو الأرض" *The Wretched of the Earth*، الذي كتب مقدمته المفكر الفرنسي جان بول سارتر Sartre، معلما مهما من معالم الكتابة في حقل الكتابة الاستعمارية، وفيه يركز فانون على العنف الضروري المصاحب لعملية تفكيك الاستعمار ومقاومته، فمقاومة الاستعمار وتفكيكه هو إحلال لأنواع معينة من الرجال محل أنواع أخرى([٢]). يحلل فانون طبيعة الاستعمار الكولونيالي، ويبين طابعه الذاتي والمصلحي، معتبرا أن الاستعمار مصدر للعنف

---

[١] فرانز فانون (١٩٢٥– ١٩٦١) طبيب نفساني وفيلسوف اجتماعي أسود، من مواليد المارتينيك، عرف بنضاله من أجل الحرية، وضد التمييز والعنصرية. حارب ضد النازيين في الحرب العالمية الثانية. عمل طبيبا عسكريا في الجزائر في فترة الاستعمار الفرنسي، وكان ناشطا سياسيا ومناصرا لثورة التحرير الجزائرية. وهناك من يتصور أن جاك دريدا مؤسس التفكيكية، وجان فرانسوا ليوتار فيلسوف ما بعد الحاثة، وإيلين سيكو الناقدة النسوية، كلهم قد نشأوا في الجزائر أثناء الاحتلال الفرنسي. وقد كان تواجدهم هناك من العوامل الرئيسية التي حفزتهم لتفكيك خطاب التفوق الغربي والمركزية الأوروبية. توفي من مرض صعب ودفن في مقبرة مقاتلي الحرية الجزائريين. آمن بأن ما أخذ بالقوة لا يستعاد إلاّ بالقوة. من أعماله: بشرة سوداء وقناع أبيض (١٩٥٢)، ومعذبو الأرض (١٩٦١).

[٢] إبراهيم، رزان محمود. المؤثر الاستعماري في الكتابة الأدبية ايقاعات متعاكسة تفكيكية

والإرهاب؛ مما يولد مقاومة مضادة من قبل الشعوب المستضعفة أو البلدان المستعمرة. ومن ثم، ينتقد فرانز فانون الأنظمة الاستعمارية الكولونيالية الغربية. ومن ثم، يثور على المنظومة الغربية التي ينتمي إليها، معتبرا إياها رمزا للتسلط الثقافي، ومنظومة مركزية مبنية على قوة العلم والثقافة والتكنولوجيا، وذلك بغية الهيمنة، والسيطرة، وإخضاع الشرق ماديا ومعنويا. هكذا يرى فرانز فانون أن نظرة الغرب إلى أفريقيا قائمة على صورة استعلائية.

ويلخص الناقد العربي صبحي حديدي، في دراسة حول القراءات ما بعد الكولونيالية لفرانز فانون، قائلا: "إدوار سعيد جعل من فانون المدافع عن سرد التحرير المضاد الذي ينتمي إلى حقبة ما بعد الحداثة؛ وهومي بابا نحت من أفكار فانون معمارا نظريا لعالم ثالث ما بعد بنيوي؛ وعبد الرحمن جان محمد اكتشف فيه منظرا مانويا للاستعمار والنفي المطلق؛ أما عند سبيفاك فقد ظهر فرانتز فانون في أصدق صوره وأكثرها بساطة وإقناعا([1]).

موقع الدراسات ما بعد الكولونيالية في المشهد الثقافي العربي

هنالك عدد كبير من المؤلفات الصادرة بأقلام العرب في العالم العربي بمختلف انتماءاتهم الفكرية والسياسية والأدبية حول العلاقات بين الغرب الإمبريالي والاستعماري وبين العالم العربي، ولقد مست هذه المؤلفات مجالات الهوية الثقافية بتفرعاتها التاريخية واللغوية، ومجالات الاقتصاد والاجتماع. وفى السنوات الأخيرة من القرن العشرين برزت اتجاهات أخرى مثل الاتجاه الذى اضطلع بما يسمى بالغزو الثقافي، والاتجاه الذى كرس نفسه لنقد الاستشراق، بعد أن دشنه إدوارد سعيد بشكل أكثر دراماتيكية، علما أنه كانت ثمة كتابات

[1] يحيى بن الوليد. خطاب ما بعد الاستعمار. موقع مغرس. يوم الاسترجاع: ٢٠١٣/١٠/٠٢. الرابط: http://www.maghress.com/assif/5248

سبقته مثل كتابات أنور عبدالمالك وعبدالله العروى ومالك بن نبى وغيرهم([1]). أما النقد العربي لم يستطع حتى الآن أن يطور مدرسة في النقد ما بعد الكولونيالي. في مقدمة كتابه "الثقافة والإمبريالية"، كان إدوارد سعيد قد عبر عن خيبة أمله عن الأثر المحدود لكتابه "الاستشراق" في الفكر العربي. يقول الناقد المغربي د/ محمد بوعزة: "ما زال النقد العربي في أغلبه أدبيا، ولم يتجاوز تفاعله مع النقد الثقافي المستوى الإجرائي، ولم يستطع أن يقتحم الإشكالات والمناطق الخطرة للنقد الثقافي وما بعد الكولونيالي، مثلما نجد في "الاستشراق" أو "الثقافة والإمبريالية"، وفي تحليل للخطاب في سياق أوسع للسيطرة والمقاومة، وحول التاريخ والجغرافيا، وحول توظيفات الثقافة في صراع القوة ومشاريع التفكير بالتحرير وتفكيك الاستعمار والهويات القومية القاتلة. ولذلك لم يستطع النقد العربي مثلا أن يطور مدرسة في النقد ما بعد الكولونيالي، مثلما حدث الهند، في العمل الناجم عن تفحص الثقافة الهندية والآسيوية في جماعة دراسات التابع *Subaltern Studies Project* بإدارة المؤرخ رانا جيت جوها Ranajit Guha([2]).

خطاب ما بعد الاستعمار عند المفكرين العرب

قد قام كثير من المفكرين العرب بتعرية النسق الحضاري الغربي، وتقويض مقولاته المركزية، وتفكيك مقاصده الإيديولوجية كما فعل عبد الوهاب المسيري([3]) في كتبه: "موسوعة اليهود

---

[1] أزراج عمر. نظرية ما بعد الكولونيالية : المقاومات والنقد. منتدى الأنتروبولوجيين والاجتماعيين العرب. يوم الاسترجاع ٢٠١٣/١٠/٠٧.

الرابط: http://anthro.ahlamontada.net/t778-topic

[2] في حوار الدكتور محمد بوعزة، ما زال النقد العربي في أغلبه أدبيا، أكتوبر ٢٠١٢. موقع ديوان العرب. يوم الاسترجاع: ٢٠١٣/١٠/١٦.

الرابط : http://www.diwanalarab.com/spip.php?article34514

[3] عبد الوهاب محمد المسيري (١٩٣٨-٢٠٠٨) مفكر وعالم اجتماع مصري إسلامي، وهو مؤلف موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، أحد أكبر الأعمال الموسوعية العربية في القرن العشرين الذي استطاع من خلالها برأي البعض إعطاء نظرة جديدة موسوعية موضوعية علمية للظاهرة اليهودية بشكل خاص، وتجربة الحداثة الغربية بشكل عام، مستخدماً ما طوره

واليهودية والصهيونية: نموذج تفسيري وتصنيفي جديد"، و"الإيديولوجية الصهيونية: دراسة حالة في علم اجتماع المعرفة" (١٩٨٣)، وما أنجزه حسن حنفي([١]) في كتابه: "مقدمة في علم الاستغراب" (١٩٨١)، حيث حاول لفك عقدة النقص التاريخية في علاقة الأنا بالآخر، والقضاء على مركب العظمة لدى الآخر الغربي بتحويله من ذات دارس إلى موضوع مدروس. يمكن الحديث في النقد العربي عن أسماء تستفيد من النقد الثقافي وليس عن مشاريع أو حركات أو جماعات، ومن هؤلاء عبد الله الغذامي([٢])، عبد الله ابراهيم([٣]). عرف العالم العربي عددا كبيرا من محاولات النقد الثقافي في مرحلة ما بعد الكولونيالية، وكان لبعض هذه المحاولات أن انطلق من خلفيات معرفية وثقافية هي ابنة مرحلة الكولونيالية، كما كان للبعض الآخر من هذه المحاولات أن انطلق من خلفيات معرفية وثقافية هي وليدة الفعل أو رد الفعل في مرحلة العلمنة بالذات .ولعلّ العامل المؤثِّر في هذه المنطلقات، على اختلافها وتنوعها، يتشكل بصورة أساسية من المرحلة الزمنية التي بنى فيها هذا الناقد الثقافي أو ذاك مقومات ثقافته النقدية([٤]).

أثناء حياته الأكاديمية من تطوير مفهوم النماذج التفسيرية، أما برأي البعض الآخر فقد كانت رؤيته في موسوعته متحيزة لليهود، ومتعاطفة إلى حد كبير مع مواقفهم تجاه غير اليهود، بل وصفها البعض بأنها تدافع عن اليهود.

١ حسن حنفي (و.١٩٣٥) هو مفكر مصري، يقيم في القاهرة، يعمل أستاذا جامعيًا. واحد من منظّري تيار اليسار الإسلامي، وتيار علم الاستغرات، وأحد المفكرين العرب المعاصرين من أصحاب المشروعات الفكرية العربية. مارس التدريس في عدد من الجامعات العربية ورأس قسم الفلسفة في جامعة القاهرة. له عدد من المؤلفات في فكر الحضارة العربية الإسلامية.

٢ عبد الله بن محمد الغذامي (و. ١٩٤٦) أكاديمي وناقد أدبي وثقافي سعودي، وأستاذ النقد والنظرية في كلية الآداب، قسم اللغة العربية، بجامعة الملك سعود. وهو صاحب مشروع في النقد الثقافي وآخر حول المرأة واللغة السعودية. ومن مؤلفاته المشهورة: النقد الثقافي، والخطيئة والتفكير، وتشريح النص، والموقف من الحداثة، والليبرالية الجديدة، والمرأة واللغة.

٣ عبد الله إبراهيم (و. ١٩٥٧) أكاديمي ومفكر وأديب وناقد وباحث عراقي متخصص في السرديات ونقد المركزيات الثقافية. عمل أستاذا للدراسات الأدبية والنقدية في الجامعات العراقية، والليبية، والقطرية. من مؤلفاته: المركزية الغربية، وعالم القرون الوسطى في أعين المسلمين، والثقافة العربية والمرجعيات المستعارة، والسردية العربية الحديثة، ومعرفة الآخر.

٤ فانوس، وجيه. النقد الثّقافي العربي ودراسات مرحلة ما بعد الكولونيالية :واقع الدراسات العربية الثّقافية. دليل وقائع المؤتمر الثالث للبحث العلمي في الأردن. النقد الثقافي ودراسات ما بعد الكولونيالية. ٢٠٠٧. ص ٣

لحظ مالك بن نبي([1])، في أواسط القرن العشرين، أزمة الحضارة الغربية، ووصولها إلى الطريق المسدود، وفقدانها مبررات وجودها؛ مثلما لحظ حاجة هذه الحضارة، برأيه، إلى الإسلام لتقويم مسارها. ما يلفت الانتباه في أفكار بن نبي قوله بأن سبب الانحطاط في العالم الإسلامي لا يعود إلى الاستعمار، بل إلى القابلية للاستعمار، وقد ركز بن نبي على هذا الجانب في أغلب مؤلفاته، وظلّ يؤكِّد على هذه القاعدة حتى وصل الى نتيجة في أواخر حياته مفادها أنّ السبب في تأخر نهضة العالم الإسلامي يقع ضمن تخلُّف حضاري يتشكَّل عبر عاملين يسميهما عامل" الاستعمار " وعامل" قابلية الاستعمار"([2]). أما أنور عبد الملك([3]) كتب في كتابه" تغيير العالم"، أن أزمة العالم المعاصر ليست مجرد أزمة اقتصادية أو سياسية، بل أزمة حضارية. وفسر عبد الملك هذه الأزمة بأنها أزمة النمط الحضاري المهيمن منذ القرن الخامس عشر، وخلص إلى أنّ الحلّ الحقيقي لهذه الأزمة لا يكون إلاّ بالحوار الحضاري. والحوار الحضاري، عند عبد الملك، هو اعتراف بالآخر وامتداداته الوجودية. ورغم كل هذا، فإنَّ رؤية عبد الملك للحوار الحضاري هذا تمحورت، بصورة عملية، حول قطبين أساسين هما الغرب والشرق([4]). أما الاقتصادي المصري

---

[1] مالك بن نبي (١٩٠٥-١٩٧٣) من أعلام الفكر الإسلامي العربي في القرن العشرين. وقد يعتبر هذا المفكر الجزائري امتدادا لابن خلدون، ويعد من أكثر المفكرين المعاصرين الذين نبهوا إلى ضرورة العناية بمشكلات الحضارة. وكان بن نبى أول باحث حاول أن يحدد أبعاد المشكلة، ويحدد العناصر الأساسية في الإصلاح، ويبعد في البحث عن العوارض. وكان كذلك أول من أودع منهجا محددا في بحث مشكلة المسلمين على أساس من علم النفس والاجتماع وسنة التاريخ. من مؤلفاته: شروط النهضة، والظاهرة القرآنية، ومشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، والإسلام والديمقراطية.

[2] فانوس، وجيه.، ص ٤

[3] أنور عبد الملك (١٩٢٤-٢٠١٢)، الكاتب الماركسي المصري، يعد من أبرز المفكرين المصريين والعرب في العقود الأخيرة. وحظي باحترام كبير منذ أصدر كتابه الأول "مدخل إلى الفلسفة" عام 1957، وله كتب أخرى منها "الجيش والحركة الوطنية" و"المجتمع المصري والجيش ١٩٥٢-١٩٧٠" و"الفكر العربي في معركة النهضة" و"نهضة مصر" و"ريح الشرق" و"تغيير العالم" و"الصين في عيون المصريين" و"المواطنة هي الحل."

[4] فانوس، وجيه. ص ٥

سمير أمين([1]) يدعو إلى إعادة بناء كتلة دولية ترفض الخضوع لخطط الهيمنة الأمريكية . والاستراتيجية الوحيدة لهذا البناء هي إنجاز الإصلاح الداخلي الضروري؛ عبر الإبداع بشجاعة في جميع مجالات الحياة الاجتماعية بالتركيز على الممارسة الديمقراطية وإلغاء كل قيود الإرث السلفي التي تقف عقبة في سبيلها([2]). ويفضل برهان غليون([3]) أن تأتي مواجهة العرب للعولمة في إطار إعادة تعريف الذَّات، وفي الكفاح العملي، السياسي والفكري معا، ضد التفاوتات التي تقود إليها العولمة في شروط حياة الأفراد والمجتمعات؛ والعمل، تاليا، داخل كل بلد وعلى مستوى المجتمع الدولي، على فضح هذه التفاوتات المتزايدة وإبراز الطبيعة الشكلية للديمقراطية الليبرالية التي تسعى إلى إخفائها أو التعويض عنها([4]). أما الناقد السعودي الحداثي عبد الله الغذَّامي يقدم قراءة تفكيكية لما هو معروف لا من أجل معرفته، ولكن من أجل معرفة أسبابه؛ وبذا فهو يختلف عن كثيرين سبقوه في مجالات الفعل الثقافيّ لأنه كاشف يطلب التحليل والبحث عما يمكنه الوصول إليه من عوامل الفعل، وليس واعظا ينطلق من أفكار مسبقة يلقيها في خطب إصلاحية([5]). ويذهب المفكر الأردني هشام غصيب إلى أنّ الثقافة العربية تعاني، في المرحلة الراهنة، أزمة تحجر، وأنَّ جيلا من التقدميين والتنويريين والبعثيين العرب هزمتهم مؤسسات الكهنوت وسلطة الدولة كما سلطة الخارج. وإنّ المثقّف العربي قد استقال من

---

[1] سمير أمين (و. ١٩٣١) مفكر واقتصادي مصري. وهو من أهم أعلام مدرسة التبعية وهو من أهم مؤسسي نظرية المنظومات العالمية. قدم أمين مجموعة من القراءات لعدد من القضايا الأساسية، مثل العلاقة بين المركز والاطراف، التبيعة والعوالم الأربعة، ومحاولة لتجديد قراءة المادية التاريخية وأنماط الإنتاج وخاصة في محاولته شرح نمط الإنتاج ضدا من التحليلات الماركسية السائدة عن نمطي الإنتاج العبودي والاقطاعي. من مؤلفاته: دراسة في التيارات النقدية والمالية في مصر، والاقتصاد العربى المعاصر، وفي نقد الخطاب العربى الراهن، وما بعد الرأسمالية، وأزمة الامبريالية أزمة بنيوية.

[2] فانوس، وجيه. ص ٧

[3] برهان غليون (و.١٩٤٥) هو مفكر فرنسي سوري، وأستاذ علم الاجتماع السياسي ومدير مركز دراسات الشرق المعاصر في جامعة السوربون بباريس، ويعتبر برهان غليون من أبرز المعارضين لنظام الرئيس بشار الأسد. من مؤلفاته: ثقافة العولمة وعولمة الثقافة، والنظام السياسي في الإسلام، ونقد السياسة: الدولة والدين، وبيان من أجل الديمقراطية.

[4] فانوس، وجيه. ص ٩

[5] المصدر السابق. ص ١٠

الساحة السياسية والساحة الثقافية إلى حد كبير .. فالمثقف، عند غصيب، غدا معزولا عن الشارع وترك ناسه إما للسياسيين، وإما لرجال الدَين. ويرى، غصيب، أنّ خروج المجتمع من هذا الواقع لا يكون إلا بسلوك المواجهة([1]).

خطاب ما بعد الاستعمار عند الأدباء العرب

إن أساطين الأدب العربي عملوا وحاولوا الإطاحة بالتمركز الغربي حول الذات من خلال تفكيك خطابه، وإعادة ترتيب عناصر ذلك الخطاب تمهيدا لإنجاز خطاب مختلف. ظهرت عدة روايات عربية تتجه مباشرة إلى نقد الأنساق السياسية والثقافية المهيمنة على المجتمعات العربية ونقد قيم التخلف الاقتصادي والإنساني المهيمنة على روح هذه المجتمعات والتي تعيق نمو سؤال الممكن فيها. ومهما يكن فإن سؤال السلطة يعتبر بمثابة اللعنة التاريخية التي تلامس ذاكرة السرد العربي خاصة بعد هزيمة ١٩٦٧([2])، وهذا ما يجعل البطل العربي يعيش اغترابا وجوديا ترمز إليه تلك القطيعة الكأداء بين الذات والزمان والمكان مما يجعلها تعيش نوعا من الفراغ الدلالي الوجودي. ويمكن أن نورد أسبابا تؤكد خصوصية التجربة العربية مع الاستعمار، وما نتج منها من خصوصية ثقافية تجلّت في الرد كتابة، فيما عدا الصفات الإقليمية المميزة، ويمكن تلخيص ملامح هذه الخصوصية كالآتي([3]):

---

[1] المصدر السابق. ص ١١

[2] حرب ١٩٦٧ وتعرف أيضًا باسم نكسة حزيران وتسمى كذلك حرب الأيام الستة هي الحرب التي نشبت بين إسرائيل وكل من مصر وسوريا والأردن لإيقاف العدوان الإسرائيلي، وأفضت لاحتلال إسرائيل كل من سيناء، وقطاع غزة، والضفة الغربية، وهضبة جولان.

[3] العجيلي، شهلا. ص ٢٧-٢٨

١. لم تتحرر المنطقة العربية فعليا، ولم ينته الاستعمار، فعلى الرغم من خروجه من الدول العربية كلّها، خلّف احتلالا في فلسطين بشكل رئيس، ومناطق عربية أخرى كالجولان([١]).

٢. كانت مدة استعمار المنطقة العربية طويلة، إذ زادت على قرن من الزمن.

٣. اشتغل الأدب العربي على عقابيل الاستعمار. فقد عكفت النصوص على طرح قضايا التحرر الاجتماعي، والمثاقفة، والتنمية الوطنية، ومعاهدات السلام، ليعود الاستعمار مرة أخرى بحضوره الفيزيائي مع احتلال العراق عام ٢٠٠٣.

٤. لم يواجه الشعب العربي تجربة أقسى من الاستعمار، صاغت حياته بالشكل التي هي عليه.

تطبع هذه السمات نصوصاً عربية معينة، كتبت بتأثير حرب الخليج الثانية، ومنها رواية "قطعة من أوربا "للمصرية رضوى عاشور، و رواية "دفاتر الطوفان" للأردنية سميحة خريس، ورواية "تيميمون" للجزائري رشيد بوجدرة، التي تعد نماذج لأدب ما بعد الاستعمار([٢]). تعد ما كتبه الطيب صالح أو يحيى الطاهر بالعربية، وما كتبه الطاهر بن جلون([٣]) أو آسيا جبار([٤]) بالفرنسية نماذج لكتابة ما بعد الاستعمار([٥]). ظهرت عدة نماذج لأدب ما بعد الاستعمار في الأدب العربي، مؤلفات الروائي السوداني الطيب صالح كما في روايته "موسم الهجرة إلى

---

[١] الجولان هي هضبة تقع في بلاد الشام. وقعت الهضبة بكاملها ضمن حدود سورية، ولكن في حرب ١٩٦٧، احتل الجيش الإسرائيلي ثلثين من مساحتها، حيث تسيطر إسرائيل على هذا الجزء من الهضبة في ظل مطالبة سورية بإعادته إليها. ويسمى الجولان أحيانًا باسم الهضبة السورية.

[٢] العجيلي، شهلا. ص ٢٨

[٣] الطاهر بن جلون (و.١٩٤٤) كاتب فرنسي من أصول مغربية. ينتمي إلى الجيل الثاني من الكتاب المغاربة الذين يكتبون باللغة الفرنسية، وله اصدارات كثيرة في الشعر والرواية والقصة، وتتميز أعماله بالطابع الفولكلوري والعجائبي. هو حاصل على جائزة غونكور الفرنسية عن رواية "ليلة القدر."

[٤] آسيا جبار Assia Djebar (و.١٩٤٠) كاتبة وروائية جزائرية، معظم أعمالها تناقش المعضلات والمصاعب التي تواجه النساء، كما عرف عنها الكتابة بحس أنثوي الطابع. تعتبر آسيا جبار أشهر روائيات الجزائر ومن أشهر الروائيات في أفريقيا الشمالية. جبار هي حاليا بروفسيرة الأدب الفرنكفوني في جامعة نيويورك، وقد رشحت لنيل جائزة نوبل في الآداب عام ٢٠٠٩. من رواياتها: العطش، ونافذة الصبر، والجزائر البيضاء.

[٥] إبراهيم، رزان محمود. "المؤثر الاستعماري في الكتابة الأدبية ايقاعات متعاكسة تفكيكية"

الشمال"، والروائي السعودي عبدالرحمن منيف كما في رواياته من أمثال "مدن الملح"، و"سباق المسافات الطويلة؛ ورحلة إلى الشرق". في خماسية "مدن الملح" لعبد الرحمن منيف، تغدو الصحراء إطارا لتحولات أصابت صميم البنى والعلاقات بفعل ظهور الغرب قوة اقتصادية وسياسية من أجل النفط وأهداف إمبريالية أخرى([1]). تمثل رواية "الربيع والخريف" لحنا مينة([2]) نموذجا لهذا النمط من النصوص التي تحتكم إلى المسألة الحضارية لإبراز تجليات الاختلاف الحضاري على مستوى حرية الفرد والمجتمع، وترسيخ كرامة الإنسان وأهميته في صناعة التاريخ في الزمان والمكان. إن الأبطال في الروايات العربية من أمثال"تل اللحم" لنجم والي([3])، و"ذاكرة الجسد" لأحلام مستغنامي([4])، و"الآخرون" لحسونة المصباحي([5]) يعكسون من خلال مواقفهم أو تصوراتهم للعالم، نمطا من النقد الحاد للثقافة العربية والأوضاع التي يعيشها الإنسان العربي مقارنة بالآخر الغربي. وربما يجوز لنا أن نعد روايات لنجيب محفوظ عملت على تصوير مراحل تحولات المجتمع المصري، ولا سيما القاهري، خلال العقود الستة الأولى من القرن العشرين. يقول بعض النقاد: ربما يجوز أن نعد تلك الروايات كسلسلة ذات اشتباك جلي اشتغلت في إطار ما سمي بأدب ما بعد الكولونيالية، ومنها "الثلاثية"، و"السمان والخريف"، و"زقاق المدق"، و"ميرامار"، و"ثرثرة فوق النيل".

---

[1] رحيم، سعد محمد. أدب ما بعد الكولونيالية: إتساع المفهوم وتحديدات السياق. موقع الحوار المتمدن. يوم الاسترجاع ٢٠١٣/١٠/١٢.
الرابط: http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=47276

[2] حنا مينه (و. ١٩٢٤) روائي سوري، ويعد أحد كبار كتاب الرواية العربية، وتتميز رواياته بالواقعية.

[3] نجم والي (و.١٩٥٦) روائي عراقي. من كتبه التي صدرت: "الحرب في حي الطرب"، و"ليلة ماري الأخيرة"، و"مكان اسمه كُمَيْت"، و"تل اللحم"، و"صورة يوسف"، و"ملائكة الجنوب".

[4] أحلام مستغانمي (و.١٩٥٣) كاتبة وروائية جزائرية. نالت جائزة نجيب محفوظ لروايتها الشهيرة "ذاكراة الجسد". من أعمالها الأخرى: فوضى الحواس، والأسود يليق بك، على مرفأ الأيام.

[5] حسونة المصباحي (و.١٩٥٠) كاتب مغربي، صدرت له ثلاث مجموعات قصصية هي «حكاية جنون ابنة عمي هنية»، و«ليلة الغرباء»، و«السلحفاة». أصدر حتى الآن خمس روايات هي: «هلوسات ترشيش»، و«الآخرون»، و»وداعا روزالي»، و«نواره الدفلى»، و«حكاية تونسية».

النقد ما بعد الاستعماري Postcolonial Criticism

يأتي نقد ما بعد الاستعمار مع الدعوة إلى إعادة قراءة الأعمال الأدبية الأمهات بطريقة مختلفة تمكننا من استعادة صوت المهمش أو صوت التابع (امرأة- مستعمَر) بمعزل عن القوى المعيقة (رجل- مستعمِر)([١]). نقد ما بعد الاستعمار هو النقد الذي تناول أدب ما بعد الاستعمار، سواء من مدخل الهجنة، أم من مدخل الصفاء، أي سواء أكرس ثقافة ما بعد الاستعمار الهجينة، وهو الغالب، أم ساهم في تخليص ثقافة السكان الأصليين من الرواسب الاستعمارية([٢]). وأما تفكيك الاستعمار، فهو عملية أدبية، إبداعية ونقدية، تقاوم فيها النصوص تجربة الاستعمار وآثارها في آداب الشعوب المستعمرة. النقد الما بعد الكولونيالي رؤية نقدية مزدوجة تجاه الآخر- الاستشرافي وثقافته الإمبريالية، وفي الآن ذاته نقد لسلطة النخب الحاكمة بعد الاستعمار و مظاهر التأخر الثقافي والاقتصادي السائدة في دول العالم الثالث. وهو بذلك نقد للأنساق المهيمنة قبل وبعد الاستعمار([٣]).

يعتمد نقد ما بعد الاستعمار على مفرداتها المتمثِّلة في: "الهوية، اللغة، النص الروائي، رجل/ امرأة، مستعمِر/ مستعمَر"، هي تغيير المواقع وتبادل المواضع، والانتقال من المركز إلى المحيط. يصبح الناقد قادرا على هدم مكونات البنية النصية، أو حتى الحادثة الثقافية، وإعادة تركيبها في تسلسل لا نهائي. وتبقى الفرصة مهيأة أمامه لإعادة ما هو سائد، واستبدال المركزي بالهامشي. ينبثق نقد ما بعد الاستعمار من مسلك نقدي تسيطر عليه قراءة ذهنية، تثير تساؤلا حول مصادر القوة التي تسيطر على الخطاب الأدبي في فلسفة التفكيك. وقد عبر عبد العزيز

---

[١] إبراهيم، رزان محمود. "المؤثر الاستعماري في الكتابة الأدبية ايقاعات متعاكسة تفكيكية"

[٢] العجيلي، شهلا. ص ٢٦

[٣] الدوهو، محمد. النقد المابعد الكولونيالي في المغرب–أو الكتابة المضادة ضد الأنساق المهيمنة. موقع الاتحاد الاشتراكي. يوم الاسترجاع: ٢٠١٣/١٠/٠٧. الرابط:
http://www.ailmaroc.net/def.asp?codelangue=29&wss=1Y09io000101&id_info=169228

حمودة([1]) عن ذلك بقوله:" إن القراءة التفكيكية تبحث عن اللبنة القلقة غير المستقرة، وتحركها حتى ينهار البنيان من أساسه ويعاد تركيبه من جديد، وفي كل عملية هدم وبناء يتغير مركز النص، وتكتسب العناصر المقهورة أهمية جديدة، يحددها أفق القارئ الجديد، وهكذا يصبح ما هو هامشي مركزيا، وما هو غير جوهري جوهريا"[(٢)]. والغرض منه هو إسعاف الناقد في تلمس مقاصد النص المستورة، وفك رموزه والبوح بأسراره. الأمر الذي يقتضي سلطة مطلقة في القراءة، وفق قالب قد لا ينسجم مع مقاصد المبدع، ويعدّ تمردا على النص التقريري، وانعتاقا مما هو شائع وجاهز[(٣)].

يؤمن نقد ما بعد الاستعمار بأن الإيديولوجيا هي وسيلة الكاتب لاستغلال النص في بث أفكاره ومعتقداته، بل توظيفها في خدمة أغراض غير معلنة، فإن هذا ينفي فكرة وجود العقلية المحايدة. ومن هنا جاءت الإيقاعات المتعاكسة التفكيكية، لتعبر عن هذه التعددية في مواقف الأدباء والمنظرين، حسب تعدد انتماءاتهم الاجتماعية والفكرية والمذهبية، وإن لم يعلن أصحابها بوضوح عن هذه المرجعيات الموجهة. فالنص كما يقول حسن حنفي سلاح إيديولوجي في مجتمعات سلطوية فكرية وسياسية، وكل فريق يرى نفسه في النص ويسقط عليه أمنياته، ويرى فيه دفاعا عن مصالحه وهجوما على خصومه. وهكذا يكون النص خادما لفئة سياسية واجتماعية معينة، تملك من وسائل التسلط والاستبداد ما يكفي لهزيمة الآخر. نقد ما بعد الاستعمار نظرية نقدية لا تنظر إلى الخطاب بوصفه مهمة تاريخية، ولكن بوصفه مهمة

---

[1] عبد العزيز عبد السلام حمودة (١٩٣٧-٢٠٠٦) أستاذ الأدب الإنجليزي بجامعة القاهرة، له قيمة نقدية كبيرة في الوطن العربي، وأحدث زلزالا ثقافيا مدويا بتدشينه ملامح نظرية نقدية عربية حديثة في ثلاثيته: المرايا المقعرة، والمرايا المحدبة، والخروج من التيه والتي نشرت في سلسلة عالم المعرفة، الكويت.

[2] حمودة، عبد العزيز. المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك. سلسلة عالم المعرفة. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب. ١٩٩٨. ص٣٠٨.

[3] عدمان، عزيز. قراءة النص الأدبي في ضوء فلسفة التفكيك. مجلّة عالم الفكر. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب. المجلد ٣٣، ٢ . أكتوبر/ ديسمبر، ٢٠٠٤. ص٤٩-٨٢.

سياسية. إنّ القيمة الأدبية غير متوقفة على جماليات النص فقط، إنما مرتبطة بعوامل كثيرة من أهمها العامل السياسي الذي يؤكّد حتمية عودة النقد إلى العالم. وهو كذلك يستفيد من إمكانيات متعددة يطبقها على النصوص المختلفة بهدف كشف أساليب الهيمنة المختزنة فيها[١]. ركز النقد ما بعد الكولونيالية، في قراءاته للأعمال الأدبية والفنية، على الكشف عن الآثار الثقافية والاجتماعية والاقتصادية للاستعمار على الشعوب والأقطار التي خضعت له.

يركز نقد ما بعد الاستعمار على الخطاب الروائي أكثر من الخطاب الشعري والدرامي. وقد يكون مرد ذلك إلى الخاصية الجوهرية التي ينفرد بها السرد عن بقية الأجناس الأدبية الأخرى، وهي قدرته التخيلية على إضاءة مساحات معتمة من العالم المسرود (المتن الحكائي)، واستكناه بواطنه وأسراره وتركيباته الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والرمزية، وإبراز صوت الفئات المهمشة فيه، والعلاقات المتشابكة بين أفراده (الجنس، الصراع الطبقي، تناحر الهويات المجتمعية والإثنية والدينية)، والتباين بين البنى التقليدية والحداثة . . . إلخ[٢]. وفي ١٩٨٣، كتب إدوارد سعيد مقالة قيمة تحت عنوان: "العالم والنص والنقاد"، يدعو فيها إلى دراسة النص في علاقة بعالمه الخارجي[٣]. ينتقد إدوارد سعيد جميع أنماط التحليل النصي التي عدت النصوص على أنها منفصلة عن العالم الموجود فيه. والتحليل النصي قد يكون ممكنا من أجل أن يكون هناك قراءات لانهائية وممكنة لأي نص يمكن أن تتحقق من خلال فصل النص عن العالم الحقيقي. يرى إدوارد سعيد لزوم اقتفاء الأثر السياسي للكتابة، عبر قراءة ثقافية تعيد النقد إلى العالم، فالنص هو حادثة ثقافية لا بد من ربطه بمظاهر الدنيا السياسية

---

١ إبراهيم، رزان محمود. "المؤثر الاستعماري في الكتابة الأدبية ايقاعات متعاكسة تفكيكية"

٢ عواد علي. الدراما ما بعد الكولونيالية. موقع الخليج. يوم الاسترجاع: ٢٠١٣/١٠/٠٧.
الرابط: http://www.alkhaleej.ae/portal/59fbf9d5-0e9a-415b-8daa-c9d74baa0d60.aspx

٣ سعيد، إدوارد. العالم والنص والناقد. ترجمة عبد الكريم محفوض. دمشق: اتحاد الكتاب العربي. ٢٠٠٠. ص٨-٩.

والاجتماعية والثقافية. فالنصية في رأي سعيد غير مقنعة بحال من الأحوال[١]. ومن هذا المنطلق وجدنا (سعيد) يفرق بين مفهومي النسب والانتساب، فالنسب هو كل ما يصف مكونات النص، فهو تحليل داخلي لجمالياته وأنساقه وتكوينه. أما الانتساب، فهو ما يمنح النص مجال حركته؛ أي مجموعة النصوص المحيطة به، ومكانة المؤلف، واللحظة التاريخية التي يتم فيها استعادة النص مروراً بآليات النشر والتوزيع والتلقي. وبهذا يكون الانتساب هو إعادة خلق العلاقات بين النصوص والعالم، لإخراج النص من عزلته التي تدفعه إليها النزعات الأكاديمية ذات المنظور التخصصي الضيق، فعلى الناقد أن يعود إلى قضية البناء التاريخي للإمكانيات التي سمحت للنص أن يوجد.

النظرية النسوية ونقد ما بعد الاستعمار

كان لوجهات النظر النسوية *feminist* أهميتها المتزايدة في نقد ما بعد الاستعمار، بل إن الاستراتيجيات النسوية المعاصرة ونظرية ما بعد الاستعمار تتداخل وتتبادل الفائدة. ونستطيع القول إن النقاد ينظرون إلى الخطابين كليهما باعتبارهما شيئا واحدا. فهناك تواز واضح بين تاريخ النظرية النسوية ومشاغلها من ناحية، ونظرية ما بعد الاستعمار من ناحية أخرى(٢). تأتي مهمة النقد النسوي في إقصاء القراءة الأبوية *patriarchal* وإحلالها نوعا آخر أكثر صحة يفرض نفسه مكانَه، ويكون له حضور مساو للقراءة البطريركية التي تعكس رؤية الرجل فقط[٣١]، الأمر الذي يتماشى مع نظرية ما بعد الاستعمار التي تطلب توخي الحذر لدى التعامل مع منظومات القيم التي طورها الرجل الغربي المتفوق. وهو ما عبرت عنه جياتري سبيفاك في أبحاثها عن القمع المزدوج الواقع على المرأة المستعمرة. وهنا يترسّم كل من النقد النسوي ونقد ما بعد الاستعمار خطى نظرية التفكيك، فيقفان أمام مصطلحات من مثل (أبيض وأسود)

---

١ البازعي، سعد؛ الرويلي، ميجان. ص١٥٨.

٢ إبراهيم، رزان محمود. "المؤثر الاستعماري في الكتابة الأدبية ايقاعات متعاكسة تفكيكية"

(رجل وامرأة)، التي ترسخ فصلا متعسفا داخل الوعي الجمعي للمجتمعات، حتى إن بعض النقاد ينظر إلى التفكيك باعتباره نشاطا هدفه الأول إنصاف قطاعات إنسانية معينة استخفت النظرية القديمة بحقوقها. وبالتالي، فإذا كان المهيمِن (الرجل، المستعمِر) قد احتكر عملية التشفير الرمزية، واستبعد فيها المهيمَن عليه (المرأة، المستعمَر)، منذ زمن طويل، فإن التفكيكية تأتي لتضع المهيمن عليه في قلب هذه العملية.

النقد العربي الما بعد الاستعماري في المغرب

النقد العربي والتنظير له متقدم جدا في المغرب على عكس ما هو موجود في المشرق. ويمثل منتصف السبعينات بداية "المغرب الجديد". وفي هذه الفترة سيتم ترحيل الثقافة إلى رحاب الجامعة. فالجامعيون بدورهم ساهموا في هذا الترحيل كما أن الصحافة هي الأخرى رحبت بالمناهج الجديدة([1]). ويرجع ذلك إلى عوامل تاريخية وثقافية، من ذلك انفتاح الجامعة المغربية في وقت مبكر، منذ الستينات على المناهج والنظريات الغربية الحديثة، مما ساهم في تكوين جيل جديد من النقاد الأكاديميين. ثانيا أن المناهج والنظريات الحديثة في الغرب انطلقت من فرنسا، في إطار ما يعرف بالمدرسة الفرنسية (البنيوية وما بعد البنيوية) خلال الستينات، وهذا ما ساهم في تسهيل عملية المثاقفة، بحيث شكل الوضع المتميز للغة الفرنسية في نظام التعليم المغربي أداة مساعدة ومباشرة في اطلاع الباحثين المغاربة على المناهج والنظريات في أصولها الفرنسية. ثالثا، إن تطور مجال الإنتاج المعرفي بالمغرب في وقت مبكر في بعض حقول العلوم الإنسانية خاصة في مجال التاريخ مع عبد الله العروي([2]) صاحب «الأيديولوجية العربية

---

[1] يحيى بن الوليد. أزمة المثقف في الخطاب النقدي المغربي المعاصر. موقع مغرس. يوم الاسترجاع: ٢٠١٣/١٠/٠٧.
الرابط:http://www.maghress.com/alboussala/533

[2] عبد الله العروي (و. ١٩٣٣) مؤرخ وروائي مغربي. احتوى نتاجه الإبداعي على دراسات في النقد الإيديولوجي وفي تاريخ الأفكار والأنظمة وأيضا العديد من النصوص الروائية. نشر أعماله في مجموعة من المجلات: أقلام (الرباط)، مواقف

المعاصرة»، ومجال علم الاجتماع مع عبد الكبير الخطيبي([1]) ومجال اللسانيات، شكل مرجعية معرفية استفاد الخطاب النقدي منها في تجديد استراتيجياته، وتطوير مفاهيمه وتحديث مقارباته. وعلى العموم فالنقد الما بعد الكولونيالي في المغرب جاء استجابة للوضعية السياسية والثقافية والتاريخية التي ميزت تفكير مثقفي ما بعد الاستعمار في الدول العالمثالثية، ذلك أن السياق الما بعد الكولونيالي بين ١٩٦٠-١٩٧٠ دفع الإنتلجنسيا الشابة المغربية آنذاك إلى إخضاع الموروث الكولونيالي المغربي في العلوم الاجتماعية إلى رؤية أبستمولوجية وإيديولوجية صارمة([2]).

لقد كان الفكر الجزائري في مرحلة ما بعد الكولونيالية فكرا نقديا، تنويريا، عقلانيا، توفيقيا، يؤمن بالعلم، متفائلا على غرار الجو الإيديولوجي العام السائد عالميا الذي انخرط فيه هذا الجيل من المفكرين الجزائريين انخراطا مشروطا، إن جاز التعبير. لقد كانوا يؤدون رسالة ذات صبغة وطنية لكنها كانت في آن واحد منخرطة في سياق توجه عالمي كان لا بد بالتالي أن ينعكس مصير هذا الأخير على مصير هذا الفكر الوطني وعلى القيم والمبادئ التي دعا وناضل من أجلها. لقد كان الفكر الجزائري إذن، على الأقل ذلك الفكر المسموح له بالتعبير عن ذاته، فكرا توفيقيا، متفتحا، في مجال العلاقة بين الأنا والآخر. صحيح أنه بالإمكان أن نجد بعض التباين في درجة حضور الآخر (الحداثة والأصالة) (الإسلام والعروبة) في فكر كل من مولود قاسم،

(بيروت)، دراسات عربية (بيروت)، منها: الغربة، والأيديولوجيا العربية المعاصرة، والعرب والفكر التاريخي، واليتيم، ومفهوم الأيديولوجيا، ومجمل تاريخ المغرب.

[1] عبد الكبير خطيبي (١٩٣٨-٢٠٠٩) روائي وناقد مغربي وعالم اجتماع، وأخصائي بالأدب المغاربي. نشر قصصا وروايات ونظم قصائد وكتب محاولات كثيرة حول المجتمعات والفن الإسلاميان. ينتمي إلى الجيل الشاب للستينيات الذي تحدى المعايير الاجتماعية والسياسية التي انبنى عليها المغرب العربي. ومن مؤلفاته: الذكرة الموشومة، وفن الخط العربي، وتفكير المغرب، وكتاب الدم.

[2] الدوهو، محمد. النقد المابعد الكولونيالي في المغرب-أو الكتابة المضادة ضد الأنساق المهيمنة. موقع الاتحاد الاشتراكي. يوم الاسترجاع: ٢٠١٣/١٠/٠٧. الرابط:
http://www.ailmaroc.net/def.asp?codelangue=29&wss=1Y09io000101&id_info=169228

وعبد المجيد مزيان، وطالب الإبراهيمي، من جهة، وفكر كل من مصطفى لشرف، وعبد الله مازوني، ورضا مالك من جهة أخرى، لكن دون أن يصل هذا التباين إلى درجة التعارض([1]).

دراسات عربية حول نقد ما بعد الاستعمار

يعد الأكاديمي العراقي الدكتور أمين ملك([2]) من الأسماء البارزة في مجال النظرية النقدية والنقد ما بعد الكولونيالي على الصعيد العالمي. وقد حاز كتابه الصادر في نيويورك عام ٢٠٠٥ "السرديات الإسلامية و خطاب اللغة الإنكليزية " *Muslim Narratives and the Discourse of English* على اهتمام واسع في الأوساط الأكاديمية و الثقافية في كل من أمريكا الشمالية وأوروبا. وجرى استقبال هذا الكتاب في السياق الثقافي و الاجتماعي و السياسي الذي أفرزته هجمات الحادي عشر من سبتمبر في أمريكا و ما أعقبها من اهتمام متزايد بالثقافة و الحضارة الإسلامية و العربية([3]). والكتاب عبارة عن مجموعة من الدراسات النقدية للأعمال الروائية لعدد من الروائيين المسلمين المعاصرين من آسيا و أفريقيا و الذين يكتبون رواياتهم باللغة الإنكليزية. ومن ضمن الأسماء التي درسها ملك في كتابه أحمد علي، وسلمان رشدي، ونور الدين فرح، وعبد الرزاق غورناه، وأديب خان، ورقية حسين، وفاطمة المرنيسي، وأهداف سويف، وغيرهم. ويعد الكتاب مساهمة بارزة في إثراء الفهم الغربي لخصوصيات الثقافة الإسلامية والتي تشكل المكون الأساسي للوعي و الهوية عند الروائيين المسلمين من الأصول الآسيوية و الإفريقية الذين

---

[1] الفكر الجزائري في مواجهة مشكلات ما بعد الدولة الكولونيالية. الجزائر نيوز يوم: الخميس ١٢ سبتمبر ٢٠١٣. الرابط: http://www.djazairnews.info/trace/37-trace/31621-2011-11-28-16-56-06.html

[2] د/ أمين ملك حاصل على الدكتوراه في الأدب العالمي المقارن من جامعة ألبرتا في كندا حيث يقيم حاليا و يدّرس الأدب المقارن والنظرية النقدية في جامعة ماك إيوان. وبالإضافة الى الأدب المقارن و النظرية النقدية، يكتب د. ملك في مجالات السرديات الحديثة والنظرية المابعد كولونيالية والخطاب الثقافي الإسلامي في الغرب.

[3] معن الطائي. د/ أمين ملك: "السرديات الإسلامية والنقد ما بعد الكولونيالي". موقع الروائي. يوم الاسترجاع: ٢٠١٣/١٠/١٢.

الرابط: http://www.alrowaee.com/article.php?id=636

يكتبون باللغة الإنكليزية. ويعتبر هذا الجهد النقدي محاولة لإعطاء صوت للفئات المهمشة والغير ممثلة في الثقافة الرسمية وكسر سلطة المركز في تزييف هوياتهم المغايرة و تدجين إبداعاتهم الأدبية عن طريق طمس نقاط الاختلاف و التباين. وتشكل النظرية النقدية لما يعرف بما بعد الحداثة والنقد الما بعد كولونيالي الإطار النظري للكتاب من حيث النزعة التقويضة للسرديات المركزية وتناول أعمال روائيين تعود أصولهم الى ما كان يعرف بالمستعمرات البريطانية في كل من آسيا و أفريقيا ودراسة الأعمال الروائية المكتوبة باللغة الانكليزية من قبل أدباء غير بريطانيين أصلا ودراسة الأنساق الثقافية من خلال النصوص الجمالية.

نشر د/ رامي أبو شهاب([1]) كتاب "الرسيس والمخاتلة- خطاب ما بعد الكولونيالية في النقد العربي المعاصر : النظرية والتطبيق"، الصادر عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر. هذا الكتاب يتناول النقد ما بعد الكولونيالية في النقد العربي. أوضح المؤلف أن خطاب "ما بعد الكولونيالية" تصاعدت أهميته بعد أن قام المفكر الفلسطيني إدوارد سعيد بنشر كتابه "الاستشراق"، مشكلا اتجاها جديدا لقراءة النص ثقافيا بالاعتماد على استراتيجيتي التمثيل والحفر المعرفي اللتين تعدان من أبرز دعائم هذا الخطاب. ورأى شهاب أنه في مواجهة الخطابات الاستعمارية نشأ خطاب آخر عمل على نقض الاستعمار، وكشف آلياته واستراتيجياته اتكاء على نص مضاد ومقاوم، لافتا إلى أن هذين الاتجاهين المنتجين شكلا ما يمكن أن نطلق عليه خطاب ما بعد الكولونيالية([2]). ركز المؤلف في هذا الكتاب على الدراسات

---

[1] الدكتور رامي أبو شهاب (و.١٩٧٤) كاتب حاصل على دكتوراه في النقد الأدبي الحديث (الخطاب والنظرية النقدية) من معهد البحوث والدراسات العربية في القاهرة. صدر له: بناء الشخصية الرمزية في الرواية الأردنية، والرّسِيس والمُخاتلة " خطاب ما بعد الكولونيالية في النقد العربي المعاصر، كما نشر عشرات البحوث والمقالات والقصائد في المجلات العربية. يكتب في صحيفة الوطن القطرية، بالإضافة إلى القدس العربي ، والعرب، والاتحاد الإماراتية وبعض الصحف الأخرى.

[2] عزيزة علي. كتاب يتناول النقد ما بعد الكولونيالية للدكتور رامي أبو شهاب. موقع الغد. يو الاسترجاع: ٢٠١٣/١٠/٠٧.

الرابط: http://www.alghad.com/index.php/article/602289.html

النقدية العربية المعاصرة المعنية بخطاب ما بعد الكولونيالية، منذ مطلع الثمانينيات القرن الماضي حتى الزمن الحاضر لدى بعض النقاد العرب الذين عرف عنهم انشغالهم بهذا التيار النقدي، مستعرضا بعض هؤلاء النقاد، ومنهم: جابر عصفور، وفخري صالح، وعبدالله إبراهيم، ونبيل سليمان، وعزالدين مناصرة. يتناول الكتاب الممارسة النقدية التطبيقية والاستراتيجيات النقدية لهذا الخطاب النقدي، التي انطلق منها النقاد العرب، وقد تمثلت باستدعاء الآخر خطابيا، والاستقراء السردي، القراءة التقابلية، وتفكيك الخطاب، والإنشاء والتمثيل، والبحث في اللغة وتكوينها المقاوم، وقراءة في تجارب مشابهة، وترميم الهوية.

أما في ٢٠١٢، أصدر الناقد المغربي الأستاذ إدريس الخضراوي([1]) كتابه "الرواية وأسئلة ما بعد الاستعمار" عن دار رؤية للنشر بالقاهرة. يعالج الكتاب القضايا من أمثال التمثيل الثقافي وسياق ما بعد الاستعمار، وإشكالية تفكيك الآخر، وغيرها من القضايا الأساسية، التي باتت تستأثر باهتمام نقد ما بعد الكولونيالية. ويطمح هذا الكتاب من خلال الاستفادة من المرجعيات النقدية الجديدة، خاصة خطاب ما بعد الاستعمار، إلى الإصغاء لأهم الأسئلة الثقافية التي تطرحها الرواية العربية، إذ من شأن كل قراءة جديدة أن تبوئ الرواية، باعتبارها نصا، حضورا مختلفا يحفل بدلالات وأبعاد جديدة. إن الناقد يطمح من خلال ذلك كله إلى تحقيق هدفين أساسيين: أولا، تقديم مقترح جديد في قراءة الرواية العربية يستفيد من التحولات التي تعرفها النظرية الأدبية المعاصرة، والانفتاح الذي يطبع ممارستها الراهنة، على حقول واختصاصات شديدة الاختلاف، ومنها حقل الدراسات الثقافية وما يندرج في إطارها من

[1] إدريس الخضراوي باحث وناقد مغربي

تيارات فكرية ونظرية عديدة منها تيار ما بعد الاستعمار. ثانيا، اجتراح زوايا جديدة لقراءة الأدب تعيد إلى دائرة الاهتمام ما كان مهمشا في الدراسات النقدية السابقة([1]).

٢٧. النقد النسائي Feminist Criticism

الحركة النقدية النسائية تكاد تكون حركة وليدة، لا يتجاوز عمرها الحقيقي بضع سنوات، وتقتصر على عدد معين من الناقدات في حين أن نقد الرجال قد رافق الأدب منذ أقدم العصور، وحقق إنجازا واسعا على كافة الأصعدة. إن دراسة متأنية لواقع النقد النسائي عبر العصور المختلفة تشير إلى أن هذا النقد يكاد يكون مختفيا تماما منذ العصر الجاهلي وحتى بداية القرن العشرين. العصور العربية المختلفة لم تعرف إلا عددا قليلا من الناقدات منهن أم جندب امرأة امرئ القيس بن حجر([2])، والسيدة سكينة بنت الحسين بن علي([3])، وعقيلة بن عقيل بن أبي طالب([4])، أم جحدر بنت حسان المرية، وولادة بنت المستكفي([5])، والنقد لهؤلاء الناقدات يكاد

---

[1] الزقلي، نور الدين. الناقد المغربي إدريس الخضراوي يصدر كتابه " الرواية العربية وأسئلة ما بعد الإستعمار". موقع صوت أسفي. يوم الاسترجاع ٢٠١٣/١٠/٠٧. الرابط: http://www.sawtasfi.com/index.php/2013-07-24-18-08-13

[2] ذكرت المصادر أن امرأ القيس وعلقمة بن عبده تنازعا أيهما أشعر، فقال كل واحد منهما: أنا أشعر منك. فقال علقمة: قد رضيت بامرأتك أم جندب حكما بيني وبينك. فحكّماها. فقالت أم جندب لهما: قولا شعرا تصفان فيه فرسيكما على قافية واحدة وروى واحد فقال امرؤ القيس: خليليّ مرّا بي على أم جندب – نُقضّ لبانات الفؤاد المعذب، وقال علقمة :ذهبت من الهجران في غير مذهب – و لم يك حقاً طول هذا التجنّب. فأنشداها جميعا القصيدتين. فقالت لامرئ القيس: علقمة أشعر منك.

[3] هي آمنة بنت الحسين بن عليّ. إن السيدة سكينة تحتل مكانا هاما من حيث الاهتمام بالشعر والنقد. وهي رائدة نساء عصرها، وقد عرفت بذوقها الأدبي ونقد الشعر والغناء. وكان الشعراء والرواة يتحاكمون إليها فتنتقدهم، تدور معظم الأحكام النقدية لسكينة حول غرض الغزل. وكان نقد سكينة من قبيل النقد المؤسسي على خبرة بـــ"سيكولوجية" المرأة، أو عالمها النفسي.

[4] يقال إنها كانت تجلس للشعراء دائما

[5] ولادة بنت المستكفي (٩٩٤–١٠٩١م) أميرة أندلسية وشاعرة عربية من بيت الخلافة الأموية في الأندلس، ابنة الخليفة المستكفي بالله. اشتهرت بالفصاحة والشعر، وكان لها مجلس مشهود في قرطبة يؤمه الأعيان والشعراء ليتحدثوا في شؤون

يكون انطباعيا تأثريا لا يستند إلى قواعد صحيحة، بل هو أشبه بمحاولات تجريبية تحكمها بعض عوامل البيئة. وظهر أثر تطور النقد النسائي واضحا من خلال إسهامه في دفع حركة النقد العربية المعاصرة إلى الأمام واحتلالها مكانة مميزة ومرموقة. ومن أهم عوامل تطور النقد النسائي:

١. إن دخول المرأة للحياة العملية واحتكاكها من خلال العمل بالرجال قد أعطاها دفعة قوية، وجعلها أكثر ثقة بنفسها.

٢. شعور المرأة بأن النقد رسالة أدبية واجتماعية وسياسية يؤديها الناقد، وأنها جزء من هذا المجتمع وعليها أن تحمل هذه الرسالة بكل أمانة وإخلاص.

٣. التحصيل الثقافي العالي الذي صارت تتمتع به المرأة، وهو جزء من الثقافة العالية التي صار يتمتع بها المجتمع بشكل عام.

٤. وعي المجتمع للدور الذي تقوم به المرأة في عملية الإبداع والبناء، وتشجيعه لها من خلال تقديم كافة التسهيلات.

٥. انتشار المطابع والمكتبات، ودور النشر مما سهل توافر المادة المطبوعة من خلال الصحف والمجلات والكتب المختلفة.

٦. دور الجامعات والمعاهد الفعال في تطوير مفهوم النقد عند المرأة وتشكيل الأدوات الحقيقية لممارسته.

٧. مشاركة المرأة في العديد من الندوات والمؤتمرات العالمية والعربية والمحلية مما كان له أكبر الأثر في تحقيق المهارة والدربة والممارسة.

٨. الاطلاع على معظم الآثار النقدية الغربية بفعل حركة الترجمة والتأثر بها.

الشعر والأدب بعد زوال الخلافة الأموية في الأندلس. وندوة للمساجلة الشعرية في العصر الأندلسي قد تركت بصمة واضحة في ميدان النقد لأن ندوات المساجلة هي بحد ذاتها نواة طيبة لحركة نقدية فاعلة.

النقد الأدبي النسوي

عرّفت الناقدة النسوية إيلين شوآلتر (١)Elaina Showalter مصطلح النقد النسوي (٢)*Gynocriticism* بأنه تحليل النصوص من وجه نظر المرأة، والدافع إليه ما تستشعره الحركات النسوية من إهمال الرجل المتعمد لمجمل إنتاج النساء الإبداعي وعده إياه أدبا من الدرجة الثانية. لذلك فقد كان هدف النقد النسوي هو الرفع من منزلة المرأة في المجتمع. وقد نشأ هذا الصنف من النقد الأدبي في منتصف القرن العشرين بأمريكا في نطاق الحركة النسوية المطالبة بالمساواة، وعرف رواجا كبيرا في كندا، ثم تحول إلى فرنسا في مطلع السبعينيات، فضبطت دوافعه وغاياته ومناهجه، وظهرت دراسات عديدة تطبقه.

النقد النسوي يهتم بالاختلاف الجنسي في إنتاج الأعمال الأدبية شكلا ومحتوى، تحليلا وتقويما، ولا يتبع نظرية واحدة أو إجراءات محددة، فهو يستفيد من النظرية النفسية والماركسية، ونظريات ما بعد البنيوية عموما؛ لذا فهو متعدد الاتّجاهات. وغاية النقد النسوي إنصاف المرأة وجعلها على وعي بحيَل الكاتب الرجل، وإبراز طريقة تحيّزه "ضد المرأة وتهميشها بسبب أنوثتها". ولذا يهتمّ النقد بالإنتاج الأدبي للنساء من كافة الوجوه الحوافز النفسية السيكولوجية والتحليل والتأويل والأشكال الأدبية بما فيها الرسائل والمذكرات اليومية. ومن ثَم فإنّ النقد

---

١ إيلين شوآلتر Elaina Showalter (و.١٩٤١) هي ناقدة أدبية أمريكية، ونسوية، وكاتبة القضايا الثقافية والاجتماعية، وهي واحدة من مؤسسي النقد الأدبي النسوي في الولايات المتحدة والأوساط الأكاديمية، وتطوير مفهوم وممارسة النقد الأدبي النسوي. وقد كتبت العديد من الكتب والمقالات التي تركز على مجموعة متنوعة من الموضوعات. وكانت شوآلتر ناقدة تلفزيونية لمجلة بيبول ومعلق في إذاعة بي بي سي والتلفزيون.

٢ Gynocriticism هو دراسة الأدب النسوي، أو دراسة تاريخية لمؤلفات الكاتبات كأنها تراث أدبي متميز. الناقدة الأمريكية إلين شوالتر هي التي استعملت هذا الاصطلاح أولا في مقالها "نحو شاعرية النسوية". وهو يشير إلى الانتقادات التي يبني "إطارا أنثى لتحليل أدب المرأة، ووضع نماذج جديدة تقوم على دراسة تجربة النساء، بدلا من التكيف مع نماذج من الذكور ونظرياتهم" (نقلا عن Groden وKreiswurth من "نحو النسوية شاعرية، "نقد نسوي جديد، ١٣١). وكان gynocriticism نتيجة للانتقادات الاستفهامية المستخدمة في مرحلة ما بعد البنيوية والتحليل النفسي.

النسوي يتحرك بصفة عامة على محورين: الأول هو دراسة صورة المرأة في الأدب الذي أنتجه الرجال، والآخر هو دراسة النصوص التي أنتجتها النساء. ويلتقي المحوران في الواقع عند نقطة واحدة هي هوية المرأة أو ذاتها[١]. وجوهر فكرة النقد الأدبي أو فلسفته عند الحركة النسائية هو ما لقيته المرأة من ظلم - حسب اعتقاد الحركة - على امتداد تاريخها الطويل، سواء في المجال الإبداعي - أي: كتابات المرأة نفسها - أم في مجال النقد إذا لم تتح لها الفُرصة للتّعبِير عن آرائها النقديّة التي قد تكون مخالفة لوجهة نظر الرجل، أم فيما أدّى إليه الأدب والنقد من ترسيخ الأوضاع القديمة للمرأة في المجتمع[٢].

إن هناك فصل القول بين مصطلح النقد النسوي وبين مصطلح النقد النسائي، خاصة وأن الفرق بينهما لا يزال حتى الآن مثار نقد كبير لما بينهما من تعارض. تقول د/ عفاف عبد المعطي[٣] إن مصطلح النقد النسوي (تحليل النصوص الأدبية من وجهة نظر المرأة) ينطلق من الدفاع عن قضية المرأة وحقوقها، لذلك ينظر إلى النصوص التي تكتبها من هذه الزاوية. وترى الباحثة أن الدافع وراء ظهور هذا النوع من النقد هو الإهمال العام لإبداع المرأة على اختلاف مشاربه، بل اعتباره أدبا غير متميز. لذلك جاء مصطلح النقد النسوي كي يرفع من منزلة المرأة الكاتبة في المجتمع، خاصة وأن النزعة إلى مثل هذه الوجهة في إبداع المرأة قد تبلورت منذ جهود مفكرين كثيرين أمثال رفاعة الطهطاوي[٤]، وقاسم أمين[٥] في مصر والطاهر حداد[١] في تونس.

---

١ حلمي محمد القاعود، مجلة الأدب الإسلامي، العدد (٦٦)، ٢٠١٠.

٢ محمد عناني، (١٩٩٦)، المصطلحات الأدبية الحديثة، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، القاهرة، ص ١٨٧.

٣ د/ عفاف عبد المعطي (ناقدة مصرية وأستاذ بكلية الآداب في القاهرة)، المرأة العربية.. رؤى سوسيولوجية الصادر عن المركز المصري للدراسات والبحوث الإعلامية.

٤ رفاعة رافع الطهطاوي (١٨٠١-١٨٧٣ م) من قادة النهضة العلمية في مصر في عهد محمد علي باشا.

٥ قاسم محمد أمين (١٨٦٣-١٩٠٨ م) كاتب وأديب ومصلح اجتماعي مصري وأحد مؤسسي الحركة الوطنية في مصر وجامعة القاهرة كما يعد رائد حركة تحرير المرأة.

وتعتبر عفاف عبد المعطي أن الغاية من النقد النسوي ليست أن نفتح للنساء حقلا مخصوصا من الدراسات، بل الغاية من النقد النسوي هي إبراز أسطورة الأنوثة وإدارتها في ضمير الجماعة الأدبية، وبذلك أضيفت غاية مهمة إلى غاية النضال النسوي تتمثل في البحث عن خصوصية الأدب النسائي وعلامات الأنوثة فيه لتميزها عن علامات الذكورة التي تعتبر علامات محايدة، خاصة وأن هناك أوجاعا خاصة بوضع المرأة في المجتمع، المرأة الكاتبة فقط هي التي تستطيع التعبير عنها طبقا لما يمكن أن يحدث من تماه خاص بينهما([٢]).

خصائص النقد النسوي:

١. تحديد ما تكتبه المرأة وتعريفه وكيفية اتصافه بالأنثوية من خلال النشاط الداخلي، وليس الخارجي([٣]).

٢. كشف التاريخ الأدبي للموروث الأنثوي من خلال تجارب النساء الرائدات السابقات وتقليدهن بوصفهن نماذج يُحتذى بها من غيرهن.

٣. إرساء صيغة التجربة الأنثوية المتميزة (الذاتية الأنثوية) فكرا وشعورا وتقويما وإدراكا للذات والعالم الخارجي.

٤. تحديد سمات لغة الأنثى ومعالمها أو الأسلوب الأنثوي المتميز في الكلام المنطوق والكلام المكتوب وبنية الجملة والعلاقات اللغوية والصور المجازية.

---

[١] طاهر بن علي بن بلقاسم الحداد (١٨٩٩-١٩٣٥) مؤلف ونقابي ومنظر تونسي. وقام بحملة لتطور المجتمع التونسي في مطلع القرن العشرين. ومن المعروف أنه خاض نشاط من أجل حقوق العمال النقابية التونسية، وتحرير المرأة التونسية ومنع تعدد الزوجات في العالم مسلم. الطاهر الحداد هو صديق للشاعر أبو القاسم الشابي قاسم والنقابي محمد علي الحامي.

[٢] أحمد عيد، القاهرة، النقد النسوي ظاهرة ترد على اهمال ابداعات الروائيات العربيات، موقع المفهوم، آفاق أدبية، http://www.mafhoum.com/press2/61C32.htm

[٣] علاقة المرأة بالمرأة وعلاقة الأم بالابنة، تجارب الحمل والوضع والرضاعة والبيت

النقد النسائي في مصر

ظهر أثر تطور النقد النسائي واضحا من خلال إسهامه في دفع حركة النقد العربية المعاصرة إلى الأمام واحتلالها مكانة مميزة ومرموقة. ولم يكن هذا التطور للنقد النسائي مقتصرا على قطر عربي بعينه، بل شمل كافة الأقطار العربية. كانت مصر رائدة هذا التطور للنقد النسائي. كانت الناقدات المصريات الأكثر عددا والأوفى نصيبا بين الناقدات العربيات. فيحدث هذا البحث عن دور المرأة المصرية في تطوير حركة النقد العربي.

خصائص النقد الأدبي النسائي في مصر([1])

١. كان حب التراث العربي ودفاعه أبرز مقاصد الناقدات ولاسيما في الدراسات الخاصة بالتأليف النقدي.

٢. تنوعت المواضيع التي تناولتها بعض الناقدات المصريات فلم تقتصر على مدة معينة أو علم محدد فالدكتور سهير القلماوي بحثت في الأدب الأموي والعباسي والعصر الحديث ثم تناولت الجانب اللغوي أيضا.

٣. سلكت جهود الناقدات المصريات مناهج النقد كافة، فكان للجانب النفسي نصيب من دراستهن ومثله للجانب التاريخي والجانب الفني. إن المنهج التكاملي كان السائد في جهودهن النقدية، كما لعب علم النفس دورا مهما في نظراتهن النقدية إلى جانب الدراسة النصية والوقوف على الجانب الموضوعي.

٤. كان السير على خطى السابقين سمة بارزة في غالب نقد الناقدات المصريات.

٥. إن بعض الناقدات المصريات مثل سيزا قاسم قد استفدن من المناهج النقدية الحديثة في دراسة الأعمال الأدبية ،لا سيما المنهج البنيوي الأكثر انتشارا في عالم النقد الحديث.

---

[1] محمد أحمد المجالي، المرأة الناقدة في الأدب العربي، أستاذ مشارك، قسم اللغة العربية، جامعة مؤتة، الأردن، مقالة موجودة في صفحة: http://uqu.edu.sa/majalat/shariaramag/mag20/www/MG-021.htm

٦. كثيرا ما اتفقت آراء ناقدة مع آراء زميلة لها في موضوع معين أو شخصية معينة.

٧. طغى الجهد الأدبي من قصة ورواية ومقالة وقصيدة وسيرة ذاتية على الجهد النقدي، وبقيت صفة الشاعرة والقاصة والمترجمة تلازم بعضهن أكثر مما برزن في جهودهن النقدية مثل نعمات أحمد فؤاد([1]).

٨. إن بدايات النقد النسائي في مصر قد جاءت متأخرة قياسا بحركة الأدب النسائية إذ إن الوجود الحقيقي لهذا النقد يكاد تكون في منتصف القرن العشرين فقط.

٩. إن الاتجاهات التي سيطرت على هذا النقد قد تمثلت في اتجاهين اثنين هما: الاتجاه الفني، وقد برز واضحا عند عدد لا بأس به من الناقدات المصريات ممن أقمن نقدهن على التحليل والتمحيص والدراسة العميقة، والاتجاه التاريخي الذي سيطر على عدد كبير من الدراسات الأكاديمية الجامعية.

١٠. إن معظم هذا النقد قد جاء في نقد المرأة للرجل، وإن جزءا قليلا فقط قد جاء في نقد المرأة للمرأة.

١١. إن الغاية الحقيقية من هذا النقد قد تعدت حدود العمل من أجل كسب الشهرة لتشمل بكل فاعلية العمل على النهوض بالأدب العربي ودفعه إلى الأمام.

١٢. إن مضامين هذا النقد قد جاءت منصبة بالدرجة الأولى على معالجة قضايا مختلفة في الأدب الحديث، وإن عددا قليلا من الأعمال النقدية قد تناول موضوعات قديمة جاءت ضمن الدراسات التاريخية الأكاديمية.

---

[1] أروى أنور عبد الحميد، جهود المرأة العربية النقدية ١٩٤٥-١٩٨٠، إطروحة دكتوراه، كلية الآداب / الجامعة المستنصرية – http://www.iraqnla.org/fp/journal32/21.htm

١٣. إن الموضوعية والجرأة في إصدار الأحكام كانتا من أبرز الصفات التي ميزت الناقدات المصريات في معظم أعمالهن وبخاصة أعمال الناقدات المشهورات على مستوى الوطن العربي.

١٤. إن معظم هذه الأعمال النقدية قد جاءت على شكل مقالات نقدية موزعة في الكتب والدوريات المختلفة.

ومن أبرز الناقدات المصريات التي كان لها الدور المهم في تشكيل حركة النقد النسائية المعاصرة في مصر: مَيّ زياده، ولطيفة الزيات، وسهير القلماوي، ورضوى عاشور، وفريدة النقاش، ونبيلة إبراهيم، وفريال جبوري غزول، واعتدال عثمان، وسيزا قاسم، ومنى ميخائيل، وجليلة رضا، ونعمات أحمد فؤاد، وإخلاص فخري عمارة، وثناء أنس الوجود، ومها مراد، وهويدا صالح.

اتجاهات النقد النسائي في مصر ([1])

إن المحاولات النقدية النسائية في مصر قد سارت في اتجاهين، الأول هو الوقوف على عمل كامل لأديب ما أو دراسة ظاهرة مميزة ضمن هذا العمل، والثاني هو دراسة الظواهر العامة.

أولا: دراسة الأعمال الأدبية

ويحتل هذا النوع من الدراسات مساحة واسعة من حجم النقد النسائي المصري، ويسير في اتجاهين اثنين هما: الوقوف على أثر كامل لأديب ما أو دراسة ظاهرة معينة في أدبه، وتكاد تنصب معظم هذه الدراسات على موضوعات حديثة معاصرة، وتتميز بعمق في التحليل واتباع منهج فني ناضج بعيد عن النزعة التاريخية، وفي هذا الاتجاه ثلاثة موضوعات هي : نقد المرأة للرجل، ونقد المرأة للمرأة، ونقد المرأة لذاتها.

---

[1] محمد أحمد المجالي، المرأة الناقدة في الأدب العربي، أستاذ مشارك، قسم اللغة العربية، جامعة مؤتة، الأردن، مقالة موجودة في صفحة: http://uqu.edu.sa/majalat/shariaramag/mag20/www/MG-021.htm

أ - نقد المرأة للرجل:

اهتمت المرأة الناقدة كثيرا بالوقوف على آثار الأدباء المختلفة، وقد اتسعت دائرة هذا النوع من النقد لتشمل أعمال الأدباء في مختلف الأقطار العربية. تناولت المرأة الناقدة أدب الرجال بموضوعية وقدرة واضحة في إصدار الأحكام، كما بدا واضحا أن ثقتها بنفسها قد ظهرت عالية تماما وبخاصة في تعاملها مع بعض الأعمال المشهورة والمميزة. ومن أشهر الناقدات المصريات اللاتي يتمثلن هذا الاتجاه:

١. د/ لطيفة الزيات (١٩٢٣- ١٩٩٦)

لطيفة الزيات هي ناقدة مصرية، ومناضلة سياسية تقدمية، وكاتبة مبدعة من مصر التي أولت اهتماما خاصا لشئون المرأة وقضاياها. كانت أستاذة الأدب الإنجليزي بكلية البنات جامعة عين شمس سابقا، ورئيسة قسم النقد المسرحي بمعهد الفنون المسرحية (١٩٧٠-١٩٧٢). حازت لطيفة الزيات على جائزة الدولة التقديرية للأدب عام ١٩٩٦، وكانت رمزا من رموز الثقافة الوطنية والعربية وإحدى رائدات العمل النسائي في مصر، ولها سجل حافل بالريادة في جميع المجالات التي خاضتها والعديد من الأعمال الأدبية.

من مؤلفاتها النقدية: "من صور المرأة في الروايات والقصص العربية"، و"نجيب محفوظ : الصورة والمثال"، و"أضواء" (مقالات نقدية)، و"مقالات في النقد الأدبي"، و"حركة الترجمة الأدبية في مصر". تضع لطيفة الزيات خلاصة تجربتها النقدية في دراستها المتميزة: "من صور المرأة في الروايات والقصص العربية"(١)، وتوظف كافة خبراتها لخدمة منظورها النقدي المثير

---

١ كانت قد أعدتها سنة ١٩٨٠ وتقدمت بها إلي اللجنة الاقتصادية لغرب آسيا في ندوة الخبراء حول صورة المرأة العربية في وسائل الإعلام و فنون التعبير.

للكثير من القضايا المجتمعية العميقة في دلالتها[١]. يدرس الكتاب عن صورة المرأة في الأعمال الأدبية لكبار الأدباء العرب، ويعد أشمل كتاب عن مجتمع المرأة، حيث تدرج الكاتبة قضية المرأة كقضية مجتمعية في المقام الأول. وينقسم الكتاب إلي قسمين؛ يتضمن الأول منهما وهو الأكبر دراسة الناقدة عن صورة المرأة في الأعمال القصصية والروائية كنجيب محفوظ، وتوفيق الحكيم، ويوسف إدريس، وزكريا ناصر، والطاهر وطار، وغيرهم[٢]. أما القسم الثاني فهو يتضمن مقالتين عن المرأة في أدب نجيب محفوظ، نشرت الأولى منها في مجلة الطليعة المصرية عام ١٩٧٦، وكتبت الثانية بغية استكمال ما ذهبت إليه الكاتبة في مقالتها الأولى.

وقفت لطيفة الزيات من خلال هذه الدراسة النقدية المتميزة عند عدد من الروايات والقصص العربية الهامة منها: "الرباط المقدس" لتوفيق الحكيم[٣]، و"ريح الجنوب" للكاتب الجزائري عبد الحميد هدوقه[٤]، و"البحر يكشف كل الأقنعة" لعبد الله الطوخي[٥]، و"دمشق الحرائق" لزكريا

---

١ http://old.qadaya.net/node/2748 – من موقع قضايا دوت نت، مبادرة من الشبكة لمعلومات حقوق الإنسان في العالم العربي

٢ وقد تم تقسيم تلك الدراسة إلي خمس فصول هم: ملكية فردية وأداة أنتاج، والمرأة :الشئ، الازدواجية في مفهوم المرأة والحب والزواج، والمرأة: كبش فداء وصورة مشرفة للمرأة.. ثم خاتمة الدراسة.

٣ توفيق الحكيم (١٨٩٨-١٩٨٧) كاتب وأديب مصري، من رواد المسرحية العربية، ومن الأسماء البارزة في تاريخ الأدب العربي الحديث.

٤ عبد الحميد بن هدوقة (١٩٢٥-١٩٩٦) أديب جزائري. له مؤلفات شعرية ومسرحية وروائية عديدة ترجمت لعدة لغات. أكسبته نشأته في الأوساط الريفية معرفة واسعة بنفسية الفلاحين وحياتهم. ما جسده في عدة روايات تناولتها الإذاعات العربية. من مؤلفاته: لجزائر بين الأمس واليوم، وظلال جزائرية، والأشعة السبعة.

٥ عبد الله الطوخي (١٩٢٦-٢٠٠١) كاتب وأديب مصري، حصل على جائزة الدولة التقديرية في القصة، كما حصل علي جائزة أفضل كتاب في معرض القاهرة الدولي للكتاب. من أشهر أعماله القصصية: رباعية النهر وعينان علي الطريق وقصة عصر، كما قدم للمسرح طيور الحب بالإضافة إلي الأعمال السينمائية والتليفزيونية. تزوج من الكاتبة فتحية العسال رئيسة جمعية الكاتبات المصريات وهو والد الممثلة صفاء الطوخي.

تامر[١]، و"الأبنوسة البيضاء" لحنا مينا[٢]، و"البنات والصيف" لإحسان عبد القدوس[٣]، و"موسم الهجرة إلي الشمال" للطيب صالح[٤].

وقد استعملت لطيفة الزيات أجيالا من الكتاب ربما كانت تحتل مكان الصدارة في القصص التي تنحو منحى الواقعية التقليدية، واعتمدت في دراسة صورة المرأة في القصص العربية منهج التحليل للنص الروائي والقصصي، وتوصلت إلى المعنى العام للنص عن طريق تحليله إلى جزيئات، وإظهار العلاقات التي تندرج بمقتضاها هذه الجزيئات في كلية فنية مستقلة ذات معنى عام. والناقدة لم تتوقف في هذه الدراسة عند معنى النص، ولا حتى عند المنطلق الفلسفي الذي ينبع منه ولا عند جمالياته، ولم تقتصر على المنهج التحليلي إذا أملت الدراسة عليها ضرورة تعدد المناهج النقدية. فتقول مثلا : "إن وجهة نظر حنا مينا للمرأة سليمة في مجموعها وإن لم تخل من هَنات"[٥].

تصل لطيفة الزيات إلى المنهج التحليلي التطبيقي، فإنها تقيم دراسة نقدية على روايات نجيب محفوظ تحت عنوان:

"المرأة في روايات نجيب محفوظ (١٩٤٥ – ١٩٧٣)"، و"المنظور المثالي للشخصية الروائية والمرأة

---

١ زكريا تامر (١٩٣١ –) أديب سوري وصحفي وكاتب قصص قصيرة، ترجمت كتبه القصصية إلى الإنكليزية والفرنسية والإسبانية والإيطالية والبلغارية والروسية والألمانية. من الأعمال الأدبية: صهيل الجواد الأبيض، ودمشق الحرائق، وهجاء القتيل لقاتله.

٢ حنا مينه (١٩٢٤–) روائي سوري، ساهم في تأسيس رابطة الكتاب السوريين واتحاد الكتاب العرب. يعد حنا مينه أحد كبار كتاب الرواية العربية، وتتميز رواياته بالواقعية. معظم رواياته تدور حول البحر وأهله، دلالة على تأثره بحياة البحارة أثناء حياته في اللاذقية. منها: المصابيح الزرق، والشراع والعاصفة، والأبنوسة البيضاء.

٣ إحسان عبد القدوس (١٩١٩–١٩٩٠) كان صحفيا وروائيا مصريا. ويعتبر إحسان من أوائل الروائيين العرب الذين تناولوا في قصصهم الحب البعيد عن العذرية، وتحولت أغلب قصصه إلى أفلام سينمائية. ويمثل أدب إحسان عبد القدوس نقلة نوعية متميزة في الرواية العربية، إذ نجح في الخروج من المحلية إلى حيز العالمية وترجمت معظم رواياته إلى لغات اجنبية متعددة.

٤ الطيب صالح (١٩٢٩–٢٠٠٩) أديب سوداني، وأحد أشهر الأدباء العرب. أطلق عليه النقاد لقب "عبقري الرواية العربية". ومن أشهر رواياته: موسم الهجرة إلى الشمال، عرس الزين، بندر شاه.

٥ لطيفة الزيات، من صور المرأة في القصص والروايات العربية، دار الثقافة الجديدة، ص٣١.

في روايات نجيب محفوظ (١٩٣٩ – ١٩٦٧)". وتبدو لطيفة الزيات في هذه الدراسات التطبيقية جريئة وبخاصة في نقدها لشخصيات نجيب محفوظ في رواياته حيث تقول: "وفي العالم الروائي لنجيب محفوظ ينطبق المنظور المثالي في الأعم على الشخصيات الروائية من الرجال دون الشخصيات الروائية من النساء، ويعني هذا سواء وعي الكاتب الحقيقة أو لم يعها، إدراج الرجل في دائرة الإنسان الذي هو امتداد للذات العليا وإخراج المرأة عن هذه الإنسانية في مفهوم الكاتب، والرجل إنسان من خلال هذا المنظور المثالي لماهية الإنسان والمرأة ليست كذلك"([١]).

٢. د/ سيزا قاسم

سيزا قاسم باحثة حداثية من مصر. وهي من الناقدات المصريات اللاتي يستعملن المناهج النقدية الحداثية مثل البنيوية في تحليل العمل الإبداعي. أصدرت كتابها النقدي "بناء الرواية: دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ"([٢]) عام ١٩٨٤. ولكي توفر الباحثة لبحثها العمق العلمي المطلوب، فقد اختارت عملا روائيا واحدا هو "ثلاثية" نجيب محفوظ، تلمست فيها كيفية استخدام الأساليب والتقنيات السردية، لأنها تعتبر من أفضل الأعمال الروائية التي كُتبت في الأدب العربي الحديث، وأكملها بناء([٣]). وقد استخدمت سيزا قاسم أدواتها النقدية البنيوية في

---

١ لطيفة الزيات، ص١٦٣-١٦٤.

٢ وهو طبعة مزيدة ومنقحة لرسالتها الجامعية (الواقعية الفرنسية والرواية العربية في مصر من عام ١٩٤٥ حتى ١٩٦٠) التي تقدمت بها عام ١٩٧٨ للحصول على درجة الدكتوراه من كلية آداب جامعة القاهرة.

٣ وعلى الرغم من كثرة مثل هذه الروايات المتتابعة الأجزاء في الآداب الغربية، حيث سُمّيت بالروايات (الأنهار)، وروايات (الأجيال)، كما هي عند رومان رولان في روايته (كريستوف) (١٩٠٤-١٩١٢) في خمسة مجلدات، ومارسيل بروست في روايته (البحث عن الزمن المفقود) (١٩١٣-١٩٢٧) في اثني عشر مجلداً، وجول رومان في روايته Les homes de Bonne Volonte (١٩٣٢-١٩٤٧) في سبعة وعشرين مجلداً، وجورج ديهاميل في روايته (La chronique des pasquier (١٩٣٣-١٩٤٤) في عشرة مجلدات. وهذه الروايات المتتابعة الأجزاء قليلة الكم في الأدب العربي. وقد التفت بعض الأدباء العرب إلى هذه الظاهرة فكتبوا فيها كما فعل صدقي إسماعيل في ثلاثيته (العصاة)، ونبيل سليمان في رباعيته (مدارات الشرق)، وعبد الرحمن منيف في خماسيته (مدن الملح)، وعبد الكريم ناصيف في ثلاثيته (الطريق إلى الشمس)، ومحمد ديب في ثلاثيته (الجزائر).

تحليل العمل الروائي إلى عناصره الأولية وطبيعة العلاقات التي تقوم بين هذه العناصر(١). ولم تعن بإطلاق الأحكام التقييمية، لأن بحثها دراسة وصفية للبنية. وقد جعلت الباحثة كتابها في ثلاثة فصول: بناء الزمان، وبناء المكان، والمنظور. ومهّدت لكل فصل بمقدمة نظرية أعقبتها بتطبيقات عملية من الثلاثية مقارنة بغيرها من الروايات الواقعية الغربية.

في "بناء الرواية"، أعلنت الباحثة عن اختيارها للمنهج البنيوي في التحليل السردي قائلة: "وإذا كنا قد اخترنا المنهج البنائي مدخلا لبحثنا هذا فإننا لا نزعم أننا ننكر أهمية الزوايا الأخرى التي يمكن أن تُدرس من خلالها الأعمال الأدبية، ولا ننكر أيضا حتمية النظر إلى الأدب على أنه كائن حي متطور" (ص ١٥). وقد حاولت الباحثة أن تدرس الثلاثية، وهي تقول: "دراسة موضوعية بعيدة عن الأفكار المسبقة، لنحاول التعرف على نسيجها وأبعادها الفنية وملامحها المميزة، مستقرئين التقنيات المختلفة التي لجأ إليها محفوظ لصياغة عمله الضخم. ومع العناية التي حظيت بها أعمال نجيب محفوظ من نقاد الأدب العربي الحديث ومؤرخيه إلا أنها لم تُدرس من ناحية تحليل بنيتها أو مقارنة تقنياتها بتقنيات الرواية الغربية. لذا حاولنا في هذا البحث أن نخط هيكلا عاما يمكن تكراره في دراسة أعمال روائية أخرى" (ص ٢٨).

وفي دراسة سيزا قاسم النقدية الأخرى، وعنوانها "قراءة في اختناقات العشق والصباح" لإدوار الخراط، وقفت الباحثة على جملة عناوين في هذا الكتاب هي: ("نقطة دم، وقبل السقوط، وأقدام العصافير على الرمل، وعلى الحافة، ومحطة السكة الحديد") حيث عالجت فيها موضوعات التناص والعمل المفتوح والبعد المعرفي وغيرها. تقول سيزا قاسم: "لقد استمتعنا حقا بقراءة هذا الكتاب الذي ينطوي على عنف عارم وحب حميم، ولا حاجة بنا لأن نؤكد أن العشق

---

١ إن المحاولات الجادة في دراسة (الشكل الروائي) التي بدأت في مطلع القرن العشرين تحت تأثير مدرسة (الشكليين الروس)، ومدرسة (النقد الجديد) في أمريكا، قد أثمرت (المنهج البنيوي) الفرنسي بعد منتصف القرن العشرين، وأسهمت في تطوير الشكل الروائي لدى كتّاب الرواية: جيمس جويس، ومارسيل بروست، ورتشاردسون (في رواية تيار الوعي)، وميشيل بوتور، وآلان روب غرييه، وناتالي ساروت في (الرواية الجديدة أو الرواية الشيئية) وغيرهم.

والصباح يختنقان في واقعنا هذا، وإن الكاتب يثور على هذا الاختناق، ويحاول الإفلات منه أو مناهضته، ولكن الرسالة التي يبثها هذا الكتاب أخطر من أن تنحصر في "النقد الاجتماعي" إنها مناشدة إلى الخلق والإبداع وما أحوجنا إليهما والإنسان لا يعيش بالنقد وحده، اجتماعيا كان أو سياسيا أو غيرهما، ولكنه يعيش بالإبداع والمشاركة"([١]).

٣. د/ رضوى عاشور (و. ١٩٤٦)

رضوى عاشور كاتبة وأستاذة جامعية مصرية، تشغل رضوى عاشور حاليا وظيفة أستاذ بكلية الآداب جامعة عين شمس، وهي الرئيس الأسبق لقسم اللغة الإنجليزية وآدابها. يتوزع إنتاجها بين الرواية والقصة القصيرة والنقد الأدبي والثقافي. اشتهرت رضوى عاشور بـ"ثلاثية غرناطة" (غرناطة، ومريمة، والرحيل). ترجمت بعض رواياتها وقصصها القصيرة إلى الإنجليزية والأسبانية والإيطالية والإندونيسية. شاركت رضوى عاشور في الحياة الثقافية العربية عبر كتبها ومقالاتها ومحاضراتها في مصر وفي مختلف العواصم العربية، وعبر انتمائها إلى لجنة الدفاع عن الثقافة القومية، واللجنة الوطنية لمقاومة الصهيونية في الجامعات المصرية([٢]).

من الدراسات النقدية لرضوى عاشور: "البحث عن نظرية للأدب: دراسة للكتابات النقدية الأفرو-أمريكية"([٣])، و"الطريق إلى الخيمة الأخرى: دراسة فى أعمال غسان كنفانى"، و"جبران وبليك"([٤])، و"التابع ينهض: الرواية فى غرب إفريقيا"، و" في النقد التطبيقي: صيادو الذاكرة"، و"تحرير بالاشتراك مع آخرين"، والإشراف على ترجمة الجزء التاسع من موسوعة كمبريدج في النقد الأدبي :القرن العشرون: المداخل التاريخية والفلسفية والنفسية، و"الحداثة الممكنة:

---

[١] سيزا قاسم، حول بويطيقيا العمل المفتوح، قراءة في اختناقات العشق والصباح لإدوار الخراط، مجلة فصول، مجلد٤، عدد٢، ١٩٨٤، ص٢٤١ .

[٢] موقع رضوى عاشور الرسمي في إنترنت: http://www.radwaashour.net/ar/

[٣] رسالة دكتوراه قدّمت لجامعة ماساشوستس بأمهرست في الولايات المتحدة، ١٩٧٥ - The Search for a Black Poetics: A Study of Afro-American Critical Writings

[٤] Gibran and Blake باللغة الإنجليزية، وهي رسالة ماجستير قدمت إلى جامعة القاهرة عام .(1972

الشدياق والساق على الساق: الرواية الأولى في الأدب العربي الحديث"، و"مقالات ودراسات متفرقة بالعربية والإنجليزية منشورة في دوريات عربية وأجنبية"، و"ترجمة "منتصف الليل وقصائد أخرى" لمريد البرغوثي من العربية إلى الإنجليزية"، و"الإنسان والبحر".

وفي دراستها "الإنسان والبحر"، عمدت رضوى عاشور إلى إجراء مقارنة بين نصين هما "الشيخ والبحر" لإرنست همنغواي([١]) و"الكلب الأبلق الراكض على حافة البحر" لأتيماتوف([٢]). وقد تعمدت الناقدة إجراء مقارنة بينهما لأن إطارهما واحد، هو إطار الرواية القصيرة المرتكزة إلى قصة رمزية، وأركان صورتها الأساسية هي البحر والصياد والرحلة([٣]).

٤. منى ميخائيل

منى ميخائيل أستاذة جامعية مصرية في قسم الحضارات العربية والإسلامية من الجامعة الأمريكية بالقاهرة. حصلت على دكتوراه الأدب العربي من جامعة ميتشيجن، الولايات المتحدة، عام ١٩٧٢. ومن اختصاصاتها: أدب عربي، وأدب المنفى العربي، والشرق العربي وشمال أفريقيا، ودراسات النوع الاجتماعي. ومن أعمالها النقدية: "المنظور والمسموع: قرن المرأة في الأدب والثقافة"([٤])، و"دراسات في القصة القصيرة"، و"دراسات في القصص القصيرة لإدريس ومحفوظ"([٥]). وفي دراستها النقدية: "الست هدى: تحليل للمضمون الفكري والاجتماعي" التي استطاعت من خلالها أن تكشف عن مزايا إبداع أحمد شوقي([٦]) في مسرحيته "الست هدى" حيث تقول: "لقد نجح شوقي في اتخاذ موقف واضح إزاء هذه القضية، وقدم شخصيات تتمتع

---

[١] إرنست ميلر همينغوي Ernest Miller Hemingway (١٨٩٩-١٩٦١) كاتب أمريكي، يعد من أهم الروائيين وكتاب القصة الأمريكيين. كتب الروايات والقصص القصيرة.

[٢] جنكيز أيتماتوف Chyngyz Aitmatov (١٩٢٨-٢٠٠٨) أديب قرغيزي (سوفيتي سابقا)، حاز على جائزتي لينين والدولة، له العديد من الروايات والقصص.

[٣] رضوى عاشور، الإنسان والبحر، مجلة فصول، مجلد٣، عدد٣، ١٩٨٣، ص١٢١-١٢٧ .

[4] Seen and Heard: A Century of Women in Literature and Culture. Boston: Interlink, 2004.

[5] Studies in the Short Fiction of Idris and Mahfouz. New York: NYU Press, 1992.

[٦] أحمد شوقي (١٨٦٨-١٩٣٢) شاعر مصري، يعد من أعظم شعراء العربية في جميع العصور، ولقب بـــ "أمير الشعراء."

بخصوصية إنسانية ونفسية متميزة، كما استطاع أن يفجر إمكانات جديدة للكوميديا وللخطاب الشعري على السواء، لقد اعتمد شوقي على الأوزان التقليدية للشعر الغنائي دون أن يعوقه ذلك عن الاستغلال البارع للمستويات اللغوية المتعددة"([1]).

٥. د/ نعمات أحمد فؤاد

نعمات أحمد فؤاد ناقدة وأستاذة جامعة([2]) مصرية، حصلت على الدكتوراه من جامعة القاهرة في الأدب وموضوعها "النيل في الأدب العربي" في ١٩٥٢. اقترن اسم الدكتورة نعمات أحمد فؤاد بقضايا أثارت خلالها العديد من المعارك دفاعا عن مصر وحضارتها وشعبها، من أهمها قضية الدفاع عن الآثار الإسلامية وقضية أبو الهول وقضية الآثار المصرية التي استولت عليها إسرائيل أثناء احتلالها سيناء. لها أكثر من ثلاثين كتابا مطبوعا في الأدب والنقد والسياسة والدين والفن. ومن دراساتها النقدية: "دراسة في أدب الرافعي"، و"أم كلثوم وعصر من الفن"، و"أدب المازني"، و"الأخطل الصغير"، و"ناجي الشاعر"، و"النيل في الأدب المصري"، و"قمم أدبية"، و"خصائص الشعر الحديث"، و"النيل في الأدب الفني"، والدكتورة فؤاد صاحبة المقالات الصحفية والبرامج الإذاعية والتليفزيونية في مصر والعالم العربي.

من أوائل أعمال نعمات أحمد فؤاد كانت رسالتها لنيل الماجستير وكانت عن أدب المازني والتي تحولت فيما بعد لكتاب طبع وبيع في الأسواق. ويعد هذا الكتاب أول رسالة علمية في الجامعات المصرية تتناول شخصية من الأدب الحديث، حيث كان الجميع يركن إلي البحث في الأدب العربي القديم أو الآداب الغربية والمقارنة.

---

[1] منى ميخائيل، الست هدى، مجلة فصول، مجلد٣، عدد١، ١٩٨٢، ص١٩٨.

[2] قامت بالتدريس بجامعات دول عديدة: إستانبول، وجامعة نيويورك، وجامعة جورج تاون بواشنطن، وجامعة طرابلس بليبيا، وجامعة الأزهر، وأكاديمية الفنون بالقاهرة. كانت أستاذة الدراسات العليا بجامعة حلوان في فلسفة الحضارة، وأستاذة بالمعهد الدولي للاقتصاد والبنوك الإسلامية التابع للاتحاد الدولي للبنوك الإسلامية.

من روائع نعمات أحمد فؤاد كتاب «الجمال والحرية والشخصية الإنسانية في أدب العقاد» تحدثت فيه عن شخصية هذا المبدع الذي تملأ الكتب طرقات وغرف منزله الذي يعيش فيه بمفرده بلا زوج تؤنس وحدته. وهو ما عبرت عنه بقولها: «وكأنه منذور للمعبد....فقد وهب نفسه للكتابة ووهبت نفسها له»، وتقول في موضع آخر: «مسكين الكاتب العملاق في توحده... نخلة سامقة وسط الحجر». وتقول عن أسلوبه: «هو خير من تتمثل عنده دقة اللفظ العربي ومطابقته للفكرة..الكلمة عنده قفاز محبوك».

٦. اعتدال عثمان (و. ١٩٤٢)

اعتدال عثمان أديبة وناقدة وشاعرة وكاتبة قصة مصرية. ومن أعمالها القصصية: يونس البحر، ومجموعة قصصية ١٩٧٨، وشم الشمس: مجموعة قصصية ١٩٩٢. وقد تركت الناقدة المصرية اعتدال عثمان بصمات واضحة في هذا الميدان من خلال مجموعة من الأعمال أهمها: "نحو قراءة نقدية إبداعية لأرض محمود درويش".

ب - نقد المرأة للمرأة

لم يشكل نقد المرأة للمرأة حيزا واسعا من مساحة الحركة النقدية النسائية، ولعل ذلك عائد إلى غير عامل، أهمها قلة النتاج الأدبي النسائي الذي يمكن أن يشكل مادة صالحة للنقد مقارنة مع أدب الرجال، ثم ميل المرأة إلى نقد الأعمال الخاصة بالأدباء ولا سيما المشهورين منهم. ويضاف إلى ذلك شعور المرأة الداخلي بأن الرجل أكثر مرونة وتقبلا للنقد من غيره، ومحاولتها تلافي كل ما يدعو إلى الحساسية واضطراب العلاقة الشخصية بينها وبين المرأة الأديبة. ومن أبرز الناقدات في هذه المجال:

١. مي زيادة (١٨٨٦-١٩٤١)

مي زيادة ناقدة وأديبة ومترجمة لبنانية-فلسطينية. كان اسمها الأصلي ماري إلياس زيادة، واختارت لنفسها اسم مَي فيما بعد. عاشت ميّ زياده معظم سني حياتها في مصر(١)، وعرفت بمنتداها الأدبي في مصر. ليس في مصر في الثلث الأول من القرن العشرين صوت أدبي أشجى من صوت مي زيادة(٢). وهي في كل ما كتبت تجسد طموح الأقلام المستنيرة إلى التجديد الأدبي إبداعا في الشكل التعبيري وفي المضمون الفكري، فضلا عن أنها تجسد طموح المرأة العربية إلى الحياة وطموح الأمة إلى الوصول في حركة العصر وبناء المجتمع. وفي القاهرة، خالطت ميّ الكتاب والصحفيين، وأخذ نجمها يتألق، كاتبة مقال اجتماعي وأدبي ونقدي، وباحثة وخطيبة. أسست ميّ ندوة أسبوعية عرفت باسم "ندوة الثلثاء" جمعت فيها، لعشرين عاما، أبرز كتاب العصر وشعرائه وزعمائه، وكان منهم: أحمد لطفي السيد، وليّ الدين يكن، مصطفى عبد الرزاق، عباس العقّاد، طه حسين، شبلي شميل، يعقوب صرّوف، أنطون الجميل، مصطفى صادق الرافعي، خليل مطران، إسماعيل صبري، وأحمد شوقي. كان نتاج ميّ الأدبي غزيرا، فأعطت خمسة عشر مؤلفا خلال ثلاثين سنة أي بمعدّل كتاب كل سنتين، عدا نشاطها وأسفارها ومناقشاتها وخطبها التي لو قدّر لها الجمع لما اتسعت لها مجلدات. انضمت ميّ إلى الحركة النسائية التي كانت ترأسها هدى شعراوي(٣)، وكتبت ميّ عن شهيرات النساء في عصرها وطالبت بإنصاف المرأة. إلى جانب ذلك ألحّت على المرأة أن تتحرر، على أن لا تخرج على حدود

---

١ ولدت ميّ في فلسطين، أتمت دروسها في لبنان، ثم هاجرت مع أسرتها إلى القاهرة عام ١٩٠٧. أرسلها أصحابها إلى لبنان، فأساءوا إليها وأدخلوها إلى مستشفى الأمراض العقلية لمدة تسعة أشهر. وهبّ المفكر اللبناني أمين الريحاني وشخصيات عربية كبيرة إلى إنقاذها، ورفع الحجْر عنها. وعادت ميّ إلى مصر، ثم سافرت إلى إيطاليا لتتابع محاضرات في جامعة بروجية عن آثار اللغة الإيطالية، ثم عادت إلى مصر لتتوفّى بالقاهرة في أكتوبر ١٩٤١.

٢ تريز منصور، إمرأة الثورة والنهضة الفكرية والأدبية والحزن الدفين، مجلة الجيش، العدد ٢٦١ – آذار، ٢٠٠٧.

٣ هدى شعراوي (١٨٧٨-١٩٤٧) من الناشطات المصريات في مجالي الاستقلال الوطني المصري والنشاط النسوي في نهايات القرن التاسع عشر وحتى منتصف القرن العشرين.

المعقول والمقبول، بل أن يكون تحررها على أساس العلم والتحفظ. وهي ترى أن موقف المرأة من الرجل وموقفه منها يجب أن يكونا منسجمين مع الطبيعة من غير تطرف ولا تفريط). ومن كتبها النقدية: "الصحائف" (١٩٢٤)، وفيه مقدمة تنطوي على نظرة قيّمة في النقد الأدبي، وهو قسمان: قسم لصحائف بعض الأشخاص، وقسم لرحلات السندباد البحري.

تقف مي زيادة في مقدمة الناقدات في مجال نقد المرأة للمرأة التي وضعت كتابين نقديين، هما: "وردة اليازجي" و"عائشة تيمور". وهذان الكتابان يمثلان المحاولات الأولى لميّ زيادة في عالم النقد. وجاء تركيز الناقدة فيهما منصبا على التعريف بحياة الأديبتين، وذكرت أبرز أغراضهما الشعرية والنثرية دون الوقوف عند المظاهر النقدية الأخرى.

وفي كتابها "وردة اليازجي"، تحاول ميّ زياده التعريف بحياة الشاعرة وردة اليازجي([١])، واستعراض أغراضها الشعرية والتمثيل عليها ببعض المقطوعات الشعرية دون أن تصدر أحكامها وتعليلاتها على أعمالها المختلفة. أما في كتابها "عائشة تيمور" فقد بدت ميّ زيادة أكثر نضجا وعمقا وقدرة على التحليل، إذ وقفت وقفة تفصيلية عند الجوانب التاريخية والاجتماعية والنفسية المحيطة بالأديبة عائشة التيمورية([٢])، وربطت بينها وبين طبيعة شعرها ونثرها، كل ذلك بموضوعية واضحة، وأحكام رصينة، حيث تقول: "جميع هذه العيوب في ديوان التيمورية حيث لا تنظيم ولا تنسيق حتى ولا تبويب على الأبجدية، ولا أثر للتاريخ في القصائد، إلا القصائد التاريخية في السطر الأخير منها ولئن جرت على عادة العرب في التعبير، أي الإفصاح عن عواطفها غالبا

---

[١] وردة بنت ناصيف اليازجي (١٨٣٨-١٩٢٤) شاعرة لبنانية. لوردة ديوان «حديقة الورد» ورسائل كثيرة متبادلة بينها وبين أدباء عصرها، ولها مقالات نشرتها مجلات عصرها، خاصة مجلة "الضياء". لها قصائد عديدة في رثاء الراحلين من أهلها، مما رشحها لتلقب بخنساء العصر. كانت وردة شاعرة مناسبات، و لم تغادر المألوف من أغراض الشعر السائدة الذي يتنوع موضوعيا بين والغزل والرثاء.

[٢] عائشة التيمورية (١٨٤٠-١٩٠٢) هي عائشة عصمت بنت إسماعيل باشا، شاعرة مصرية. لها ديوان بالعربية باسم (حلية الطراز) وآخر بالفارسية، ولديها رسالة في الأدب بعنوان "نتائج الأحوال في الأقوال والأفعال". ومن آثارها الأدبية الأخرى «مرآة التأمل في الأمور» وكتاب يضم مجموعة من القصص باسم «نتائج الأحوال في الأقوال والأفعال».

باستعارات من سبقها، فالأمر الذي يسبيني في شعرها أن شخصيتها تبدو من خلال المحفوظات كما يبدو الجسد في لوحة تصويرية من خلال الأنسجة الشفافة وقد تفلتت من عيب "المفاخرة " بذويها وأهلها، ولا هي تبدأ بالتغزل لتنتهي بالإطناب، وليس للأطلال والمضارب ذكر في قصائدها، وأما من حيث الصدق فأظنها في مقدمة الصادقين من شعرائنا، ومعظم استسلامها للغلو في جزء خارج عنها وهو شعر المجاملة بينا هي في شعرها الذي يرسم نفسها ساذجة مخلصة تروي حديثها بأسلوب ليس هو بالهندسي الذي لا يقدر أنصار القديم سواه إنما هو كما يقول الفرنجة روائي يجري عليه بعض شعراء العصر"[١].

ثانيا: دراسة الظواهر العامة

ظهر هذا الاتجاه واضحا في النقد النسائي المعاصر، حيث اتجه عدد من الناقدات إلى دراسة بعض القضايا العامة دراسة تفصيلية يغلب عليها الجانب الفني القائم على الاتصال المباشر بالعمل الأدبي بالقواعد والأصول الفنية. في حين اتجه عدد آخر إلى اتخاذ التاريخ السياسي والاجتماعي وسيلة لتفسير الأعمال وتعليل ظواهرها وخواصها. هناك بعض من الناقدات المصريات اللواتي اهتممن بالجانب الفني في دراستها لبعض الظواهر العامة. ولا بد من الإشارة إلى عدد من الدراسات المميزة التي عالجت عددا من الظواهر العامة بأسلوب نقدي ناضج يرتكز على المعالجة الفنية الهادفة، ويراوح في طرحه بين طرافة الشكل والمضمون وأهمها: "الشعر والموت في زمن الاستلاب" لاعتدال عثمان، و"نحو تنظير سيميو طبيقي لترجمة الإبداع الشعري" و"لغة الضد الجميل في شعر الثمانينات - النموذج الفلسطيني" لفريال جبوري غزول(٢)،

---

١ مي زيادة، (١٩٨٣)، عائشة تيمور، ط٢، بيروت، مؤسسة نوفل، ص١٠٠ .

٢ د/ فريال جبوري غزول أستاذة الأدب الانكليزي والمقارن في الجامعة الأمريكية، القاهرة، ورئيسة تحرير "ألف" مجلة البلاغة النقدية.

و"قص الحداثة" و"المفارقة" لنبيلة إبراهيم، و"نقاط أولية حول الاغتراب القسري والرواية العربية" لفريدة النقاش([1]).

أما الدراسات التي تناولت الظواهر العامة بمنهج تاريخي يعمد إلى ربط الظواهر الأدبية بالتاريخ السياسي والاجتماعي فهي كثيرة، وتكاد تكون في معظمها دراسات أكاديمية جامعية تخلو من الحداثة النقدية القائمة على تجاوز البدهيات والغوص إلى جوهر الموضوع، وكثيرا ما كانت هذه الدراسات تعتمد على الاستقراء الناقص وإصدار الأحكام القاطعة واللجوء إلى التعميمات، وهي أحيانا تستفيد من المنهج الفني في تدعيم بعض الجوانب التاريخية.

١. جليلة رضا (١٩١٥- ٢٠٠١)

جليلة رضا أديبة وناقدة مصرية. ومن دراساتها النقدية: "وقفة مع الشعر والشعراء" تقع في جزأين. وقد مالت فيها إلى الوقوف عند بعض المقطوعات الأدبية لعدد من الأدباء. ومن أبرز الأدباء الذين وقفت عليهم الناقدة في هذه الدراسة: محمد عبد المنعم خفاجي، وأحمد هيكل، وعوض الوكيل، ويوسف عز الدين، وفتحي سعيد، ومختار الوكيل، وطاهر زمخشري، وعبده بدوي، وفؤاد الخطيب، وعبد العزيز شرف وغيرهم. وكانت تعرضها وتشرحها بطريقة أولية سطحية، ثم تنطلق لتعطي حكما عليها كثيرا ما كان يتكئ على المجاملة والمبالغة وإظهار العاطفة كأن تقول : "إن الخفاجي([2]) أديب كبير قبل أن يكون شاعرا، وقد استنزف أيامه في مزاولة الأدب

---

[1] فريدة النقاش (١٩٤٠-) كاتبة صحفية وناقدة ومترجمة ومعارضة يسارية مصرية، وأول امرأة تصبح رئيسة تحرير لجريدة الأهالي التي تصدر عن حزب التجمع الوطني التقدمي الوحدوي المعارض في مصر. وكانت رئيسة تحرير مجلة أدب ونقد. فهي عضو في عدة جمعيات ومؤسسات مدنية ونسوية وأهلية لحقوق المرأة.

[2] د/ محمد عبدالمنعم خفاجي (١٩١٥-٢٠٠٦) أديب وناقد وأستاذ مصري. له نحو خمسمائة كتاب مطبوع من بينها :قصة الأدب في الأندلس، وقصة الأدب في الحجاز، وقصة الأدب في المهجر، وقصة الأدب في مصر.

في أسلوبه النثري مما اكسبه اتقانا وبراعة وأصالة، فلما زاول الشعر وتمرس جاء ديوانه "أشواق الحياة" وفيه من شفافية الروح ما جعل قارئه يكاد يرى صاحبه من خلال السطور "[١].

٢. د/ نبيلة إبراهيم

د/ نبيلة إبراهيم ناقدة مصرية وأستاذة الأدب الشعبي بكلية الآداب بجامعة القاهرة. يعد كتابها "الدراسات الشعبية.. بين النظرية والتطبيق" واحدا من أهم الدراسات الأدبية التي تناولت قضايا الأدب الشعبي، فهو يقدم خلاصة ما يجري في بلدان العالم المتحضرة من اهتمام بالدراسات الشعبية. والكتاب في بابه الأول - عبر أربعة فصول - يشتمل على عرض مفصل للدراسات الشعبية في كل من فرنسا وإنجلترا وأيرلندا ورومانيا وفنلندا وألمانيا، رائدة دول أوروبا في الأبحاث التي تتناول التراث الشعبي، ثم الولايات المتحدة الأمريكية. وفي الباب الثاني، تقوم المؤلفة بعرض تاريخي لوجوه الاهتمام بالتراث الشعبي العربي منذ القديم حتى اليوم، عبر ثلاثة فصول، وهذا الباب يلقي هموما بالغة على الباحثين والمتخصصين العرب اليوم. أما الباب الأخير، فهو دراسة تطبيقية لأحدث المناهج التي تتبع اليوم في الدراسات الشعبية الأدبية، وظيفيا، واجتماعيا، وتاريخيا وجغرافيا، ونفسيا وأنثربولوجيا، وبنائيا. وفي ختام هذه الفصول السبعة، تطرح المؤلفة مشكلات العمل الميداني في الدراسات الشعبية، مؤكدة «التراث الشعبي يمثل ضمير الشعوب وذاكرة الأمم». وإذا كانت الدول الصناعية المتحضرة ليست بمنأى عن الاهتمام بدراسة تراثها الشعبي القومي، في غمار اهتمامها بمنجزات العصر الحديث فإن هذا الكتاب صرخة من رائدة من رواد الدراسات الشعبية لكل المهتمين بالدراسات الشعبية العربية، أن يواصلوا سعيهم بين الحضارة العربية القومية والتراث العربي الشعبي توثيقا للصلة بين تراث العرب الحاضر وتراثهم الماضي.

---

[١] جليلة رضا، (١٩٨٩)، وقفة مع الشعر والشعراء، ج٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص١٣٤.

٣. د/ سهير القلماوي (١٩١١-١٩٩٧ م)

سهير القلماوي باحثة وكاتبة وناقدة أدبية مصرية كبيرة ورائدة من رائدات حقوق النساء فى مصر. كانت أول مصريه تأخذ شهادة الدكتوراه في الآداب عن (ألف ليلة وليلة) سنة ١٩٤١. حصلت سهير القلماوي على جائزة الدولة التقديرية لمصر في الآداب سنة ١٩٧٧. من أهم مؤلفاتها النقدية: "ألف ليلة وليلة" (١٩٤٣)، و"أدب الخوارج"، و"في النقد الأدبي"، و"المحاكاة في الأدب"، و"ذكرى طه حسين"، و"المرأة عند الطهطاوي"، و"أزمة الشعر".

إن كتاب "ألف ليلة وليلة" للقلماوي كان في الأصل رسالة دكتوراه. وانتهت الباحثة في دراستها الرائدة إلي القول بأن كتاب ألف ليلة وليلة اكتمل في مصر بعد أن تشبع بالحياة المصرية والشخصية المصرية ولغة الحياة الشعبية، ومن ثم أصبحت تفيض بالروح المصرية وثانيهما أن النص الشعبي عندما تكتمل صيغته الأدبية في زمان ومكان يخلد لقيمته التاريخية ويظل مؤثرا في هذا الزمان والمكان ويمتد أثره عبر العصور. وبحسب رأي القلماوي فان هناك أقاويل تشير إلي أن أصل الكتاب فارسي أو هندي. وبفضل قراءات سهير القلماوي المتعمقة في الأدب الشعبي، استطاعت الرد علي تلك الأقاويل مؤكدة أن حكايات ألف ليلة وليلة من صميم القصص الشعبي العربي، بالرغم من وجود بعض القصص الهندية والفارسية. وتقول سهير القلماوي إن ألف ليلة وليلة مرت بثلاث مراحل أولها كانت مرحلة الحكي فكانت الحكايات تلقي علي السنة العامة، وثانيها مرحلة التدوين أي أن يقوم المدونون بالاستفادة من تلك النصوص الشفاهية ويدونوها، أما المرحلة الثالثة فجاءت مع استقرار تلك الحكايات في مجاميع تتفق أو تختلف مع بعضها البعض. ولاحظت القلماوي خضوع قصص الليالي لعاملين هما عامل التدوين وعامل رقي الطبقة المستمعة إليه وهذا ما يميزها عن القصص الشعبي بالرغم من احتفاظها بكل مميزات هذا القصص الشعبي كالأسلوب والموضوع. أما الحياة الدينية في تلك الليالي فنجدها تقترب نوعا ما من موضوع الخوارق لكن تم الفصل بينهما حيث أن الموضوعات

الدينية تركز علي الأديان السماوية الثلاثة والدين المجوسي وتحكي العلاقات بين المسلمين والمسيحيين. وللمرأة في تلك الليالي صورتان صورة استمدها القاص من حياته داخل الطبقة الوسطي وصورة استمدها من خياله([1]).

٤. هويدا صالح (و. ١٩٦٧)

هويدا صالح روائية وناقدة مصرية، تعمل حاليا مديرا لتحرير مجلة المال والعقار المصرية وتكتب عمودا أسبوعيا فيها. كما أنها تدرس النقد الأكاديمي. تحمل درجة الماجستير في النقد الأدبي ولديها أطروحة دكتوراه بعنوان: " الهامش الاجتماعي في الرواية من منظور منهج سيسيو ثقافي". ومن مؤلفاتها النقدية: "طرائق السرد في الرواية الجديدة" (٢٠١٠)، و"صورة المثقف في الرواية المصرية الجديدة في الفترة من ١٩٩٠ إلى ٢٠٠٠"، ودراسة تحليلية في نماذج مختارة، و"صورة المرأة في السرديات العربية"، و"أسئلة القصة القصيرة"، و"بلاغة السرد في الرواية العربية"، و"قراءة ثقافية في الأدب المصري القديم"، و"كتاب قراءة ثقافية في أدب مصر الحديثة"، و"كتاب في النقد الثقافي".

ترى هويدا صالح أن الحداثة أفق للتفكير النظري وممارسة النقد، ومشروع الحداثة العربية في الأدب أمر ضروري من أجل إبراز خصوصية العرب وهويتهم. والحداثة يمكن اعتبارها حركة إبداع تساير الحياة في تغييرها الدائم ولا تكون وقفا على زمن دون آخر فحيثما يطرأ تغيير على الحياة التي نحياها فتتبدل نظرتنا إلى الأشياء. ورغم أن الحداثة العربية هي حداثة غربية في كل جوانبها إلا أنها دخلت لمجال التفكير العربي دون غرابة لأنها اتخذت صورة العصرية والاتجاه التجديدي في الأدب وارتباط مفهوم الحداثة في أذهان بعض المثقفين بحركة ما يسمي بالشعر الحر أو شعر التفعيلة. إذن تجربة الحداثة في الأدب العربي ارتبطت بحركة التجديد في الأدب،

---

[1] موقع الأهرام المسائي، في ٢٠١٠/٠٨/١٨

ومن أهم دعاتها وروادها في الأدب العربي يوسف الخال[١] وأدونيس[٢] الذي نادي في كتابه "الثابت والمتحول" بهدم البني التقليدية السائدة في الفكر العربي.

٥. مها مراد (و. ١٩٧٨)

الدكتورة مها مراد سليمان أحد الأصوات النسائية الشابة المصرية في عالم النقد الأدبي التي تتمتع بالخلفية العلمية والثقافية الشرعية الرصينة، والتي تؤهلها للإلمام الواسع بالميراث الثقافي والاجتماعي للأمة الإسلامية . حصلت مها على الدكتوراه من كلية دار العلوم بجامعة القاهرة في البلاغة والنقد الأدبي عام ٢٠٠٧م في موضوع "الأسس الجمالية لفن المعارضة الشعرية". وحصلت الماجستير عن موضوع "شعر أوس بن حجر دراسة في معيار الصنعة وتصنيفه في المصادر البلاغية قديما وحديثا" من قسم البلاغة والنقد الأدبي والأدب المقارن لكلية دار العلوم، جامعة القاهرة عام ٢٠٠٤ م. قدمت مها مراد العديد من الدرسات والبحوث، منها: "القصيدة القصيرة جدا في الإبداع السعودي بين التنظير والتطبيق"، و"الأدب السعودي بين الالتزام والإبداع الفني: شاعر العقيق محمد هاشم رشيد نموذجا".

٢٨. الأدب المقارن Comparative Literature

الأدب المقارن هو الفن المنهجي الذي يهتم بأنماط العلاقات في الآداب عبر كل زمان ومكان، والذي يبحث في علاقات التشابه والتقارب والتأثير وتقريب الأدب من مجالات التعبير والمعرفة الأخرى[٣]. الأدب المقارن هو دراسة الأدب خلف حدود بلد معين، ودراسة العلاقات بين الأدب من جهة ومناطق أخرى من المعرفة والاعتقاد من جهة أخرى، وذلك من مثل الفنون (كالرسم

---

١ يوسف الخال (١٩١٧-١٩٨٧) شاعر وصحفي لبناني.

٢ علي أحمد سعيد إسبر المعروف باسمه المستعار أدونيس (و. ١٩٣٠) شاعر سوري.

٣ رينيه ويليك، مفاهيم نقدية، مجلة عالم المعرفة، عدد ١١٠، ١٩٩٠، الكويت، ص:٢٤٩

والنحت والعمارة والموسيقى) والفلسفة، والتاريخ، والعلوم الاجتماعية (كالسياسة والاقتصاد والاجتماع)، والعلوم والديانة، وغير ذلك. وباختصار هو مقارنة أدب معين مع أدب آخر أو آداب أخرى، ومقارنة الأدب بمناطق أخرى من التعبير الإنساني. ويعرف ميدان الأدب المقارن ثلاث مدارس أساسية. الأولى هي المدرسة الفرنسية، أقدم المدارس المقارنة إطلاقا، وهي مدرسة اشتهرت بحصر ميدان الأدب المقارن في ظواهر التأثير والتأثر بين الآداب القومية، والمدرسة الأمريكية المعروفة بأنها قد أخرجت الأدب المقارن من قمقم التأثير والتأثر وجعلته في خدمة النقد الأدبي والاقتراب من "أدبية الأدب"([1])، والمدرسة السلافية أو الماركسية التي تنطلق من النظرة المادية الجدلية للمجتمع والثقافة والأدب وتربط الأدب بالقاعدة المادية وبمجالات الوعي الاجتماعي الأخرى. إن المفهوم الأصلي للأدب المقارن هو مفهوم المدرسة الفرنسية التقليدية، إذ حدد مؤسسها الفعلي بول فان تييغم Paul Van Tieghem الأدب المقارن «بأنه دراسة آثار الآداب المختلفة من ناحية علاقاتها بعضها ببعض، كما أكد جان ماري كاريه Jean-Marie Carré أن الأدب المقارن يعتمد على مفهوم التأثر والتأثير من خلال الصلات بين الآداب أو الأدباء من بلدان مختلفة.

ترجع نشأة الأدب المقارن إلى العقد الثالث من القرن التاسع عشر، وربما إلى سنة ١٨٢٧ حين بدأ الفرنسي أبل فييمان Abel Villemain يلقي محاضرات في جامعة السوربون بباريس حول علاقات الأدب الفرنسي بالآداب الأوربية الأخرى. والجدير بالذكر أنه استعمل فيها مصطلح «الأدب المقارن» وإليه يعود الفضل في وضع الأسس الأولى لمنطقه ومنطقته، في وقت بدأ يشهد تصاعد اهتمام العلوم الإنسانية في أوربة بالبعد المقارني في المعرفة, إذ نشأ «القانون المقارن» و«فقه اللغة المقارن» و«علم الاجتماع المقارن» وغيرها. وتعد فرنسة المهد الأول للأدب المقارن، إذ استمرت تطوراته بعد فييمان، وكان لذلك عوامل لغوية وسياسية واجتماعية وثقافية

[1] باجو، هنري، ودانييل، (١٩٩٧)، الأدب العام والمقارن، ترجمة غسان السيد، دمشق: اتحاد كتاب العرب، ص: ١٧

متداخلة أدّت إلى أن يكون الفرنسيون أول من تنبّه إلى قيمة التراث المشترك بينهم وبين المناطق الأوربية الأخرى([1])، مما خلق الأساس الأول للتفكير المقارني. ولم يدخل الأدب المقارن نطاق الدراسة المنظمة إلا بعد سنة ١٨٨٧ بفضل ماكس كوخ Max Koch الذي أصدر مجلة «الأدب المقارن». ولكن دخول الأدب المقارن إلى مناهج الجامعة لقي معارضة شديدة وتأخر حتى مطلع القرن العشرين. وإذا كانت نهاية القرن التاسع عشر قد شهدت تطور الأبحاث التطبيقية في الأدب المقارن وبدء الاعتراف به في الجامعات فإن بداية القرن العشرين شهدت تأسيس الوعي النظري لمنهج الأدب المقارن. وقد تابعت فرنسة تطورها السباق فنشأت فيها كراسٍ جديدة للأدب المقارن في الجامعات. ومنذ سنة ١٩١١ أخذ فان تيغم Tieghem ينشر مقالات نظرية في المنهج المقارني. وفي عام ١٩٣١ أصدر فان تييغم أول كتاب نظري عرفه العالم بعنوان «الأدب المقارن», وظل هذا الكتاب مرجعا أساسيا في بابه حتى اليوم، وترجم إلى عدد كبير من اللغات، ومنها اللغة العربية في منتصف القرن العشرين. وقد تعثر الأدب المقارن في الدول الأوربية الأخرى والولايات المتحدة، ومنذ الخمسينات بدأت تتوالى الكتب الجامعية في الأدب المقارن. ومن أبرز التطورات في تاريخ الأدب المقارن تأسيس الرابطة الدولية للأدب المقارن عام ١٩٥٥. وتعقد هذه الرابطة مؤتمراتها العامة كل ثلاث سنوات ولها نشاطات متنوعة.

الأدب المقارن في العالم العربي

البدايات :

كان لدى العرب في الماضي اعتداد خاص باللغة والشعر وإشاحة نسبية عن آداب الأمم الأخرى، مما أدّى إلى أن يكون نشاطهم في حقل التبادل الأدبي أقل من نشاطهم في الحقول المعرفية

[1] إبراهيم، عبد الحميد، (١٩٩٧)، الأدب المقارن من منظور الأدب العربي: مقدمة وتطبيق، القاهرة: دار الشروق، ص: ١٦

الأخرى كالعلوم والفلسفة على أن غير العرب تأثروا تأثرا واضحا بالأدب العربي فدرسوه وألّفوا على غراره. ومن الملاحظ أن معظم الأدباء البارزين في عصر النهضة الحديثة كانوا أكثر انفتاحا في مجال التفاعلات الأدبية، ووضعوا أساسا لنهضة الأدب المقارن في العصر الحديث. وكان لرواد النهضة الأدبية في الشام أثر كبير في الاستنارة الأدبية، وهكذا لمعت، إلى جانب بناة النهضة من أبناء الكنانة مثل رفاعة الطهطاوي(١)، أسماء شامية مبكرة في مجال المقارنة مثل أديب إسحاق(٢) وأحمد فارس الشدياق(٣) ونجيب الحداد(٤). وتميز من بينهم علمان بارزان، هما سليمان البستاني(٥) وروحي الخالدي(٦)، وضعا حجر الأساس للبحث التطبيقي في الأدب المقارن على الرغم من أنهما لم يشيرا إلى المصطلح بكلمة واحدة.

ولعل أول من وضع اللبنة الأولى في هذا الحقل المعرفي هو رفاعة الطهطاوي الذي سافر مع البعثات الطلابية إلى فرنسا كواعظ ديني وألف، بعدما أطلع على بعض مظاهر الحضارة الغربية، كتابه «تخليص الإبريز في تلخيص أخبار باريز» (٧) الذي كان مقارنة شكلية وسطحية بين الثقافتين الشرقية والغربية. وتتلخص جهود سليمان البستاني في هذا الحقل بتعريب «الإلياذة»(٨) *Iliad* الذي استغرق منه ثماني سنوات (١٨٨٧-١٨٩٥) وبمقدمتها المقارنية التي

---

١ رفاعة رافع الطهطاوي (١٨٠١-١٨٧٣) من قادة النهضة العلمية في مصر في عهد محمد علي باشا.

٢ أديب إسحاق (١٨٥٦-١٨٨٥) أديب وصحفي وشاعر سوري

٣ أحمد فارس الشدياق (١٨٠٤-١٨٨٧) صحفي وأديب لبناني

٤ نجيب سليمان الحداد (١٨٦٧-١٨٩٩) صحفي وأديب وشاعر لبناني

٥ سليمان خطار البستاني (١٨٥٦-١٩٢٥) أديب لبناني

٦ روحي ياسين الخالدي (١٨٦٤-١٩١٣) باحث أدبي وسياسي عربي فلسطيني

٧ يعتبر كتاب تخليص الإبريز في تلخيص باريز لرفاعة الطهطاوي من أهم الكتب التي عبّرت عن الخيط الرفع بين التأثر بالغرب وبين التمسك بالأصول.

٨ الإلياذة Iliad هي ملحمة شعرية تحكي قصة حرب طروادة وتعتبر مع الأوديسا أهم ملحمة شعرية إغريقية للشاعر الأعمى هوميروس المشكوك في وجوده أو أنه شخص واحد الذي كتب الملحمة وتاريخ الملحمة يعود إلى القرن التاسع أو الثامن قبل الميلاد. وهي عبارة عن نص شعري. ويقال إنه كتبها مع ملحمته الأوديسا . وقد جمعت أشعارها عام ٧٠٠ ق.م. بعدة مائة عام من وفاته. وتروي قصة حصار مدينة طروادة.

استغرقت منه ثماني سنوات أخرى، وقد أنجز شروح الإلياذة ومقدماتها في ٢٠٠ صفحة أواخر سنة ١٩٠٣. وأجرى البستاني مقارنات جريئة بين الملحمة اليونانية والشعر القصصي العربي وأكد وجود ملاحم عربية قصيرة تختلف عن الملاحم الإفرنجية الطويلة[١]، وأشار بعد ذلك إلى التشابه بين عبقرية ابن الرومي[٢] وعبقرية هوميروس Homer [٣]. وكذلك كتب البستاني مقالا حوى شيئا من تاريخ الشعر عند العرب والإفرنج. وهكذا يكون البستاني صاحب سبق لا ينكر في مجال الدراسة المقارنة، وإن كانت مقارناته تدل على أن ثقافته الأصلية كانت عربية تقليدية وأن ما قرأه من أفكار أدبية غربية ليس أكثر من نوافذ صغيرة للمقارنة . يقال إن أحمد حسن الزيات[٤] صاحب مجلة الرسالة[٥] هو واضع مصطلح «الأدب المقارن» فى عناوين المقالات المنشورة في مجلته[٦].

روحي الخالدي

إن الكتاب العربي الأول المكرس للأدب المقارن التطبيقي[٧] هو كتاب «تاريخ علم الأدب عند الإفرنج والعرب وفكتور هوغو» للكاتب المقدسي روحي بن ياسين الخالدي (١٨٦٤-١٩١٣)[١].

---

١ اليقاعي، شقيق، (١٩٨٥)، الأنواع الأدبية: مذاهب ومدارس (في الأدب المقارن)، بيروت: مؤسسة الدين، ص: ٢٨١-٢٨٤

٢ ابن الرومي شاعر كبير من العصر العباسي، من طبقة بشار والمتنبي، شهدت حياته الكثير من المآسي والتي تركت آثارها على قصائده، تنوعت أشعاره بين المدح والهجاء والفخر والرثاء، وكان من الشعراء المتميزين في عصره، وله ديوان شعر مطبوع.

٣ هوميروس Homer (القرن التاسع قبل الميلاد) شاعر يوناني، صاحب ملحمتَي "الإلياذة" و"الأوديسة".

٤ أحمد حسن الزيات (١٨٨٥-١٩٦٨) من كبار رجال النهضة الثقافية في مصر والعالم العربي، ومؤسس مجلة الرسالة. حاز على جائزة الدولة التقديرية في الآداب عام ١٩٦٢ م في مصر.

٥ مجلة الرسالة هي المجلة الثقافية التي ترأس تحريرها الأديب المصري أحمد حسن الزيات، وكتب فيها معظم المقالات عن رموز الأدب العربي آنذاك.

٦ الخطيب، حسام، (١٩٩٩)، آفاق الأدب المقارن عربيا وعالميا، ط ٢، بيروت: دار الفكر المعاصر، ص: ١٥٣-١٥٨

7 Ghazoul, Ferial J., Comparative Literature in the Arab World, Comparative Critical Studies 3, 1-2, 2006, P 113

وقد نشر الكتاب مقالات متسلسلة في مجلة «الهلال»([٢]) بين سنتي ١٩٠٢.١٩٠٣، ثم طبعته دار الهلال سنة ١٩٠٤ وطبع ثانية سنة ١٩١٢، وأعيد طبعه سنة ١٩٨٥. وهذا الكتاب مؤلف نوعي في الأدب المقارن التطبيقي لا تنقصه سوى التسمية المقارنية. وهو يشتمل على مقدمات تاريخية واجتماعية في علم الأدب عند الإفرنج وما يقابله من ذلك عند العرب إبان تمدنهم إلى عصورهم الوسطى، وما اقتبسه الإفرنج عنهم من الأدب والشعر في نهضتهم الأخيرة وخصوصا على يد فكتور هوكو([٣]) Victor Hugo. وكتب الخالدي مقدمة للكتاب بالفرنسية تنبئ عن حسه المقارني. وأورد في كتابه مقارنات ومقابلات ودراسات للتبادلات الأدبية بين العرب والفرنجة، وترجمات وتعليقات، تدل كلها على أنه كان شديد الالتصاق بالمنهج المقارني .

وعند انتهاء القرن التاسع عشر كان الإقبال على الدراسات المقارنة كبيرا ويظهر ذلك جليا عند عدد من المؤلفين السوريين أمثال نجيب الحداد الذي حاول المقارنة بين الشعر العربي والفرنسي وانتصر للشعر العربي، والملاحظ أن هذه الدراسة كانت ضعيفة جدا. كما كانت مجلة «المقتطف([٤])» حينذاك اللسان الناطق باسم الوعي الفكري المتفتح، وقد نشرت مقالا بعنوان «بلاغة العرب والإفرنج» لأحمد كامل الذي رجح بلاغة العرب وتحامل على البلاغة الفرنسية وقد انتقد من قبل خليل ثابت ونيكولا فياض([٥]) اللذان نعتاه بالجاهل للثقافة والبلاغة الغربية. وعند منعطف القرن التاسع عشر ساد مناخ عام للمقارنة، أسهم فيه الشاعر أحمد

---

١ روحي ياسين الخالدي باحث أدبي وسياسي عربي فلسطيني، ولد في القدس وتوفي بالأستانه من رواد النهضة الحديثة

٢ ومن أشهر مجلات، أصدرها جرجي زيدان في سنة ١٨٩٢ م. وهي أوسع المجلات العربية انتشارا في أقطار الأرض. كان أكثر أبحاثها في التاريخ والموضوعيات الاجتماعية.

٣ فيكتور هوجو (١٨٠٢-١٨٨٥) هو أديب وشاعر ورسام فرنسي، من أبرز أدباء فرنسا في الحقبة الرومانسية.

٤ مجلة المقتطف هي مجلة شامية-مصرية أنشأت في الشام عام ١٨٧٦ من قبل يعقوب صروف . وفارس نمر ثم انتقلت إلى القاهرة.

٥ د/ نقولا فياض طبيب وشاعر وخطيب ومترجم لبناني

شوقي([١])، وكتاب مثل خليل ثابت، وأسعد داغر([٢])، ونقولا فياض، ويعقوب صروف([٣]). وبعد روحي الخالدي، كان الاهتمام بالدراسات المقارنة يزداد، ففي سنة ١٩١٢، يكتب الشاعر العربي خليل مطران([٤]) في مقدمته لمسرحية «عطيل» لشكسبير([٥]) التي ترجمها إلى اللغة العربية، عن اقتراب شكسبير من الذوق العربي([٦]).

وفي مطلع العشرينات بدأت كلمة «مقارن» تظهر بوضوح أكثر في مجال الدراسات الأدبية العربية وتحتل مكانا في بعض المعاهد العليا، كمدرسة دار العلوم بالقاهرة([٧]) التي استخدمت منهج المقارنة في مجال الدراسات اللغوية. وفي مطلع الثلاثينات ساهمت مجلة «الرسالة» بنشر بعض الدراسات الخاصة بالأدب المقارن والآداب الأجنبية بشكل عام، بالإضافة إلى مجلة «المقتطف» التي نشرت بدورها عدة مقالات من هذا النوع لا سيما في سنة ١٩٣٣. كانت مرحلة الثلاثينات هي حجر الأساس في ظهور البحث التطبيقي في الدراسات المقارنة العربية. توالى بعد الخالدي الاهتمام بالدراسات التطبيقية ذات الطابع المقارني، ومن أقدمها سلسلة مقالات نشرها فخري أبو السعود على صفحات «الرسالة» في الأعوام ١٩٣٥-١٩٣٧ وقابل فيها بين الأدب العربي والأدب الإنكليزي من دون اعتناء بناحية التأثر والتبادل([٨]). وفي عام ١٩٣٥، ظهر الجزء الثالث

---

[١] أشهر شعراء العصر الحديث، يلقب بـــ"أمير الشعراء". مولده ووفاته بمصر. عالج أكثر فنون الشعر: مديحا وغزلا ورثاء ووصفا ثم ارتفع محلقا فتناول الأحداث السياسية والإجتماعية.

[٢] أسعد داغر (١٨٨٦-١٩٥٨) كاتب وصحفي لبناني

[٣] د/ يعقوب صروف (١٨٥٢-١٩٢٧) صحافي، روائي، مترجم لبناني. أسس جريدة "المقتطف" مع فارس نمر، له "فتاة مصر"، و"أمير لبنان"، و"فتاة فيوم"

[٤] شاعر لبناني رومانطيقي (١٨٧٢-١٩٤٩) لقب بـــ"شاعر القطرين"، له اشتغال بالتاريخ والترجمة.

[٥] ويليام شكسبير (١٥٦٤-١٦١٦) كبير الشعراء الإنكليز، كان ممثلاً ومؤلفاً مسرحياً

[٦] حمود، ماجدة، (٢٠٠٠)، مقاربات تطبيقية في الأدب المقارن، دمشق: اتحاد كتاب العرب، ص: ٧٠-٧١

[٧] كلية دار العلوم كانت من قبل تسمى مدرسة دار العلوم ويرجع تاريخ إنشائها إلى عام ١٨٧٢، وقد تطورت دار العلوم إلى أن أصبحت أحدى المدارس العليا وظلت كذلك إلى أن ضمت لجامعة القاهرة عام ١٩٤٦، وأصبحت تسمى كلية دار العلوم محتفظة باسمها التاريخي العزيز.

[٨] أبو السعود، فخري، (١٩٩٧)، في الأدب المقارن ومقالات أخرى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص: ١٨

من كتاب الأديب الحلبي قسطاكي الحمصي([١]) المعنون «منهل الورّاد في علم الانتقاد» وتضمن بحثا مطولا عن «الموازنة بين الكوميدية الإلهية([٢]) ورسالة الغفران([٣])». وفي الثلاثينات أيضا نشر عبد الوهاب عزام([٤]) دراسات في مجلة «الرسالة» حول العلاقات بين الأدب العربي والأدب الفارسي.

ظهر مصطلح الأدب المقارن في مجلة «الرسالة» أول ما ظهر على يد الكاتب الشامي خليل هنداوي([٥]) في سلسلة مقالات تلقي ضوءا جديدا على ناحية من الأدب العربي هو اشتغال العرب بالأدب المقارن أو ما يسميه الفرنجة Littérature Comparée في كتاب «تلخيص كتاب أرسطو([٦]) في الشعر» لفيلسوف العرب ابن رشد([٧]). وقد ظهر هذا العنوان في «الرسالة» (الأعداد من ١٥٤-١٥٦ من المجلة) بتاريخ ١٩٣٦/٦/٨، وتكرر في أعداد ثلاثة تالية. وحملت المقالة الأولى مقدمة نظرية عن الأدب المقارن ومنهجه ومزاياه تُعد الأولى من نوعها في الأدب

---

١ قسطاكي الحمصي شاعر وفيلسوف وناقد لبناني

٢ الكوميديا الإلهية Divina Commedia هو عمل ألفه الإيطالي دانتي أليغييري في القرن الرابع عشر. تعد الكوميديا الإلهية من أهم وأبرز الملحمات الشعرية في الأدب الإيطالي، ويرى الكثيرون بأنها من أفضل الأعمال الأدبية في الأدب على المستوى العالمي. تحتوي الملحمة الشعرية على نظرة خيالية بالاستعانة بالعناصر المجازية حول الآخرة بحسب الديانة المسيحية، وتحتوي على فلسفة القرون الوسطى. وتؤكد عدة دراسات أن الكوميديا الإلهية هي النسخة الأوروبية المقلدة عن رسالة الغفران للشاعر العربي العباسي أبي العلاء المعري.

٣ رسالة الغفران عمل أدبي لأبي العلاء المعري، تعتبر من أجمل ما كتب المعري في النثر، وهي رسالة تصف الأحوال في النعيم والسعير والشخصيات هناك، وقيل إن دانت، مؤلف كتاب الكوميديا الإلهية أخذ عن أبي العلاء فكرة كتابه ومضمونه. وقد طبعت عدة مرات كانت من أهمها النسخة المحققة من قبل الدكتورة عائشة عبد الرحمن وقد صدرتها بدراسة وافية لرسالة الغفران مع تحقيق لرسالة ابن القارح التي تعتبر المفتاح لفهم الغفران.

٤ عبد الوهاب حسن عزام أحد أبرز المفكرين العرب في مصر في القرن العشرين، فقد كان أستاذا وأديبا وكاتبا ومفكرا وسياسيا

٥ خليل هنداوي (١٩٠٦-١٩٧٦) أديب وشاعر سوري

٦ أرسطو (٣٢٢ ق.م.) هو مفكر وفيلسوف إغريقي، تتلمذ لأفلاطون في الأكاديمية. من آثاره :الكتب المنطقية والتي تشمل؛ المقولات، وما بعد الطبيعة، والأخلاق إلى نيقوماخوس، والسياسة، ودستور.

٧ ابن رشد هو فيلسوف، وقاضي، وطبيب، وفقيه، وفلكي، وفيزيائي مشهور من الأندلس. يعد ابن رشد، المعروف باللاتينية Averroes، من أهم فلاسفة المسلمين، وأثرت أفكاره بشكل واضح على فلاسفة الغرب، منهم توماس أكويناس وأيرنست رينان.

العربي. وفي الأربعينات ظهر كتاب لإلياس أبو شبكة[١] بعنوان «روابط الفكر بين العرب والفرنجة» ظهرت الطبعة الثانية من الكتاب عن دار المكشوف في بيروت عام ١٩٤٥، وهو ذو موضوع مقارني واضح. وبالتدريج انتعش هذا النوع من الدراسات واغتنى وتعددت وجهاته . وفي سنة ١٩٤٦، ظهر كتاب لشفيق جبري[٢] بعنوان «بين البحر والصحراء»، لكنه كان بعيدا عن الدراسات المقارنة.

يميز الباحثون في تاريخ الأدب المقارن الأكاديمي العربي ثلاث مراحل، وهي: مرحلة التأسيس (١٩٤٨-١٩٦٠)، مرحلة يعتبر محمد غنيمي هلال قطبها الأهم، ثم مرحلة الترويج التي تمتد من عام ١٩٦٠ إلى عام ١٩٧٠، وهي مرحلة حقق فيها الأدب المقارن انتشارا أفقيا ورسخ أقدامه كمقرر دراسي وقدم نفسه للرأي العام. وأخيرا مرحلة الرشد، وهي مرحلة بدأت في مطلع السبعينات ولم تزل مستمرة إلى يومنا هذا.

مرحلة التأسيس للأدب المقارن (١٩٤٨-١٩٦٠)

يميز الباحثون في مرحلة التأسيس للأدب المقارن العربي ستة مقارنين، ساهم كل واحد منهم بتأليف، يحمل اسم الأدب المقارن، بهدف تقريب الأدب المقارن من الطلبة، وتعويدهم على مناهج المقاربات الأدبية الجديدة. وهم نجيب العقيقي، وعبد الرزاق حميدة، وإبراهيم سلامة، ومحمد غنيمي هلال، ومحمد محمد البحيري وصفاء خلوصي[٣]. والجدير بالذكر أن مقرر الأدب المقارن ظهر أولا في أدبيات دار العلوم بالقاهرة سنة ١٩٣٨، ولكن المصطلح اختفى بعد

---

١ إلياس أبو شبكة (١٩٠٣-١٩٤٧) شاعر لبناني

٢ شفيق جبري (١٨٩٨-١٩٨٠) كان شاعـــرا وكاتبا سوريا مشهورا في القرن العشرين

٣ صفاء الدين عبد العزيز عمر خلوصي ويسمى أيضا أمير الأدب العراقي. اشتهر في العراق من خلال البرنامج التلفزيوني. رشح في العهد الملكي ليكون وزيرا. خرج من العراق في بدايه ال٧٠ بعد اتهامه بالماسونية. كان استاذا في جامعة أكسفورد للادب المقارن. أصبح رئيسا للجالية الإسلامية في بريطانيا.

ذلك ليظهر في أواخر الأربعينات في سلسلة من الكتب الجامعية تعاقبت بمعدل كتاب كل سنتين تقريبا، وصدر أولها سنة ١٩٤٨ في القاهرة بعنوان «من الأدب المقارن» لنجيب العقيقي, تضمّن شذرات من الأدب العام والنقد النظري غير ذات صلة مباشرة بالعنوان. اعتبر شوقي ضيف كتاب نجيب العقيقي ثمرة دراسة طويلة في الأدب العربي والغربي([١]). وفي عام ١٩٤٩، ظهر كتاب عبد الرزاق حميدة «في الأدب المقارن». وكان عبد الرزاق حميدة رئيس شعبة اللغات بكلية القاهرة وأحد دعاة تدريس الأدب المقارن منذ ١٩٤٠، ويعد كتابه المذكور سابقا وثيقة هامة عن وضعية المقارنة في الفترة الجنينية([٢]). وفي ١٩٤٨، ترجم سامي الدروبي([٣]) كتاب «الأدب المقارن» لفان تيغم Paul Van Tieghem (١٨٧١-١٩٤٨)، كما ترجم محمد غلاب كتاب «الأدب المقارن» لماريوس فرانسو غويار M. F. Guyard. كما ظهر في عام ١٩٥١ كتاب مقارني «دراسات في الأدب» لإبراهيم سلامة. كان سلامة عميدا سابقا لكلية آداب القاهرة. يحث كتابه على اعتباره أحد المؤسسين للأدب المقارن في العالم العربي([٤]). وفي مرحلة الخمسينات تعددت وكثرت وسائل التواصل بين العرب والغرب، فاتسعت رقعة المقارنة في هذه الفترة لاسيما عند عودة العديد من الطلاب الذين تخصصوا في هذا المجال في أوروبا. وكان الأشهر منهم محمد غنيمي هلال الذي نشر سنة ١٩٥٣ كتابه «الأدب المقارن» الذي يعد مصدرا مهما للدراسات المقارنة العربية.

---

١ علوش، سعيد، (١٩٨٧)، مدارس الأدب المقارن: دراسة منهجية، المركز الثقافي، ص ٢٠٢

٢ الخطيب، ص: ٢٢٦

٣ الدكتور سامي الدروبي (١٩٢١-١٩٧٦) عبقرية حمصية فذة وتخرج في فرنسا حاملاً الدكتوراه في علوم النفس. عمل سفيراً لسورية في مصر، وأستاذاً في جامعة "دمشق"، ومستشاراً ثقافياً، ووزيراً للتربية. وكان عضو جمعية البحوث والدراسات، توفي سنة /١٩٧٦/م.

٤ علوش، ص ٢٠٥

محمد غنيمي هلال (١٩١٦-١٩٦٨) : رائد الدراسات الأدبية المقارنة في العالم العربي

كان محمد غنيمي هلال أول متخصص – بمعنى الكلمة – في الأدب المقارن العربي، على خلاف سابقيه الذين كانوا يعتمدون على رصيدهم الثقافي العام، بدل الرصيد الثقافي الخاص(١). عمل محمد غنيمي هلال أستاذا للأدب المقارن والنقد الأدبي بكلية دار العلوم، والجامعة الأمريكية ببيروت، وكلية اللغة العربية بجامعة الأزهر، وكلية الآداب بجامعة الخرطوم(٢). وكان أهم تطور تأليفي في الأدب المقارن ظهور كتاب الدكتور محمد غنيمي هلال بعنوان «الأدب المقارن» في القاهرة عام ١٩٥٣. ويُعد هلال بحق مؤسس الأدب العربي المقارن، وكان كتابه أول محاولة عربية ذات وزن أكاديمي في منهجية الأدب المقارن، وبدا شديد التمسك بمبادئ المدرسة الفرنسية التقليدية(٣). وفيما بعد طبع الكتاب عدة طبعات، وخرّج جيلا كاملا من المهتمين بالأدب المقارن. صادف الكتاب الانتشار والذيوع أكثر من سابقيه ولاحقيه. فهو أعمق الكتب تأثيرا في مسار الدراسات النظرية في حقل الأدب المقارن على الإطلاق(٤)، وكل الكتب التي عرضت بعده للنظرية الفرنسية اعتمدت عليه بصورة أساسية، وبعضها الآخر كان ينمى بعض أفكاره ومداخله، بعضها الثالث لم يكن أكثر من مجرد تخليص له أو لبعض ما جاء فيه مع تحويرات كثيرة أو قليلة فى الترتيب أو الصياغة.

وفي نفس السنة، نشر محمد محمد البحيري كتابا بعنوان «الأدب المقارن»، وفي سنة ١٩٥٧، نشر صفاء خلوصي، العراقي الجنسية، الذي درس وتخصص في هذا الفرع المعرفي الأدبي في الجامعات الأوروبية، كتابا بعنوان «دراسات في الأدب المقارن» بالإضافة إلى مؤلفاته الأخرى: و«فن الترجمة في ضوء الدراسات المقارنة» و«الترجمة التحليلية». ساعد خلوصي، تكوينه في

---

١ علوش، ص ٢١١

٢ إبراهيم، د/ عبد الميد، الأدب المقارن من منور التأصيل، مجلة الجسرة

٣ الخطيب، ص: ٢٤٢

٤ هلال، محمد غنيمي، دور الأدب المقارن في توجيه دراسات الأدب العربي المعاصر، نهضة مصر، ص: ٣٢

تطعيم الرؤية العربية، للأدب المقارن، بتآليفه الثلاثة[١]. ركز خلوصي اهتماماته على ظاهرة الترجمة، كأول ظاهرة ربطت بين العرب بالمقارنة، وذلك خلال ترجمة القدماء لفن الشعر لأرسطو، من جهة، وتداول الترجمات الأجنبية لألف ليلة وليلة[٢]، من جهة أخرى[٣]. وبهذا تنتهي المرحلة التأسيسية للدراسات المقارنة في البلاد العربية لتترك المجال لمرحلة الترويج. وبعد الخمسينات تطور تدريس الأدب المقارن في الجامعات العربية بخطوات غير حثيثة. وألفت كتب جامعية متفرقة اعتمدت كثيرا على كتاب غنيمي هلال. ولكن بدأت تبرز في الثمانينات اتجاهات جديدة على يد الجيل التالي، مؤذنة بحلول مرحلة نهوض جديدة أكثر وعيا للتطورات العالمية الحية.

مرحلة الترويج للأدب المقارن (١٩٦٠-١٩٧٠)

لم يعرف العالم العربي سوى مجلتين مختصتين في الأدب المقارن[٤]، هما «الدراسات الأدبية» و«الدفاتير الجزائرية للأدب المقارن». نشرت مجلة «الدراسات الأدبية» في لبنان من ١٩٦٦ إلى ١٩٦٧، وكانت تصدر باللغتين العربية والفارسية وكان يديرها محمد محمدي. نشرت مجلة «الدفاتر الجزائرية للأدب المقارن» في الجزائر فيما بين ١٩٦٧ و١٩٦٨، وهي تصدر باللغة الفرنسية، وكان يديرها الدكتور جمال الدين بن شيخ. منذ اختفاء المجلتين المختصتين في الأدب المقارن لم تظهر بدائل عنهما، باستثناء بعض الأعداد الخاصة عن الأدب المقارن في مجلة

---

١ علوش، ص ٢١٢

٢ ألف ليلة وليلة أو الليالي العربية هي مجموعة متنوعة من القصص الشعبية عددها حوالي مائتي قصة يتخللها شعر في نحو ١٤٢٠ مقطوعة، ويرجع تاريخها الحديث عندما ترجمها إلى الفرنسية المستشرق الفرنسي أنطوان جالان عام 1704. وتحتوي قصص ألف ليلة وليلة على شخصيات أدبية خيالية مشهورة. أما الحقائق الثابتة حول أصلها، فهي أنها لم تخرج بصورتها الحالية، وإنما أُلّفت على مراحل وأضيفت إليها على مر الزمن مجموعات من القصص بعضها له أصول هندية قديمة معروفة، وبعضها مأخوذ من أخبار العرب وقصصهم الحديثة نسبياً. أما موطن هذه القصص، فقد ثبت أنها تمثل بيئات شتى خيالية وواقعية، وأكثر البيئات بروزا هي في مصر والعراق وسوريا.

٣ الخطيب، ص: ٢٤٧

٤ علوش، ص ٢٢٥

«عالم الفكر[١]» الكويتية، ومجلة «فصول[٢]» المصرية. خصصت «عالم الفكر» عددا في ١٩٨٠ حول مناهج الأدب المقارن، كما خصصت «فصول» عددين في ١٩٨٣ حول الأدب المقارن[٣].

كان محمد عبد المنعم خفاجة وحسن جاد حسن[٤] جامعيان عملا بجامعة الأزهر، ونشرا بمطابع الجامعة عمليهما حول الأدب المقارن. ظهر كتاب «دراسات في الأدب المقارن» لعبد المنعم خفاجة في ١٩٦٦. نقل خفاجة الأفكار المتداولة حول الأدب المقارن في عصره ليجعل منها مركبا قاطعا به المسافات الفاصلة بين وعي المادة وما يتوجب عليها تجاه الأدب الوطني-المصري خاصة[٥]. وفي سنة ١٩٦٧، أصدر كتاب لحسن حسن جاد بعنوان «الأدب المقارن»، بالإضافة إلى دراسات لويس عوض[٦] (١٩١٥-١٩٩٠) التي اتسمت بالدقة والمنهجية. ومن أشهر المقارنين في هذه المرحلة طه ندا وحسين مجيب المصري[٧] اللذان كان يقارنان بين الأدب العربي والأدب

---

١ عالم الفكر مجلة فصلية ثقافية التي تصدر عن دولة الكويت، التي بدأت بالصدور منذ أبريل ١٩٧٠، وتناوب على رئاسة تحريرها العديد من الكتاب والمفكرين المتميزين، وتحظى باحترام وتقدير كبيرين في الأوساط العلمية والأكاديمية، ولا تزال تواصل الصدور بأربعة أعداد في كل سنة، و لم تتوقف إلا لفترة عام أثناء غزو صدام للكويت.

٢ فصول مجلة نقدية مصرية تم تأسيسها في اوائل الثمنينات ولعبت دوراً فعالاً في إثراء الحياة النقدية العربية معروفا فقد تولت المجلة الدفع بأسماء جديدة في النقد الأدبي فضلا عن إشاعة العديد من المصطلحات النقدية في فضاء الكتابة وبفضلها تمت صناعة جسر قوي يربط القاريء العام والمدارس النقدية العالمية وذلك بفضل الأسماء الثقافية الكبيرة التي تولت رئاسة تحريرها بداية من عز الدين إسماعيل وجابر عصفور وهدى وصفي.

٣ علوش، ص ١٩٨-١٩٩

٤ الشيخ حسن جاد حسن أستاذ بكلية اللغة العربية لجامعة الأزهر بالقاهرة. أهم آثاره «الأدب العربي في المهجر» «الأدب المقارن» «ابن زيدون» «الأدب العربي بين الجاهلية والإسلام» «الأدب العربي في ظلال الأمويين والعباسيين» «ميزان الشاعر» في العروض وله ديوان شعر فهو من أساتذة الأدب واللغة والفكر والتحقيق.

٥ علوش، ص ٢٤٥

٦ لويس عوض مفكر ومؤلف مصري مشهور

٧ الدكتور حسين مجيب المصري (١٩١٩-٢٠٠٤) الملقب بعميد الأدب الشرقي والإسلامي المقارن شخصية عجيبة بكل المقاييس. إنه أول عربي يقدم أول رسالة للمكتبة العربية في الأدب التركي، وقد قدرت ذلك تركيا فمنحته أعلى وسام ثقافي عام ١٩٩٧، إلى غير ذلك من الجوائز والأوسمة التي حصل عليها من مصر وباكستان وإيران.

الإسلامي الشرقي، وفاطمة موسى([1]) التي نشرت كتابا بعنوان «بين أدبين: دراسات في الأدب العربي والانجليزي» ومحمد مفيد الشوباشي الذي نشر كتابه في هذه المرحلة لعنوان «رحلة الأدب العربي إلى أوروبا».

مرحلة الرشد للأدب المقارن (١٩٧٠-)

وفي فترة السبعينات تبدأ مرحلة الرشد والنضج في دراسات الأدب المقارن في العالم العربي. يتجسد تطور هذه المرحلة في قيام نزعتين، هما نزعة الدراسات المقارنة بين الأدبين العربي والإيراني، ونزعة الدراسات المقارنة بين الأدبين العربي والغربي.

- **نزعة الدراسات المقارنة العربية الإيرانية**

ازدهرت في هذه الفترة الدراسات المقارنة بين الأدبين العربي والإيراني، كنتيجة لأبحاث فيلولوجية سابقة عن علاقات اللغتين العربية-الإيرانية، والتي ما لبثت أن تحولت إلى دراسات للصلات، بفعل تواجد أقليات شيعية في لبنان وبلدان عربية أخرى([2]). تمثل ثلاثة أبحاث جامعية هذه النزعة: «الأدب المقارن» لمحمد عبد السلام كفافي في سنة ١٩٧١، و«الأدب المقارن» لطه ندا في سنة ١٩٧٥، و«دراسات في الأدب المقارن» لبديع محمد جمعة في سنة ١٩٧٨. كان محمد عبد السلام كفافي أستاذ الآداب الإسلامية بجامعة القاهرة، وجامعة بيروت العربية. لقد قضى كفافي سنوات طويلة في تدريس الأدب المقارن، وكان كتابه حول هذا الموضوع ثمرة هذا التدريس([3]). وقد ركز كفافي في مقاربته على الطابع الإسلامي للتأثير والتأثر، ولكن طموحاته المنهجية ظلت مجرد بيانات مبدئية، لا تتعداها إلى التطبيقات الفعلية([4]).

---

[1] فاطمة موسى محمود (١٩٢٧-٢٠٠٧) أحد أبرز الأكاديميين ونقاد الأدب في مصر والعالم العربي. دأبت فاطمة موسى في أعمالها على بناء جسور بين 'أدب الغرب' و'أدب الشرق 'فكتبت دراسات تتناول أدب من جانبي العالم في الجانب الآخر.

[2] علوش، ص ٢٤٩

[3] الخطيب، ص: ٢٥٣

[4] علوش، ص ٢٥٤

يجعل طه ندا من موضوع الأدب المقارن موضوعا لقراءة في التاريخ الأدبي، بهدف إعادة تركيب الإشارات والصدى والأثر في الإعلام والتيارات([1]). صدر كتاب بديع محمد جمعة عن دار النهضة ببيروت، ويعتبر هذا الكتاب آخر السلسلة في نزعة الدراسات العربية الإيرانية، وهو بدوره مجموعة محاضرات جامعية، لهذا كان الطابع الغالب على الدرس فيه هو الميل نحو بيداغوجية التلقين. يقدم محمد جمعة – كسابقه طه ندا – إشارة إلى وجود مدرسة أمريكية([2]).

- **نزعة الدراسات المقارنة العربية الغربية**

تمثل أبحاث جامعية هذه النزعة، منها الأعمال لريمون طحان، وإبراهيم عبد الرحمن محمد([3])، وعبد الدائم الشوا. كان ريمون طحان أستاذ الأدب المقارن في الجامعة اللبنانية. وقبل أن يصدر ريمون طحان كتابه «الأدب المقارن والأدب العام» سنة ١٩٧٢، كان قد أصدر مقالتين حول الأدب المقارن بمجلة الثقافة السورية. فأهمية النص عند طحان تتخذ صبغة خاصة، من حيث تتويجها للدراسات العربية المقارنة بعمل تلخيصي([4]). أصدر في ١٩٨٢، «النظرية والتطبيق في الأدب المقارن» لإبراهيم عبد الرحمن محمد، و«في الأدب المقارن» لعبد الدائم الشوا. ورغم أن الأول مصري الجنسية والثاني سوري، فقد صدر كتابهما عن بيروت – دار العودة. تسدد الكتابان على التطبيق في الأدب المقارن. كتاب إبراهيم عبد الرحمن محمد يجعل من النظرية مدخلا ومن التطبيق منشغلا، أما كتاب عبد الدائم الشوا دراسة تطبيقية مقارنة

---

[1] ندا، طه، (١٩٩١)، الأدب المقارن، بيروت: دار النهضة المصرية، ص: ٥-٦

[2] الخطيب، ص: ٢٦١

[3] إبراهيم عبد الرحمن (١٩٢٩-) هو كاتبا وأستاذا مصريا للأدب المقارن

[4] الخطيب، ص: ٢٦٣

بين الأدبين العربي والإنجليزي. وفي هذه المرحلة أيضا يمكننا ذكر كتاب د/ حسام الخطيب([1]) الذي ظهر سنة ١٩٧١ بعنوان «سبل المؤثرات الأجنبية وأشكالها في القصة السورية: دراسة تطبيقية في الأدب المقارن»، وكتاب إحسان عباس([2]) بعنوان «ملامح يونانية في الأدب العربي».

تمثل الثمانينات نهوضا شاملا في مجال الدراسة الجامعية والبحث الجامعي من الناحيتين الكيفية والكمية. ومن المؤشرات الإطارية ذات التأثير المباشر في الظاهرة المقارنية هي: تعدد الجامعات العربية واكتمال عدد من الجامعات التي بدأت عملها في السبعينات، وازدياد عدد المدرسين المتخصصين بالأدب المقارن في الجامعات المقارنة، ازدياد عدد الموفودين، والتنوع في الدوريات العربية المتخصصة بالثقافة والأدب. وفي مطلع ١٩٨١، ظهرت في القاهرة مجلة «ألف: مجلة الشعريات المقارنة» عن الجامعة الأمريكية في القاهرة. قد اهتمت بالأدب المقارن المجلات العربية المشهورة أمثال «الموقف الأدبي»، و«الآداب الأجنبية»، و«المعرفة». وفي الثمانينات ظهرت مجموعة كبيرة من المقالات والكتب التي تدل على تطور هذا النوع من الدراسات في البلاد العربية. خصصت مجلة «عالم الفكر» الكويتية عددا كاملا للدراسات المقارنة سنة ١٩٨٠، كما خصصت مجلة «فصول» المصرية عددين منها للدراسات المقارنة في سنة ١٩٨٣. وفي نفس السنة نشر عبد الوهاب علي الحكي كتابا بعنوان «الأدب المقارن»، وفي

---

[1] الدكتور حسام الخطيب (١٩٣٢-) أستاذ فلسطيني وأحد النقاد والمقارنين العرب الذين شغلتهم قضية عالمية الأدب عموماً، وعالمية الأدب العربي على وجه التحديد. كان أستاذا محاضرا في جامعة كمبردج، رئيس تحرير مجلة المعلم العربي، مستشارا في رئاسة الدولة، أستاذا للأدب المقارن بجامعة دمشق وعيرها من الجامعات العربية. كان أمينا عاما للرابطة الدولية للأدب المقارن. نال عدداً من الجوائز، منها جائزة الملك فيصل العالمية، وجائزة الكويت للتقدم العلمي.

[2] إحسان عباس (١٩٢٠-) أستاذ مصري وحقق ما يقرب من ٥٠ كتاباً تراثياً تنتمي إلى عصور الأدب العربي المتتابعة، وتتنوع تنوعاً شديدا. ومن الجدير ذكره أن كثيراً مما حققه أو ألّفه إحسان عباس صار مصدراً أو مرجعاً من مصادر البحوث الجامعية ومراجعها.

سنة ١٩٨٤، نشر داود سلوم([١]) كتابا بعنوان «دراسات في الأدب المقارن التطبيقي». وفي سنة ١٩٨٦، ظهر كتاب سعيد علوش([٢]) بعنوان «مكونات الأدب المقارن في العالم العربي». ويعد كتاب «الأدب المقارن: أصوله وتطوره ومناهجه» (١٩٨٧) لطاهر أحمد مكي([٣]) ممثلا أدق تمثيل للمقصود باتجاه التنوع والانفتاح. تقدم هذه الموسوعة المقارنية نفسها أشبه بذاكرة عربية دولية لتجربة الأدب المقارن في الوسط الثقافي العربي([٤]).

ومن أبرز التطورات الإطارية في هذه المرحلة بدء تنظيم أعمال المقارنين العرب في شكل مؤتمرات وروابط. وفيما يتعلق بالمؤتمرات المتخصصة بالأدب المقارن يبدو أن مؤتمر الأدب المقارن التي دعت إليه جامعة المنيا بمصر في عام ١٩٨١ كان أول هذه المؤتمرات. ثم عقد «ملتقى دولي حول الأدب المقارن عند العرب» في الجزائر في ١٩٨٣. سجل المعهد اللغات والآداب بجامعة عنابة نجاحا بعقد «المؤتمر الأول للمقارنين العرب» في ١٩٨٤، وأهم ما تمخض عنه هذا الملتقى التاريخي انبثاق «الرابطة العربية للأدب المقارن» واتخاب مكتبة للرابطة تكون جامعة عنابة مقره الدائم، كما انتخب عبد المجيد حنون (الجزائر) أمينا عاما للرابطة([٥]). ومن

---

[١] الدكتور داود سلوم (١٩٣٠-٢٠١٠) هو أديب ومفكر عراقي، وهو علم من أعلام العراق الثقافية المميزة وصاحب مسيرة طويلة حافلة بالإبداع والنشاط الواضح الذي أسهم في تنشيط الحركة الثقافية العراقية وتأكيد حضورها في المحافل المختلفة، كما أنه نجم من نجوم الفكر الموسوعي والعاملين في مجال التراث والمدافعين عن اللغة العربية.

[٢] د/ سعيد علوش هو أستاذ الأدب المقارن في قسم العربية بجامعة الرباط، وهو إضافة لكونه مقارناً ناقد وكاتب وطني تقدمي. وقد برز اسمه كمقارن من خلال عدة كتب أمد بها المكتبة المقارنية العربية، منها دراسته الضخمة "مكونات الأدب المقارن في الوطن العربي.

[٣] د/ الطاهر أحمد مكي أستاذ وباحث مصري، وقضى سنوات أستاذًا زائرًا في جامعة بوجوتا عاصمة كولومبيا. كما أنه دعي أستاذًا زائرًا في جامعات كثيرة في العالم العربي أذكر منها: تونس والمغرب والجزائر والإمارات العربية المتحدة، إلى جانب الدعوات التي توجه إليه من جامعات إسبانيا ومؤسساتها العلمية .

[٤] الخطيب، ص: ٢٨٧

[٥] الخطيب، ص: ٢٧٣

الروابط الأخرى للأدب المقارن: «الجمعية المصرية للأدب المقارن([1])»، و«الرابطة المغربية للأدب المقارن». تأسست «الجمعية المصرية للأدب المقارن» أواخر عام ١٩٨٥ في جامعة القاهرة.

وفي فترة التسعينات تواصل الإصدار بنفس الوتيرة التي كان عليها في العقد السابق، ومن أهم ما ظهر فيها: كتاب «آفاق الأدب المقارن: عربيا وعالميا» لحسام الخطيب في سنة ١٩٩٢، وكتاب «الأدب المقارن من منظور الأدب العربي: مقدمة وتطبيق» لعبد الحميد إبراهيم في سنة ١٩٩٧، وكتاب «نحو نظرية جديدة للأدب المقارن» في جزئين لأحمد عبد العزيز في سنة ٢٠٠٢.

ولعل محاولات د/ حسام الخطيب([2]) الجادة في دراساته المقارنة، هي الأكثر رغبة في تجاوز الأدب المقارن العربي لواقعه الحالي، الذي يعيش حالة مراوغة بين قطبيه، بين باطن المنهج الذي يقوم على أسس ورؤى وأنساق معرفية غربية([3])، وبين ظاهره الذي يرتبط بتطبيقات دراسية تأويلية، تفتقر في مجملها لمعيار يضبط المسافة بين ما هو مؤشر أصيل يسمح بقيام دراسة مقارنة ذات دلائل، وبين ما هو اعتباطي ظني قاصر في قدرته على إقامة مقارنة تثبت تراكب أقطاب الدراسة وتفاعلها، على نحو يمكنه من تحقيق جدوى الدراسة وغايتها([4]). يعد عز الدين المناصرة([5]) من أهم المقارنين العرب، الذين سعوا جهدهم في سبيل اقتراح منهج مقارن جديد، وإن تعلل بالإشكالية كوسيلة منهجية، تسمح له بطرح اقتراحه هذا؛ رغبة منه في الإفلات من قبضة

---

[1] الجمعية المصرية للأدب المقارن أنشأت في ١٩٨٦ بهدف من إنشاء الجمعية هو العمل على تطوير الأدب المقارن في مصر والعالم العربي، ومقرها قسم الدراسات اليونانية واللاتينية، كلية الآداب، جامعة القاهرة. وانضمت الجمعية إلى الاتحاد الدولي للأدب المقارن.

[2] حسام الخطيب باحث وناقد فلسطيني كبير، ولد عام ١٩٣٢ في مدينة طبريا بفلسطين

[3] الخطيب، ص: ٢٨٥-٢٨٦

[4] أبو دقة، موسى إبراهيم، (٢٠٠٨)، قراءة تحليلية في مرجعيات التنظير العربي للأدب المقارن، مجلة الجامعة ، فلسطين، ص: ١١٠

[5] عالم فلسطيني، ولد بتاريخ ١٩٤٦/٤/١١، الخليل، فلسطين. – عاش متنقلاً في: فلسطين – مصر – الأردن – لبنان – بلغاريا – تونس – الجزائر. ويعمل حالياً – رئيسا لقسم اللغة العربية وآدابها – جامعة فيلادلفيا – الأردن.

التنظير التجريدي، وبقصد استشراف رؤى وأنساق وآليات لها استقلالها النسبي عن المتداول من قواعد التنظير النقدي المعروفة.

إن الدراسات الأدبية المقارنة في الوطن العربيّ إبّان الأعوام الأخيرة قد اقتصر ما أنجزه المقارنون العرب على إعادة إصدار كتبهم القديمة في طبعات موسّعة وبعناوين جديدة. هذا ما فعله المقارنان المعروفان حسام الخطيب وعز الدين المناصرة. فقد أعاد الأول طباعة كتابه: «الأدب المقارن» (جامعة دمشق، ١٩٨٢) ووضع له عنوانا جديدا هو: «آفاق الأدب المقارن عربيا وعالميا» (دمشق: دار الفكر، ١٩٩٢)، أمّا الثاني فقد أصدر طبعة جديدة معدّلة من كتابه: «مقدّمة في نظرية المقارنة» (عمّان: دار الكرمل، ١٩٨٨) بعنوان جديد هو: «المثاقفة والنقد المقارن» (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات ١٩٩٦). ولم تنشأ جمعيات قطريّة للأدب المقارن إلا في بلد عربي واحد وهو مصر، ولم تتمكن الرابطة العربية للأدب المقارن من تحقيق أي من طموحاتها العلمية وعلى رأسها إصدار مجلة عربية للدراسات الأدبية المقارنة([1]). ولكن عدد المقارنين في الجامعات العربية هو اليوم أكبر مما كان عليه في أيّ وقت مضى. وعلى سبيل المثال، فإنّ كلية الآداب في جامعة حمص، وهي أصغر الجامعات السورية وأحدثها، تضم في صفوف هيئتها التدريسية سبعة متخصصين في الأدب المقارن. فأساتذة الأدب المقارن أصبحوا متواجدين بأعداد وفيرة في الجامعات العربية كلها.

وفي الأعوام الأخيرة ازدهرت في الدراسات المقارنة دراسة التشابهات التيبولوجية التي تتخذ من نظرية التناصّ *Intertexuality* أساسا له. وشيئا فشيئا يحلّ هذا النوع من الدراسات محل التأثير والتأثر التي يقدّم نفسه بديلا لها. إن دراسة علاقات التناص بين أعمال من الأدب العربي وأعمال من الآداب والثقافات الأجنبية هي مكمّل جيّد لدراسات التلقي الإبداعي. فهذا يؤدي بالضرورة إلى ظواهر تناصّ بين الأدب العربي والآداب الأجنبية. إنّ الدراسات المقارنة التي

[1] عبود، عبده، (١٩٩٩)، الأدب المقارن: مشكلات وآفاق، دمشق: اتحاد كتاب العرب، ص: ٦٢

تستند إلى نظريتي التناص والتلقي الإبداعي المنتج كفيلة بتصحيح النظرة إلى علاقة الأدب العربي بالآداب الأجنبية، وبأن تضع حدّا لكل ذلك الجدال حول السرقات الأدبية وحول خضوع الأدب العربي الحديث لمؤثرات أجنبية. فليس العيب أن يتضمّن الأدب العربي الحديث مؤثرات كهذه، بل العيب كلّ العيب هو أن يخلو من تلك المؤثرات. فهي دليل على أن الأدب العربي الحديث أدب حيّ، يتفاعل مع الآداب والثقافات الأجنبية مستقبلا ومرسِلا([١]).

الأدب المقارن في المغرب العربي

فقد قدمت الساحة المغاربية إبان الثمانينات عددا جيدا من المقارنين أمثال محمود طرشونة([٢]) من تونس، وعبد المجيد حنون([٣]) من الجزائر، وسعيد علوش من المغرب. المغرب أقرب أقطار المغرب العربي إلى أوربا، وهذا جعله خلال تاريخه يحتل مكانة خاصة تلتقي فيه الثقافة العربية الإسلامية بالثقافات العالمية. ولهذا كان على المغرب وجامعياته أن يخلق في الأوساط الثقافية والجامعية الاقتناع بضرورة الاهتمام الجدي بالدراسات المقارنة وبضرورة تنظيم هذه الدراسات بطريقة ترضي التطلع والطموح([٤]). عقدت الرابطة العربية للأدب المقارن مؤتمرها الثالث في جامعة الملك محمد الخامس بالرباط، وذلك في أواخر عام ١٩٨٩. المغاربة قد انتزعوا دفة القيادة والريادة على صعيد الأدب المقارن أيضا، بعد أن كانت الريادة فيه للمصريين إبان الخمسينات والستينات والسبعينات.

---

١ عبود، عبده، ص: ٦٥

٢ د/ محمود طرشونة ناقد وروائي تونسي وأستاذ بالجامعة التونسية. وتحصل على الجائزة التقديرية للآداب والعلوم الإنسانية (1998)

٣ د/ عبد المجيد حنون أستاذ جزائري، هو الأمين العام للرابطة العربية للأدب المقارن

٤ علوش، ص ٢٨٦

ولقد لمع بين المقارنين المغاربة الدكتور سعيد علوش بشكل خاص وذلك منذ أواسط الثمانيات. وعلوش هو أستاذ الأدب المقارن في قسم اللغة العربية بجامعة الرباط، وهو إضافة لكونه مقارنا ناقد وكاتب وطني ديمقراطي تقدمي. وقد برز اسمه كمقارن من خلال عدة كتب أمد بها المكتبة المقارنية العربية(١)، منها دراسته الضخمة «مكونات الأدب المقارن في الوطن العربي». وهي في الأصل أطروحة تقدم بها المؤلف لنيل درجة الدكتوراه، إلا أنها في واقع الأمر أكثر من ذلك بكثير: إنها بحث علمي رائد، استقصى فيه علوش تاريخ الأدب المقارن العربي وواقعه تأليفا وتدريسا ومؤسسات، واتجاهاته النظرية بعمق وشمول لا مثيل لهما في البحث المقارني العربي. أما الكتاب الثاني فقد خصصه علوش للبحث في إشكالية ظاهرتين هامتين في الأدب والنقد العربيين هما: التيارات الأدبية في العالم العربي، والتأثير والتأثر في المقارنات العربية. وأخيرا فقد صدر لعلوش كتاب ثالث عنوانه: «مدارس الأدب المقارن –دراسة منهجية»، وهو كتاب يستحق اهتماما خاصا من جانب المقارنين والنقاد العرب على حد سواء.

وفي الحقيقة فإن كتاب سعيد علوش «مدارس الأدب المقارن» يمتاز على معظم المؤلفات العربية التي تعالج الموضوع نفسه من عدة نواح أبرزها تخصيص حيز واف لعرض الأدب المقارن ومدارسه في الغرب. وعلوش لم يكتف بعرض نشوء الأدب المقارن وتطوره في الغرب، بل اتبع ذلك بعرض واف تاريخيا وتحليليا لنشوء هذا العلم وتطوره في الوطن العربي، مما جعل من هذا الكتاب منهلا للمعلومات المتعلقة بالأدب المقارن في الغرب وفي العالم العربي على حد سواء. وهذه ناحية يشترك فيها علوش مع زميله الفلسطيني الدكتور عز الدين المناصرة الذي ضمن كتابه «مقدمة في نظرية المقارنة» عرضا مستفيضا للأدب المقارن في الوطن العربي، وإن يكن المناصرة قد ركز عرضه على بدايات ظهور النظرة المقارنية في النقد العربي الحديث، وأبرز دور الناقد الفلسطيني روحي الخالدي على هذا الصعيد بينما اكتفى علوش بتقديم

---

١ الخطيب، ص: ٢٨٧

صورة بانورامية للأدب المقارن العربي في شكله الجامعي أو الأكاديمي، بحيث يمكن القول أن العرضين يكملان بعضهما بعضا إلى حد بعيد.

الأدب المقارن في الجامعات العربية :

منذ ظهور الأدب المقارن وهو يرتبط بالتوجيه التعليمي، لقد ولد الأدب المقارن في أحضان الجامعات ولازمها في نشأته وتطوره. فهو يدرس الجامعات العربية، بكل من مصر والعراق ولبنان وتونس والمغرب والجزائر وبدرجات متفاوتة في باقي الجامعات العربية.

- **المرحلة الجنينية الأولى بالشرق العربي**

وفي مطلع العشرينات بدأت كلمة «مقارن» تظهر بوضوح أكثر في مجال الدراسات الأدبية العربية وتحتل مكانا في بعض المعاهد العليا، كمدرسة دار العلوم بالقاهرة التي استخدمت منهج المقارنة في مجال الدراسات اللغوية. ففي سنة ١٩٢٤، كانت تدرس بها مادة جديدة بعنوان «اللغة العبرية واللغة السريانية ومقارنتهما باللغة العربية». وقد ساهمت هذه المدرسة، دار العلوم، في إرساء قواعد الدراسات المقارنة لا سيما مع الأساتذة أحمد خاكي ومهدي علام وعبد الرزاق حميدة وإبراهيم سلامة. وفي سنة ١٩٤٣، قرر المجلس الأعلى لدار العلوم في إحدى جلساته أن يصبح الأدب المقارن مادة جامعية مستقلة تدرس في السنتين الثالثة والرابعة، والملاحظة أن الدراسات المقارنة كانت حبيسة المنظور التاريخي. في سنة ١٩٥٣، عمل إبراهيم سلامة، الذي أصبح عميدا لكلية الآداب بجامعة القاهرة، على إدخال الأدب المقارن مادة تدرس في قسم اللغة العربية ويقوم هو نفسه بتدريسها. أدى اهتمام الجامعة بالأدب المقارن إلى القيام بإرسال طلبة جامعيين للتخصص في الأدب المقارن في أوربا، فأرسل كل من محمد غنيمي هلال من دار العلوم إلى باريز كما أرسل حسن النوتي من قسم الفرنسية بكلية الآداب

في جامعة القاهرة إلى باريز أيضا، ثم تتابعت البعثات العلمية بعد ذلك للتخصص في الأدب المقارن في أوربا. فإرسال البعثات إلى فرنسا يعتبر تحولا للأدب المقارن في مصر.

ولم تبدأ مرحلة المتخصصين إلا في الخمسينات من القرن العشرين عند عودة المختصين من الجامعات الأوروبية أمثال محمد غنيمي هلال الذي تتلمذ على أعظم المختصين في الأدب المقارن في فرنسا أمثال جان ماري كاريه وبول فان تييغم. وفي سنة ١٩٥٦، افتتحت كلية الآداب بجامعة عين شمس مكانا في قسم اللغة العربية لتدريس مادة الأدب المقارن، وكان محمد غنيمي هلال يدرسها. أصبح هلال الناطق الرسمي والممثل الشرعي للأدب المقارن عندما كان يدرس في دار العلوم، وعين الشمس، والأزهر([1]). وفي نهاية الخمسينات تعرض الأدب المقارن لأزمة في الجامعات المصرية نتيجة هجرة مجموعة كبيرة من أستاذة الأدب المقارن إلى أوروبا أمثال حسن النوبي وعامر عطية وأنور لوقا. وفي أواسط الستينات عاد عبد الحكيم حسان من انجلترا حيث نال شهادة الدكتوراه في الأدب المقارن والتحق بقسم الأدب المقارن والنقد والبلاغة بكلية دار العلوم، بالإضافة إلى صفاء خلوصي، العراقي الجنسية وأستاذ الأدب المقارن بجامعة بغداد، الذي كان لديه رؤيا واضحة للدرس المقارن باقتراحه لمحاور الدرس انطلاقا مما يوجد في العالم العربي من مادة الترجمة والنتاج الأدبي والأساليب والمذاهب والأنواع الأدبية. ويضع هذه العناصر كشرط ضروري لتدريس مادة الأدب المقارن.

- **المرحلة المتقدمة الثانية بالمغرب العربي**

تأخر ظهور الدراسات المقارنة في المغرب إلى سنة ١٩٦٣، وذلك بسبب حداثة الجامعة المغربية، التي دشّنت في سنة ١٩٥٩. وقد كان أمجد الطرابلسي([2]) (١٩١٦-٢٠٠١) السوري الجنسية،

---

[1] علوش، ص ٢٧٨

[2] أمجد ابن حسني الطرابلسي شاعر وباحث ومحقق وأستاذ جامعي ووزير، يعتبر أحد رموز الثقافة في الوطني العربي وأحد مؤسسي التعليم الجامعي في المملكة المغربية مطلع الستينات من القرن الماضي

أستاذا للأدب المقارن في هذه الجامعة لمدة طويلة حوالي عقدين من الزمن وهو لم يكن مختصا بالأدب المقارن، وبعده التحقت كوكبة من المختصين في هذه المادة بهذه الجامعة أمثال عبد اللطيف السعداني وسعيد علوش ومحمد أبو طالب وحسن المنيعي([1]). أما في تونس فكانت مادة الأدب المقارن تدرس في كلية الآداب بجامعة تونس منذ ١٩٧٢، وفي المدرسة العليا للأساتذة منذ ١٩٧٤، وكان يشترك في تدريسه أساتذة اللغة العربية واللغة الإنجليزية واللغة الفرنسية، أمثال المنجي الشملي، والسيدة كيوز. ففي كلية الآداب التونسية تدرس المادة كشهادة تكميلية.

وأما في الجزائر، فقد بدأ تدريس الأدب المقارن في جامعة الجزائر، وفي سنة ١٩٦٩ بدأت جامعة قسنطينة تدريسه، وبعدها جامعة عنابة ثم جامعة تيزي وزو. المنهج الفرنسي في الدراسات المقارنة هو المتبع في كل الجامعات الجزائرية على غرار معظم الجامعات العربية الأخرى. والملاحظة أن الجامعات الأردنية والسعودية والكويتية والعراقية واليمنية كانت تتبع المنهج الأمريكي. أسس المقارنون منابر ومؤسسات التواصل العلميّ الاختصاصيّ، وأبرزها الكونفدرالية الدولية للأدب المقارن والرابطة العربية والجمعيات القطرية للأدب المقارن. ومن أهم تطورات الأدب المقارن العربي قيام «الرابطة العربية للأدب المقارن» التي عقدت الملتقى التحضيري في جامعة عنابة بالجزائر عام ١٩٨٣. ويشير وضع الثقافة العربية المعاصرة إلى أن الأدب المقارن يبشر بمستقبل ذي شأن في رحاب الجامعات العربية وخارجها. ومن أشهر الأساتذة المعاصرين للأدب المقارن في جامعات العالم العربي: د/كمال أبو ديب، ود/حسام الخطيب، ود/عبده عبود، ود/أحمد درويش، ود/سعيد علوش، ود/صبري حافظ.....وغيرهم.

---

[1] علوش، ص ٢٨٥

الخاتمة

لم يكن النقد العربي في عصور النهضة قديما وحديثا بمغزل من التيارات والمدارس الأجنبية. إن أفلاطون وأرسطو قد أثرا في النقد الأدبي العربي، ومنذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر تأثر الأدب العربي الحديث ونقده بالمذاهب الغربية. كان من ثمرة ذلك التأثير نهوض الأدب الموضوعي فأخذ يقوم –عن وعي– بدوره النفسي والاجتماعي، متمشيا في نواحيه الفنية مع أحدث الاتجاهات العالمية. ونقاد الحداثة ينادون بالوقوف عند حد النص الإبداعي وحده، وعدم تجاوزه إلى غيره، وبعبارة أخرى: تجريد النص من قائله وكأنه مجهول، ومن كافة ظروفه، اكتفاء بتحليل نصي. ولا يستطيع لأحد أن ينكر تأثير النقد العربي بهذه المدارس لأن العالم العربي كان – ولا يزال- في اتصال دائم بالغرب سياسيا واجتماعيا واقتصاديا وعلميا وفنيا. أخذ النقد العربي الحديث أصوله من جميع المذاهب النقدية في القديم والحديث ومن الشرق والغرب على حد سواء.

المصادر والمراجع

١. إبراهيم، رزان محمود. المؤثر الاستعماري في الكتابة الأدبية ايقاعات متعاكسة تفكيكية. المجلة العربية للعلوم الإنسانية. الكويت: مجلس النشر العلمي. جامعة الكويت. ٢٠١١/١٩/١٠.

٢. إبراهيم، عبد الحميد، (١٩٩٧)، الأدب المقارن من منظور الأدب العربي: مقدمة وتطبيق، القاهرة: دار الشروق

٣. ابن حسين، محمد بن سعد، (١٩٩٨)، الأدب الحديث: تاريخ ودراسات، ج ٢، ط ٦، الرياض: دار عبد العزيز

٤. أبو السعود، فخري، (١٩٩٧)، في الأدب المقارن ومقالات أخرى، الهيئة المصرية العامة للكتاب

٥. أبو دقة، موسى إبراهيم، (٢٠٠٨)، قراءة تحليلية في مرجعيات التنظير العربي للأدب المقارن، مجلة الجامعة ، فلسطين

٦. أبو هيف، عبد الله، (٢٠٠٠)، "النقد الأدبي العربي الجديد"، دمشق: اتحاد الكتاب العرب

٧. أحمد عيد، القاهرة، النقد النسوي ظاهرة ترد على اهمال ابداعات الروائيات العربيات، موقع المفهوم، آفاق أدبية، الرابط: http://www.mafhoum.com/press2/61C32.htm

٨. باجو، هنري، ودانييل، (١٩٩٧)، الأدب العام والمقارن، ترجمة غسان السيد، دمشق: اتحاد كتاب العرب

٩. البازعي، سعد؛ والرويلي، ميجان. دليل الناقد الأدبي. بيروت: المركز الثقافي العربي. ط ٢. ٢٠٠٠

١٠. تريز منصور، إمرأة الثورة والنهضة الفكرية والأدبية والحزن الدفين، مجلة الجيش، العدد ٢٦١ – آذار، ٢٠٠٧.

١١. جريدة "دنيا الشرق" ، الدمام ، ٢٧ فبراير ٢٠٠٨

١٢. الجهني ، مانع بن الحماد، (٢٠٠٣)، الموسوعة الميسرة، ج ٢، ط ٥، الرياض: دار الندوة

١٣. الجوزو، مصطفى، مصطفى صادق الرافعي، دار الأندلس

١٤. جيمسون، فريدريك، (١٩٧٢)، سجن اللغة، برنستون: مطبعة جامعة برنستون

١٥. حمود، ماجدة، (٢٠٠٠)، مقاربات تطبيقية في الأدب المقارن، دمشق: اتحاد كتاب العرب

١٦. حمودة، عبد العزيز، (١٩٩٨)، المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك، سلسلة عالم المعرفة، رقم ٢٣٢، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

١٧. حنون، عبد المجيد، (١٩٩٦)، اللانسونية وأثرها في رواد النقد العربي الحديث، الهيئة المصرية العامة

١٨. الخطيب، حسام، (١٩٩٩)، آفاق الأدب المقارن عربيا وعالميا، ط ٢، بيروت: دار الفكر المعاصر

١٩. خفاجي، محمد عبد المنعم، (٢٠٠٢)، "مدارس النقد الأدبي الحديث"، القاهرة: دار المصرية اللبنانية

٢٠. الدوهو، محمد. النقد المابعد الكولونيالي في المغرب-أو الكتابة المضادة ضد الأنساق المهيمنة. موقع الاتحاد الاشتراكي. يوم الاسترجاع: ٢٠١٣/١٠/٠٧. الرابط: http://www.ailmaroc.net/def.asp?codelangue=29&wss=1Y09io000101&id_info=169228

٢١. رحمة الله، أحمد إبراهيم، (٢٠٠٥)، الأدب والنقد عند العرب، كالكوت: مكتبة الهدى

٢٢. رينيه ويليك، مفاهيم نقدية، مجلة عالم المعرفة، عدد ١١٠، ١٩٩٠، الكويت

٢٣. الزقلي، نور الدين. الناقد المغربي إدريس الخضراوي يصدر كتابه " الرواية العربية وأسئلة ما بعد الإستعمار". موقع صوت أسفي. يوم الاسترجاع ٢٠١٣/١٠/٠٧. الرابط: http://www.sawtasfi.com/index.php/2013-07-24-18-08-13

٢٤. زكي، أحمد كمال، النقد الأدبي الحديث : أصوله واتجاهاته، بيروت: دار النهضة العربية.

٢٥. زيما، بيير ف.، (١٩٩٦)، La Déconstruction: Une critiqie (التفكيكية: دراسة نقدية)، تعريب: أسامة الحاج، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع

٢٦. سعيد، إدوارد. العالم والنص والناقد. ترجمة عبد الكريم محفوض. دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العربي. ٢٠٠٠.

٢٧. السيّد, غسان، التّفكيكيّة والنّقد العربيّ الحديث, مجلة الموقف الأدبي, العدد ٤٢٦, تشرين الأول, ٢٠٠٦ م.

٢٨. سيزا قاسم، حول بويطيقيا العمل المفتوح، قراءة في اختناقات العشق والصباح لإدوار الخراط، مجلة فصول، مجلد٤، عدد٢، ١٩٨٤

٢٩. سيلدن، رامان، (١٩٩٦)، النظرية الأدبية المعاصرة، ترجمة سعيد الغانمي، ط ١، المغرب: دار فارس للنشر والتوزيع

٣٠. شاهين، روزماري، (١٩٩٥)، "قراءات متعددة للشخصية-علم نفس الطباع والأنماط: دراسة تطبيقية على شخصيات نجيب محفوظ"، بيروت: دار مكتبة الهلال

٣١. الشنطي، محمد صالح، (٢٠٠١)، الأدب العربي الحديث، ط: ٣، حائل: دار الأندلس

٣٢. صدار، نور الدين، مدخل إلى البنيوية التكوينية في القراءة النقدية العربية المعاصرة، مجلة عالم الفكر، ع ١، م ٣٨، يوليو ٢٠٠٩

٣٣. عبد الجليل، علي، (٢٠٠٥)، فن كتابة القصة القصيرة، الأردن: دار أسامة

٣٤. عبد الجليل، منقور، (٢٠٠١)، علم الدلالة، دمشق: اتحاد الكتاب العرب

٣٥. عبد الحميد، شاكر، (١٩٩٣)، "الأدب والجنون"، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب

٣٦. عبد الرحمن بن إسماعيل السماعيل (تحرير)، الغذامى الناقد: قراءات في مشروع الغذامى النقدي، كتاب الرياض، عدد ٩٧-٩٨، ديسمبر ٢٠٠١

٣٧. عبد الرزاق، سيد، (٢٠٠٢)، المنهج الإسلامي في النقد الأدبي، بيروت: دار الفكر المعاصر

٣٨. عبد الفتح، سمير، البنيوية، مجلة العربي- الكويت، العدد: ٤١٩، أكتوبر ١٩٩٣م

٣٩. عبد الله ، محمد حسن، (٢٠٠٥)، "مداخل النقد الأدبي الحديث" ، القاهرة: دار المصرية السعودية

٤٠. عبود، عبده، (١٩٩٩)، الأدب المقارن: مشكلات وآفاق، دمشق: اتحاد كتاب العرب

٤١. عدمان، عزيز. قراءة النص الأدبي في ضوء فلسفة التفكيك. مجلّة عالم الفكر. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب. المجلد ٣٣، ٢ . أكتوبر/ ديسمبر، ٢٠٠٤

٤٢. عزام، محمد، (٢٠٠٣)، تحليل الخطاب في ضوء المناهج النقدية المعاصرة، دمشق: اتحاد الكتاب العرب

٤٣. علوش، سعيد، (١٩٨٧)، مدارس الأدب المقارن: دراسة منهجية، المركز الثقافي

٤٤. عناني، محمد، (١٩٩٧)، المصطلحات الأدبية الحديثة: دراسة ومعجم إنجليزي/ عربي، الشركة المصرية العالمية للنشر- لونجمان، ط ٢

٤٥. الغذامى، عبد الله، (١٩٩٨)، الخطيئة والتكفير، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط: ٤

٤٦. فانوس، وجيه. النقد الثَّقافي العربي ودراسات مرحلة ما بعد الكولونيالية :واقع الدراسات العربية الثَّقافية. دليل وقائع المؤتمر الثالث للبحث العلمي في الأردن. النقد الثقافي ودراسات ما بعد الكولونيالية. ٢٠٠٧

٤٧. فرطاس، نعيمة، نظرية التناصية والنقد الجديد (جوليا كريستيفا نموذجا)، مجلة الموقف الأدبي، دمشق، العدد ٤٣٤ ٢٠٠٧.

٤٨. الفكر الجزائري في مواجهة مشكلات ما بعد الدولة الكولونيالية. الجزائر نيوز يوم: الخميس ١٢ سبتمبر ٢٠١٣. الرابط: http://www.djazairnews.info/trace/37-trace/31621-2011-11-28-16-56-06.html

٤٩. قبش، أحمد، (١٩٨١)، تاريخ الشعر العربي الحديث، بيروت: دار الجيل

٥٠. القسنطيني، نجوى الرياحي، في الوعي بمصطلح نقد النقد وعوامل ظهوره، مجلة عالم الفكر، يوليو ٢٠٠٩، عدد ١، مجلد ٣٨

٥١. قصاب، وليد إبراهيم، (٢٠٠٥)، الحداثة العربية الشعرية، الشارقة: جمعية حماية اللغة العربية

٥٢. كارلوني وفللو ، تطور النقد الأدبي في العصر الحديث ، ترجمة: جورج سعد يونس ، بيروت: دار مكتبة الحياة

٥٣. لؤلؤة، عبد الواحد (ترجمة)، (١٩٨٢)، موسوعة المصطلح النقدي، ج ٢، بيروت: المؤسسة العربية للدراسة

٥٤. لطيفة الزيات، من صور المرأة في القصص والروايات العربية، دار الثقافة الجديدة

٥٥. محمد أحمد المجالي، المرأة الناقدة في الأدب العربي، أستاذ مشارك، قسم اللغة العربية، جامعة مؤتة، الأردن، الرابط: http://uqu.edu.sa/majalat/shariaramag/mag20/www/MG-021.htm

٥٦. محمد عناني، (١٩٩٦)، المصطلحات الأدبية الحديثة، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، القاهرة

٥٧. مرزوق، حلمي، (١٩٨٠)، مقدمة في دراسة الأدب الحديث، بيروت: دار النهضة العربية

٥٨. مكي، طاهر أحمد، (١٩٨٦)، الشعر العربي المعاصر، ط ٣، القاهرة: دار المعارف

٥٩. منى ميخائيل، الست هدى، مجلة فصول، مجلد٣، عدد١، ١٩٨٢

٦٠. مي زيادة، (١٩٨٣)، عائشة تيمور، ط٢، بيروت، مؤسسة نوفل

٦١. ندا، طه، (١٩٩١)، الأدب المقارن، بيروت: دار النهضة المصرية

٦٢. هلال، محمد غنيمي، (٢٠٠٥)، النقد الأدبي الحديث، ط ٦، القاهرة: نهضة مصر

٦٣. ويلك، رينيه، (عصفور، محمد (ترجمة))، مفاهيم نقدية، مجلة عالم المعرفة، عدد ١١٠، فبراير ١٩٨٧

٦٤. يحيى بن الوليد. خطاب ما بعد الاستعمار. موقع مغرس. يوم الاسترجاع: ٢٠١٣/١٠/٠٢. الرابط: http://www.maghress.com/assif/5248

٦٥. اليقاعي، شقيق، (١٩٨٥)، الأنواع الأدبية: مذاهب ومدارس (في الأدب المقارن)، بيروت: مؤسسة الدين

66. Achuthan, M., (2006), Paschathya Sahithya Darshanam, Ed 2, Kottayam, , Kerala: DC Books

67. Allen, Roger, An introduction to modern Arabic literature, Cambridge University Press, London, (1998)

68. Anandan, K.N., (2003), Bhashashastratile Chomskian Viplavam, Thiruvananthapuram, , Kerala: Bhasha Institute
69. Ashcroft, B; Griffiths, G; and Tiffin, H. The Empire Writes Back: Theory and Practice in Post-Colonial Literatures. London: Routledge
70. Badawi , M M (Ed.), (2006), Modern Arabic Literature, NY: Cambridge University Press
71. Blaimires, Harry, (2000), A history of literary criticism, New Delhi: Macmillan
72. Cuddon, JA, (1999), Literary Terms and Literary Theory, London: Penguine Books
73. Derrida, Jack, (1994), Of Grammatology, Trans. Gayathri Chakravorthy Spivak, Delhi: Motilal Banarsidass
74. Gandhi, Leela. Postcolonial Theory: a critical introduction. New Delhi: Oxford Univ. Press. Ed 16. 2013
75. Ghazoul, Ferial J., Comparative Literature in the Arab World, Comparative Critical Studies 3, 1-2, 2006
76. Islamika Vijnana Kosham, (1997), Vol. II, Islamic Publishing House, Calicut
77. Jayyusi, Salma Khadra, (2005), Modern Arabic Fiction, NY: Columbia University Press
78. Jeorge, CJ (Ed.), (1996), Adhunikanandara Sahitya Sameepanangal, Bookworm, Thrissur, , Kerala
79. Meisami, Julie & Starkey, Paul, (1998), Encyclopaedia of Arabic Literature, Vol II, London: Routledge
80. Nair, Radhika C. Samakalika Sahithya Sidhantham. Thrissur: Current Books. Ed2. 2007.
81. Nayar, Pramod K. Postcolonial Literature: an Introduction. New Delhi: Pearson. Ed 3. 2012
82. Pokker, P.K., (2002), Darrida – Apanirmanatinte Tatwachintakan, Thiruvananthapuram: Bhasha Institute
83. Raveendran, P.P., (1999), Adhunikanandaram: Vicharam, Vayana, Thrissur, Kerala: Current Books
84. Royle, Nicholas, deconstructions, Palgrave, NY, (2000)
85. Ryan, Michael, (2007), "Literary Theory: A Practical Introduction", London: Blackwell
86. Said, Edward W. Orientalism: Western Conceptions of the Orient. New Delhi: Penguin Books. 2001
87. Seen and Heard: A Century of Women in Literature and Culture. Boston: Interlink, 2004.
88. Sivaprasad, (2009), Navasahithya Darshanangal: Sidhanthavum Prayogavum, Thiruvananthapuram, , Kerala: India Books
89. Studies in the Short Fiction of Idris and Mahfouz. New York: NYU Press, 1992
90. Sudhira, K P, (2007), Khalil Jubran : Anashwarathayude Rahasyam, Calicut: Olive
91. The Hidden God: a Study of Tragic Vision in the 'Pensées' of Pascal and the Tragedies of Racine
92. The Illustrated Family Encyclopedia, (2007), London: Dorling Kindersley.